

التاريخ الاقتصادي
من خلال قصص القرآن الكريم

-٢-

المنهج الاقتصادي في المكاييل
والموازين

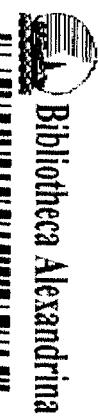
بنبأ الله

مكييل

عليه السلام

دكتور / نواف بن صالح الحابسي

0136875



Bibliotheca Alexandrina

شَبَّابٌ

عليه السلام

التاريخ الاقتصادي
من خلال قصص القرآن الكريم

-٢-

المنهج الاقتصادي في المكاييل
والموازين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شَهِيدٌ

عليه السلام

د/ نواف بن صالح الحيسى

طوار مختبر

للطباعة والتغشية والتوزيع

ص ب ١٣/٦١٤١

بيروت ، لبنان

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٢ - ١٩٩١ م

مقدمة

جاءت الرسالات لتحدد العلاقة بين العبد والرب ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ، عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنَّذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ الآية (٢) سورة النحل.

على أنه على إذا صلحت علاقة العبد بربه تلتها علاقة الإنسان بالإنسان، ومن ثم اهتمت الرسالات بهذه العلاقات.. فللرسالة جانبان تعتمد الرسالة الإلهية كل الاعتماد على الجانب الإيماني أساسه العدل: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الآية (٩٠) من سورة النحل.

وفي العدل مظهر من مظاهر الاقتصاد بل إنه الأساس الاقتصادي، والعدل عند البيع والشراء مطلب إيماني «ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهם يخسرون» الآياتان (١، ٢) سورة المطففين، وفي سلسلة دراستنا للتاريخ الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم يقودنا شعاع الإيمان تجاه المنهج الاقتصادي في مجال المكاييل والموازين في رسالة شعيب عليه السلام.

ويعتبر شعيب عليه السلام من الرسل الذين كلفهم الله عز وجل بدعاوة قومه «أهل مدین أو أصحاب الأیکة وهم عرب على الأرجح» إلى عبادة الله وحده وأن يتقوا الله تبارك وتعالى.. وأن يوفوا المكيال والمیزان بالقسط ولا يكونوا من الخاسرين.. وألا يعثوا في الأرض فسادا.. وألا يبخسوا حقوق الناس.. وقد ذكرهم شعيب عليه السلام بما حدث وأصحاب من سبقهم من

الأقوام مثل قوم نوح أو هود أو صالح أو لوط عليهم السلام.. كما دعاهم شعيب عليه السلام إلى الإسراع بالتوبة واستغفار الله تبارك وتعالى .. .

ولكن قومه كذبوا فكان العقاب الإلهي.. حيث أخذهم عذاب يوم الظلة وأخذتهم الرجفة.. فأصبحوا في دارهم جاثمين.. .

في مجال التاريخ الاقتصادي لقصص القرآن الكريم.. نجد أن للمكيال والميزان وضرورة اتباع الحق والعدل في أي منها أثراً كبيراً بالنسبة لحياتنا الاقتصادية.. ولا شك أن لكل من الميزان والمكيال خصائص معينة وذلك فيما يتعلق بأنواعهما وكيفية استعمالهما.. كما أن للمكيال والميزان مفاهيم وسمات إسلامية في الاقتصاد حاولت قدر إمكاني القاء الضوء عليها.. وفي نفس الوقت حرصت على توضيح المنهيات والمحظورات الإسلامية في كل من الموازين والمكيائل.

لو تدبرنا قوله تعالى : ﴿أَوْفُوا الْكِيلَ إِذَا كُلْتُمْ وَرَنُوا بِالْقَسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ الآية (٣٥) الإسراء.. وقوله تعالى : ﴿أَلَا تَطْغُوا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقَسْطِ وَلَا تَخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ الآية (٩) سورة الرحمن ، فالآياتان مكيتان نزلتا في بداية الدعوة الإسلامية.. وإن ما نزل بمكة يؤكد أن منهج الحق سبحانه وتعالى فيما أمر به قوم شعيب من العدل هو هو نفس منهج الحق سبحانه وتعالى فيما شرع به لأمة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ، كما تأكّد لدينا أن سلسلة التاريخ الاقتصادي متصلة بالحلقات فيما يتعلق بمنهج الله تبارك وتعالى الذي دعا إليه الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام .. .

وقد تحدثت عن المنهج الإسلامي في المال والاقتصاد بالنسبة للموازين والمكيائل.. كما تحدثت عن سلطة الدولة الشرعية لحماية الاقتصاد في المكيائل والموازين.. وأوضحت دور العلاقات التجارية بين الشعوب فيما يختص بالموازين والمكيائل.. .

وإذا كان كتابي هذا مجرد خواطر إيمانية دارت في فلك اقتصادي فما

ذلك إلا لأنني أردت أن أضع أمام القارئ صورة حية لما ينبغي أن تكون عليه حياة المسلم من صدق مع الله تعالى والناس، ذلك أن شرع من قبلنا هو شرع لنا.

إذا ما جاء محمد ﷺ منادياً بشرعية الحق والعدل وإذا ما قال الحق سبحانه «ونضع الموازين القسط ليوم القيمة» الآية (٤٧) سورة الأنبياء، فأولى بنا أن نعدل في حياتنا الدنيا حتى نظفر بعدل الله يوم القيمة. وإذا ما قال الحق سبحانه: «إن الله يأمر بالعدل» الآية (٩٠)، سورة النحل، فاجدر بنا أن نستجيب لأمر الله تبارك وتعالى القائل: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله...» الآية (٣١) سورة آل عمران.

وقد أكدت هذه الخواطر حول قصة شعيب عليه السلام وأهميتها في حياتنا الاقتصادية بأن الإسلام الذي ختم به محمد عليه الصلاة والسلام رسالات الرسل والأنبياء يؤكّد دعوة شعيب عليه السلام . . .
والله ولي التوفيق . . .

الآيات التي تحدثت عن شعيب عليه السلام
سورة الأعراف (من الآية ٨٥ حتى الآية ٩٣)

وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَنْقُورُهُ أَعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ فَقَدْ جَاءَتْكُمْ بِنَتِهِ مِنْ
رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَ هُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
وَلَا تَقْعُدُوا بِإِكْلِيلِ صِرَاطِنَا وَتَصْدُونَا
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ أَمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عَوْجًا
وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثُرْتُمْ وَأَنْظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ٨٦ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ
مِنْكُمْ أَمْنُوا بِالَّذِي أَرْسَلْتُ إِلَيْهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا
فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ ٨٧
قَالَ الْمَلَائِكَةُ أَسْتَكْبِرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبَ
وَالَّذِينَ أَمْنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِبَتِنَا أَوْ لَتَعْوُدُنَّ فِي مِلَيْنَا قَالَ أَوْلُو
كُنَاكِرِهِنَّ ٨٨ قَدْ أَفْتَرَنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدَنَا فِي مِلَيْنَامْ
بَعْدَ إِذْ نَحْتَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ رَبُّنَا وَسَعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَخَ

بَيْنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ٢٨٣ وَقَالَ اللَّهُ
الَّذِينَ تَفَرَّوْا مِنْ قَوْمِهِ لِئَنْ أَتَبَعْتَهُمْ شَعِيبًا إِنَّكَ مِنَ الْخَيْرِ وَ
فَلَأَخْذَهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوهُ أَفِدَّهُمْ جَحِشِينَ ٢٨٤
الَّذِينَ كَذَّبُوا شَعِيبًا كَانُوا لَمْ يَغْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شَعِيبًا
كَانُوا هُمُ الْخَسِيرُونَ ٢٨٥ فَنَوَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَقُولُ لَقَدْ
أَبَلَغْنَاكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَّحْنَا لَكُمْ فَكَيْفَ أَسَى
عَلَى قَوْمٍ كَفَرُونَ ٢٨٦

وَإِنَّ مَدِينَةَ أَخَاهُرٍ شُعَيْبًا قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا
 اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكَافَالَّ
 وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرِنُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ
 عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٌ ^{٨٤} وَيَقُولُمْ
 أَوْفُوا الْمِكَافَالَّ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوْفُ الْأَرْضَ مُفْسِدِينَ ^{٨٥}
 بِقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
 بِحَفِيظٍ ^{٨٦} قَالَ الْوَالِي شَعِيبٌ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ
 تَنْرُكَ مَا يَعْبُدُ إِبَّاً وَنَانًا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَوْأُ
 إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ^{٨٧} قَالَ يَقُولُمْ أَرِعْتُمْ إِنْ
 كُنْتُ عَلَى بَيْنَتِهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ
 أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا إِلَاصْلَاحَ
 مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا إِلَلَهُ عَلَيْهِ تَوْكِيدُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ^{٨٨}
 وَيَقُولُمْ لَا يَجِرِ مِنْكُمْ شَقَاقٍ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ
 قَوْمَ نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَلَحَ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ
 يُبَعِّدُ ^{٨٩} وَأَسْتَغْفِرُ لِرَبِّكُمْ لِمَ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّ
 رَحِيمٌ وَدُودٌ ^{٩٠} قَالَ الْوَالِي شَعِيبٌ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ

وَإِنَّا لِرَبِّنَا فِينَا ضَعِيفٌ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجْنَنَكَ وَمَا أَنْتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿١﴾ قَالَ يَنْقُومُ أَرْهَطٌ أَعْزُّ عَلَيْكُمْ مِنْ
اللَّهِ وَأَنْخَذْتُمُوهُ وَرَأَءَ كُمْ ظَهْرِنَا إِنَّ رَبِّنِي بِمَا تَعْمَلُونَ
حَسِيبٌ ﴿٢﴾ وَيَنْقُومُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْ
سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيَهُ وَمَنْ هُوَ
كَذِيبٌ وَأَرْتَقِبُو إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٣﴾ وَلَمَّا جَاءَهُ
أَمْرُنَا بَنَحَتْنَا شُعِيبًا وَالَّذِينَ مَا مَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مَنَّا وَأَخْذَتِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَاصْبَحُو أَفِي دِيَرِهِمْ جَثَمَيْنَ ﴿٤﴾
كَانَ لَمْ يَغْنُو فِيهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودٌ ﴿٥﴾

سورة الشعراء: (الآيات من ١٧٦ حتى ١٩٢)

كَذَبَ أَصْحَابُ

لَعِيْكَةُ الْمُرْسَلِينَ ١٧٦ إِذَا قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ أَلَا يَنْقُونُ ١٧٧ إِنِّي لِكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ١٧٨ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي ١٧٩ وَمَا أَسْلَكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرَى إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٨٠ أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا
تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ١٨١ وَرَزِّوْا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ١٨٢
وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءً هُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ١٨٣
وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقُوكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأُولَئِينَ ١٨٤ قَالُوا إِنَّمَا أَنَا
مِنَ الْمَسْحَرِينَ ١٨٥ وَمَا أَنَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنْ نَظُنْكَ لِمِنَ
الْكَذِيلِينَ ١٨٦ فَأَسْقِطْ عَلَيْتَنَا كَسْفًا مِنَ الْأَسْمَاءِ إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ١٨٧ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٨٨ فَكَذَبُوهُ
فَأَخْذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٨٩
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٩٠ وَلَنَرَى كُلُّهُ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٩١ وَلَنَرَى لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٩٢

سورة العنكبوت: الآياتان (٣٦، ٣٧)

وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا فَقَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا
اللهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثُوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿كَذَّبُوهُ فَأَخَذْتُهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوْا فِي حُوْافِ
دَارِهِمْ جَلَّمِينَ﴾

المبحث الأول:

المغزى الحق للتاريخ الاقتصادي

لقصة شعيب عليه السلام

الحمد لله والصلوة والسلام على أشرف المرسلين محمد ﷺ ..
وبعد..

فقد تضمنت قصص القرآن الكريم العديد من الحكم والمواعظ التي تحث المسلم المؤمن على التمسك بدينه.. كما تحدثت هذه القصص عن أخلاقيات وصفات الأنبياء ورسالاتهم ودعواهم الناس على مر العصور للتوحيد وعبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد.. كما تناولت قصص القرآن.. الصعاب والعقبات التي واجهها الأنبياء والرسل.. إلا أنني سأعالج في بحثي هذا الجوانب الاقتصادية.. وقصة شعيب عليه السلام ذكرت في القرآن الكريم في سورة الأعراف الآيات (من ٨٥ حتى ٩٣)، وفي سورة هود، الآيات (من ٨٤ حتى ٩٥)، وفي سورة الشعرا الآيات من (١٧٦ حتى ١٩٢) .. وفي سورة العنكبوت الآياتان (٣٦، ٣٧).

وتتلخص قصة شعيب عليه السلام في دعوة قومه لعبادة الله وحده.. وإيقائهم الكيل والميزان وعدم الإفساد في الأرض..

ولهذه القصة مغزى ومعنى في حياتنا الاقتصادية الإسلامية.. فقد ألت الضوء على جانب هام من التاريخ الاقتصادي فيما يتعلق بتطبيق الاقتصاد في حياتنا وهو الأساس لموضوع بحثي هذا..

وفيما يلي سأحاول أن أستخلص المغزى الحق للتاريخ الاقتصادي
لقصة شعيب عليه السلام . . .

١ - أرسل الله عز وجل أنبياءه إلى القرى ليهديهم إلى الحق والعدل
وعبادة الله وحده . كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف :

﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقْصَنْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَابِهَا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا مِنْ مُؤْمِنِينَ كَذَّابُوْمِنْ قَبْلُ كَذَّالِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾

الآية (١٠١) سورة الأعراف .

٢ - وتتلخص رسالة شعيب عليه السلام في دعوة قومه لعبادة الله وهدايتهم
وإصلاح أنفسهم ومجتمعهم وإلى عدم الفساد في الأرض . وقد
بين الله لنا أن شعيباً كان أميناً في تبليغ رسالة ربه إلى قومه، وقد ذكر
فيها ما ذكر من دروس وعظات لقومه، وهي في الوقت نفسه دروس
وعظات لنا (لقد كان في قصصهم عبرة . . .) «فاعتبروا . . .»، فعلينا أن
نتأسى بها في حياتنا إذ أنها إلى جوار كونها دعوة للتوحيد تضع الأسس
الدقيقة لنظام اقتصادي أقره الإسلام وقرره نظاماً . يقول الله تعالى في
سورة الشعراء عن أمانة شعيب عليه السلام في تبليغ رسالته إلى قومه
وصدقها .

﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةَ الْمُرْسَلِينَ ١٧١ إِذْ قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ أَلَا تَنْقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٧٨ ﴾

الآيات (من ١٧٦ حتى ١٧٨) .

وقد رتب سبحانه وتعالى على الأمانة والصدق وجوب الطاعة
والتقوى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي ١٧٩ ﴾ .

٣ - أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام ، أحد الأنشطة الاقتصادية التطبيقية
في الإسلام ، وذلك عندما قدم الله تعالى دروساً اقتصادية في المكاييل

والموازين في صورة أوامر ونواهٍ بل وعقوبات رادعة للمخالفين حيث يقول سبحانه في سورة هود:

﴿وَإِلَيْ مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَقُولُمْ أَعْسُدُو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَنَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٌ ﴾^{٨٤} وَيَقُولُمْ أَوْفُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا نَعْوَافُ الْأَرْضَ مُفْسِدِينَ﴾

. الآياتان (٨٤، ٨٥).

وهكذا كان التوجيه الإلهي لبناء اقتصاد تطيفي سليم في مجتمعنا الإسلامي بتعاملنا في أسواقنا ومتاجرنا فيما يختص بالبيع والشراء بأن نوفي ونعطي الحق في الكيل والميزان وأن لا نبخس ونتحايل ونغش ونلاعب في موازينا ومكاييلنا... .

كل هذه الدروس الاقتصادية تضمنتها قصة شعيب عليه السلام، وما ذكرت في القرآن إلا لتكون لنا أساساً نبني عليه مجتمعاً دينياً من ناحية التوحيد، واقتصادياً من ناحية العدل في التعامل والإصلاح في الأرض، ومن ثم فإن في قصة شعيب معلم من معالم التاريخ الاقتصادي.

٤ - يعتبر الرزق الحلال من الموضوعات الاقتصادية الهامة التي ألقى عليها قصة شعيب عليه السلام الضوء.. فقد أوضحت هذه القصة كيف يكون الرزق الحلال من خلال إيفاء الكيل والميزان وكيف لا. وقد كانت دعوة شعيب عليه السلام لقومه بعدم الإفساد في الأرض ونهيهم عن الرزق الحرام بضرورة عدم بخس الناس أشياءهم وترك المعاصي.. وبهذا أوضحت لنا هذه القصة القرآنية كيف نبني الاقتصاد السليم على أساس من الرزق الحلال وترك المحرمات التي نهانا الله عز وجل عنها.

٥ - حقاً إن الرائد لا يكذب أهله فهو القدوة والمثل ومن ثم وجب على المشرع الإلتزام بما يشرع قبل أن يلزم غيره.. يقول سبحانه وتعالى في سورة هود:

﴿فَالْيَقُولُ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْ رَّبِّيْ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا
 وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِلَصَاحًا
 أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوَفِّيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾
 الآية (٨٨).

إنها الآيات البينات التي تؤكد صدق المرسل: «أرأيت إن كنت على
 بيته من ربِّي...»، كما تؤكد على أن الرزق الحسن ما كان حلالاً..
 بل إنها لتوجب صدق النية (إن أريد إلا الإصلاح) على أن جهد البشر
 محدود «وما توفيقِي إلا بالله...».

٦ - أشارت قصص القرآن الكريم إلى التحذير مما حدث وأصاب الأقوام
 السابقة عندما ضلوا وأعرضوا.. وبالتالي فإنه لمن الواجب علينا أن
 نتعظ ونتعلم وندرك ونتفهم الحقائق التي أكدتها الرسل والأنبياء من قبل
 من خلال دعوتهم للتوحيد وطاعة الله فيما أمر، والأمر بالمعروف والنهي
 عن المنكر وعدم الإفساد في الأرض.. ففي ذلك كله دروس مستفادة
 في حياتنا اليومية بكل جوانبها بصفة عامة وتاريخنا الاقتصادي بصفة
 خاصة، واقرأ إن شئت في ذلك.

﴿وَيَقُولُ لَا يَجِدُ مِنَّكُمْ شَفَاقًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِّثْلًا مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحَ
 أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ يُبَعِّدُ﴾

الآية (٨٩) من سورة هود: .

٧ - بين الله لنا في قصة شعيب أن قومه ارتكبوا ذنوباً ومعاصي تخالف
 شريعة الله، وقد بين شعيب عليه السلام لهم نتيجة عملهم وأفعالهم
 وما يتتظرون من عقاب في الآخرة.. ومن ذلك نستفيد في بناء اقتصادنا
 العملي بأن نبتعد عن كل ما نهى الله تبارك وتعالى عنه على ضوء
 تاريخنا الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم حتى لا نقع فيما
 وقع فيه غيرنا وحتى النجاة برحمة من الله...

يقول الله تعالى في سورة هود: ﴿ وَيَقُولُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَمَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْرِيْهُ وَمَنْ هُوَ كَذِيبٌ وَارْتَقِبُوا إِلَيْيَ مَعَكُمْ رَقِيبٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَهُمْ أَمْرُنَا بِعِصْنَاعَشِيبَا وَالَّذِينَ أَمْنَوْا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَنَا وَأَخْدَتُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَضْبَحَهُوْ فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمَنَ ۝﴾

الآياتان (٩٣، ٩٤).

٨ - أرسست قصة شعيب عليه السلام قواعد أساسية في حياتنا الاقتصادية اليومية، فكانت دعوته عليه السلام بإيفاء الكيل والميزان، والوزن بالقسطاس والعدل والحق دعوة صريحة واضحة للابتعاد عن العرام والغش، وأن نقتتن بالرزق الحلال، فهو سبيل الخير والفلاح .. وهكذا .. فإن قصة شعيب عليه السلام لها معنويات عظيمة في تاريخنا الاقتصادي وبالذات عن الاقتصاد التطبيقي، والذي سنفسره لاحقاً ..

إنها المبادئ السامية لمن شاء أن يستقيم ...

﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۝ وَرِزْقُهُمْ بِالْقَسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۝ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُوْ وَلَا تَعْثَوْفُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ ۱٨٣﴾

الآيات (١٨١ حتى ١٨٣) من سورة الشعرا.

فيما أمة القرآن هذا بيان للناس:

﴿ وَإِلَىٰ مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبَ بَاقِلَ يَقُولُمْ أَعْبُدُو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَقَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُمْ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا نَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝﴾

الأية (٨٥) من سورة الأعراف.

ومن ذلك نقول: أرشدنا الله تعالى إلى المعنويات الحق لقصة شعيب عليه السلام في جانبها الاقتصادي التطبيقي نظام الموازين

والمحاكىل... وكذلك بين سبحانه عاقبة الفساد في الأرض وجزاء إصلاحها.

٩ - أرشدنا الله تعالى إلى أن شعيباً أرسله الله ليهدي قومه إلى الطريق السليم وعدم الفساد في الأرض، ولكنهم لم يطعوه، ولهذا فإن تاريخنا الاقتصادي لقصة شعيب عليه السلام يعطينا مغزى آخر عن مدى الفساد في الأرض - والذي ستحدث عنه لاحقاً - ولهذا فإنه لبناء اقتصادي إسلامي سليم بين الله لنا من خلال تلك القصة بأن نبتعد عن جميع المفاسد في الأرض وما حرمته الله علينا وما نهاه الله عنه.. وإذا كان جلب المصالح ودرء المفاسد يرجى به صلاح الأرض، فلا شك أن رجاء الآخرة أعظم وطريقه العبادة الخالصة وعدم الإفساد في الأرض.. وصدق الله القائل : -

وَإِلَيْ مَدِينَتِ أَخَاهُمْ شَعِيبًا فَقَالَ يَنْقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُو أَلْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثُوْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٧﴾ فَكَذَبُوهُ فَأَخْذَتْهُمُ الرِّحْكَةُ فَأَصْبَحُوْ فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ .

الآياتان (٣٦، ٣٧) من سورة العنكبوت.

١٠ - لا يعني ما ذكرناه أن قصص القرآن اقتصادي بحت، فقد اشتمل القصص القرآني على معانٍ كثيرة متعددة وحكمٍ وعظات قيمة... فقد كلف الله تبارك وتعالى أنبياءه ورسله دعوة أقوامهم كل على حسب طبيعة هؤلاء القوم إلى عبادته عز وجل.. وعلى الرسل إبلاغ قومهم برسالة التوحيد ولكل بالنصح والإرشاد والتوجيه والتحذير والوعيد.. فانظر إلى آثار رحمة الله : «(وَمَا كُنَّا مُعذِّبِينَ حَتَّى نُبَعِّثَ رَسُولًا)» الآية (١٥) من سورة الإسراء، «(وَلَوْ أَنْ أَهْلَ الْقَرْيَ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بِرَكَاتَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...)» الآية (٩٦) من سورة الأعراف.

١١ - إن التاريخ الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم يؤكّد أن قصة شعيب عليه السلام هي الدرس الأول في الاقتصاد التطبيقي من ناحية الوزن والكيل الذي يؤثر في حياتنا اليومية وتعاملنا الاقتصادي والمالي

والتجاري في مختلف المجالات التي تحتاج إلى إبقاء كل من الكيل والميزان كي تستقيم المعاملات بين الناس.

تفسير الآيات التي تتعلق بموقع «مدین» ونسب شعيب

عليه السلام:

ونحن بصدق الحديث عن المغزى الحق للتاريخ الاقتصادي لقصة شعيب عليه السلام، يهمنا ذكر بعض مما أورده كبار الأئمة والعلماء الأفاضل عن السوق الجغرافي لـ«مدین»، وتأثير ذلك في النواحي الاقتصادية، وعن نسب شعيب عليه السلام وذلك من خلال تفسيرهم لمعنى الآيات التي ذكرت في كل من سورة الأعراف وهود والشعراء والعنكبوت وهي السور التي تحدثت عن قصة شعيب عليه السلام.

وقد ذكرت الآية (٨٥) من سورة الأعراف موقع «مدین» ونسب

شعيب:
هُوَ إِلَى مَدِينَ أَخَاهُ شَعِيبًا.

قال الإمام الطبرى^(١):

- معناه - وأرسلنا إلى ولد مدین ومدین هم ولد مدین بن إبراهيم خليل الرحمن .

أما الإمام ابن الجوزي^(٢) فقال:

قوله تعالى: «إِلَى مَدِينَ» هو اسم قبيلة.. وقال بعضهم: هو اسم للمدينة.. فالمعنى: إلى أهل مدین.

(١) الإمام الطبرى - سورة الأعراف - الآية (٨٥) - ص ١٦٦ - م ٤.

(٢) الإمام ابن الجوزي - سورة الأعراف - الآية (٨٥) - ص ٢٢٨ - م ٣.

وجاء في تفسير الإمام الفخر الرازى^(١):

﴿وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيباً﴾.. قيل: إنه اسم القبيلة بسبب أنهم أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام، ومدين صار إسماً للقبيلة، وشعيب من أولاده، وهو شعيب بن نويب بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن.
وقال الإمام ابن كثير^(٢):

كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدینتهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوطن، وكانوا بعدهم بمدة قريبة ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل وشعيب نبئهم.

وقال أيضاً الإمام ابن كثير^(٣) في تفسيره:

قال محمد بن إسحاق: هم من سلالة مدين بن إبراهيم وشعيب هو ابن ميكيل بن يشجر قال واسمه بالسريانية يثرون (قلت) مدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة وهي التي بقرب معان من طريق الحجاز.. قال الله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسكنون﴾^(٤) وهم أصحاب الأيكة..

وفسر الإمام الشوكاني^(٥):

قوله: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ أي وأرسلنا. ومدين اسم قبيلة، وسميت باسم أبيهم، وهو مدين ابن إبراهيم ..

وقوله: ﴿أخاهم شعيباً﴾ وهو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم. وقد تحدثت أيضاً الآية (٨٤) من سورة هود عن موقع ونسب شعيب عليه السلام.. فجاء فيها:

(١) الإمام الراري - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ١٧٢ م ١٢ .

(٢) البداية والنهاية - الحافظ بن كثير - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ج أول ص ١٨٦ .

(٣) الإمام ابن كثير - الآية (٨٥) سورة الأعراف - ص ٢٣١ .

(٤) سورة القصص - الآية (٢٣) .

(٥) فتح القدير - سورة الأعراف - من الآية (٨٥) ص ٢٢٣ م ٢ - ج ٩ .

﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا﴾ ... الآية (٨٤) سورة هود.

ويقول الإمام الرازى^(١) في تفسيره -

كثير من المفسرين يذهب إلى أن مدین اسم مدينة بناها مدین بن إبراهيم عليه السلام . والمعنى على هذا التقدير : وأرسلنا إلى أهل مدین .

يقول الإمام ابن كثیر^(٢) : -

يقول تعالى : وقد أرسلنا إلى مدین وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام فأرسل الله إليهم شعيباً وكان من أشرفهم نسباً، ولهذا قال : **﴿أَخَاهُمْ شَعِيبًا﴾**.

ويقول الإمام القاسمي^(٣) :

(والى مدین) أي وأرسلنا إلى مدین و(مدین) بلد بين الحجاز والشام
أخاهم شعيباً.

وجاء في تفسير الشيخ محمود حجازي^(٤) : -

وأرسلنا إلى قبيلة مدین - وكانت تسكن الحجاز مما يلي الشام وكانوا في غنى وسعة إلا أنهم طففوا الكيل ونقصوا الوزن، وعاشوا في الأرض الفساد.. أرسلنا لهم شعيباً من أوسطهم نسباً وأعلاهم خلقاً.

ويقول الشيخ سيد قطب^(٥) في تفسيره لآلية (١٧٦) من سورة الشعرااء ..

(١) الإمام الرازى سورة هود - الآية ٨٤ ص ٣٩ ج ١٦ .

(٢) الإمام ابن كثیر - سورة هود - الآية (٨٤) ص ٤٠٥ .

(٣) الإمام القاسمي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ١٥٥ م ٩ .

(٤) الشيخ محمود حجازي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ٣٧ ج ١٢ .

(٥) الشيخ سيد قطب - سورة الشعراء - الآية (١٧٦) ص ١٦١٤ .

﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾.

هذه قصة شعيب - السورة - وأصحاب الأيكة هم - غالباً - أهل مدين... والأيكة «الشجر الكثيف الملتف»... ويبدو أن مدين كانت تجاورها هذه الغابة الوريفة من الأشجار... وموقع مدين بين الحجاز وفلسطين حول خليج العقبة.

كما ذكرت نفس الآية في سورة العنكبوت موقع ونسب شعيب عليه السلام:

﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شَعِيبًا﴾... الآية (٣٦).

جاء في تفسير الإمام الرازى (١) :

وإلى مدين أخاهم - أنه اسم رجل في الأصل وحصل له ذرية فاشتهر في القبيلة. (أخاهم) قيل لأن شعيباً كان منهم نسباً، وفي الآية مسائل:

قال الله تعالى في سورة نوح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾، قدم نوحاً في الذكر عرف القوم بالإضافة إليه وكذلك في إبراهيم ولوط، وه هنا ذكر القوم أولاً وأضاف إليهم أخاهم شعيباً، فنقول الأصل في جميع المواقع أن يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لأن المرسل لا يبعث رسولاً إلى غير معين. وإنما يحصل قوم أو شخص يحتاجون إلى أنبياء من المرسل فيرسل إليهم من يختاره، غير أن قوم نوح وإبراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها، فعرفوا بالنبي فقيل قوم نوح وقوم لوط. وأما قوم شعيب وهو وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به فجرى الكلام على أصله وقال الله: ﴿وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شَعِيبًا﴾، وقال: ﴿وَإِلَى عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا﴾.

وأما شعيب فكان بعد انفراط القوم فكان هو أصلاً أيضاً في التوحيد فبدأ به وقال: ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾.

(١) الإمام الرازى - سورة العنكبوت - الآية (٣٦) ص ٦٤.

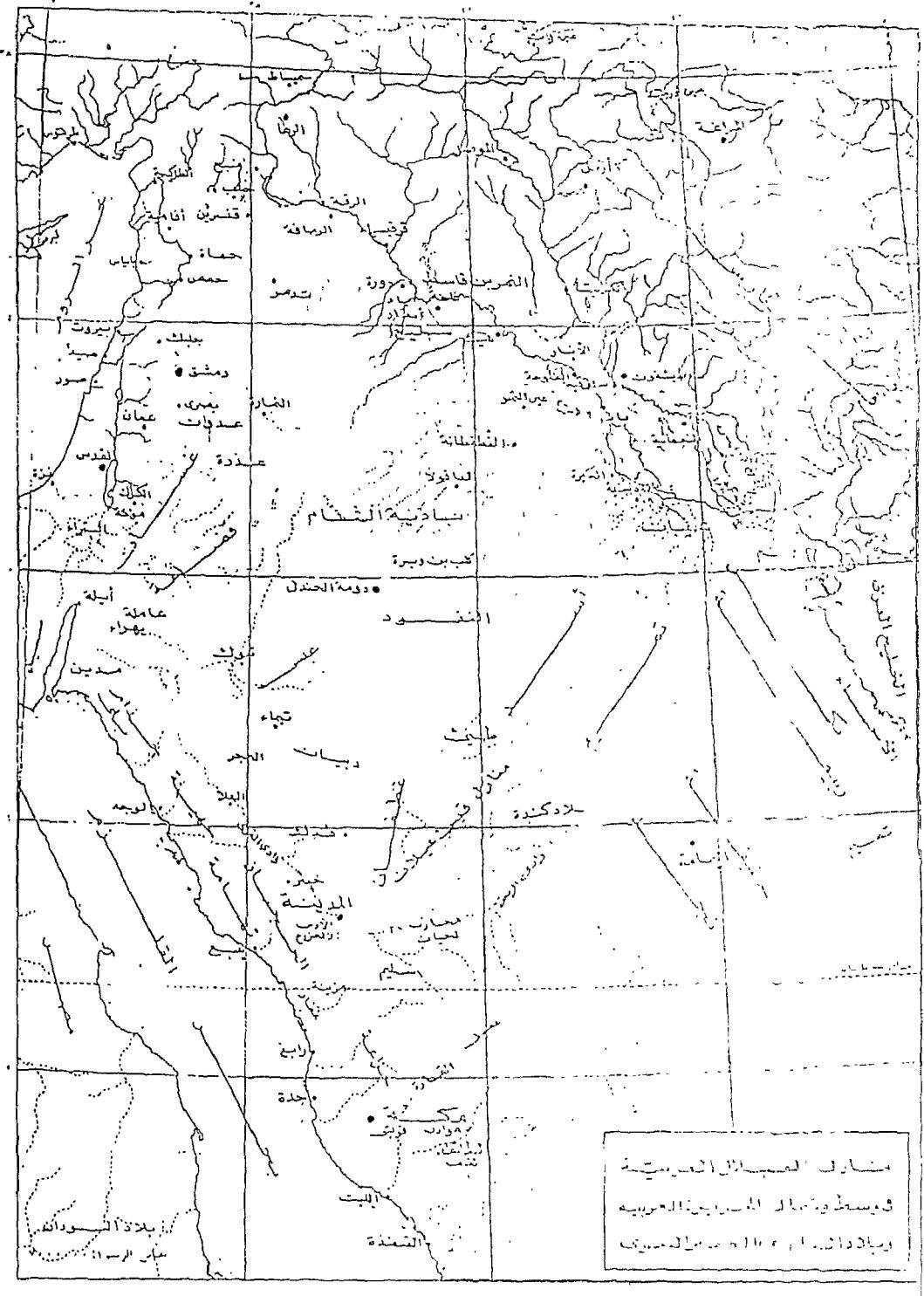
كذلك قال الشيخ المرااغي^(١) في تفسيره عن نسب شعيب في سورة الشعراء ما يلي :-

بينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الشَّعْرَاءِ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ شَعِيباً إِلَى أَصْحَابِ
الْأَيْكَةِ وَهُمْ أَخْوَةُ مَدْيَنَ فِي النَّسْبِ، أَخْرَجَ ابْنُ عَسَّاكِرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي
قُولَهُ: «كَذْبُ أَصْحَابِ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ»، قَالَ: كَانُوا أَصْحَابَ غِيَضَةٍ بَيْنَ
سَاحِلِ الْبَحْرِ وَمَدْيَنَ، وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ إِلَى أَهْلِ مَدْيَنَ وَإِلَى
مَنْ اتَّصلَ بِهِمْ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ.

التحليل:

ومن خلال تفاسير أفضال العلماء عرفا نسب النبي شعيب عليه السلام وقومه، أما فيما يختص بموقع سكن قومه على الخريطة في الوقت الحاضر، فقد ذكر كثير من أفضال العلماء أن قوم شعيب عليه السلام كانوا يسكنون بين الشام والحجاز.. وكان لفظ مدلول بلاد الشام يطلق على الحدود السياسية الحالية بين الأردن وفلسطين وسوريا، وتبين الخريطة موقع مدين.

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعرا - الآية (١٧٦) ص ٢١٩ ج ٩.



د. حسين مؤنس أطلس تاريخ الإسلام ص ٣٤

٣ - موقع مدين من الجغرافيا الاقتصادية

وفيما يختص بموقع مدين ونسبهم، فقد سبق أن ذكرنا ذلك في تحليل قصة شعيب عليه السلام في التاريخ الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم... وقد تبين لنا أن قوم شعيب قد حدد موقعهم حسب تفاسير أفضل العلماء... وعلى ضوء ذلك فإن لموقع مدين من الجغرافيا الاقتصادية وجغرافية السكان مدلولات ومفاهيم اقتصادية تذكرها فيما يلي :

١ - أجمع كثير من العلماء على أن مدين تطلق على اسم القبيلة وعلى المدينة، أما بخصوص موقعها الجغرافي فقد أشار العلماء على أنها بقرب «معان» من طريق الحجاز وبين فلسطين وحول خليج العقبة أي شرق الأردن، وكما أشار إلى ذلك الدكتور حسين مؤنس في كتابه *الأطلس الإسلامي*^(١).

٢ - يتميز موقع قوم شعيب بأنه متلقى قواقل الطرق التجارية سواء القادمة من الشمال من الشام في طريقها إلى الجزيرة العربية أو اليمن، كما أن هذا الموقع يعتبر متلقى مفارق الطرق المحلية والدولية (في ذلك العصر)... وهكذا فإن موقع قوم شعيب بالنسبة لعلم الجغرافيا الاقتصادية يعتبر من المواقع الاقتصادية الهامة بالنسبة لقوافل التجارة، فهو ذو أهمية بالغة... فيه تتزود القواقل التجارية بالماء وتستريح الدواب من عناء السفر، كما أنه مركز احتكاك اقتصادي كبير.

٣ - لقد تميزت قصة شعيب عليه السلام بعدم إيفاء قوم شعيب في الكيل

(١) الدكتور حسين مؤنس - *الأطلس الإسلامي* - ص ٥٩.

والميزان بالبخس والتطفيف، كما أكدتها القرآن الكريم في سورة المطففين، ونتيجة لذلك فإن السمة الأساسية لقوم شعيب أنهم كانوا تجاراً ويعتمد اقتصادهم القومي على التجارة بالبيع والشراء سواء محلياً أو مع القرى والمدن الأخرى وكمركز تجاري تلتقي فيه قوافل التجارة، ويتم فيه تسويق البضائع لكافة القبائل المجاورة.

٤ - يتضح لنا من خلال قصة شعيب عليه السلام، أن الصفة الأساسية لقوم شعيب هي شهرتهم الكبيرة، ومعرفتهم بدروب التجارة، وبالتالي فإن المقومات البشرية لقوم شعيب جعلت أفراد القبيلة يكتسبون الخبرة في التجارة والحنكة في المعاملات التجارية، ولكن أوضحت الآية الكريمة أن طبيعة عمل ومهن قوم شعيب التجارية كان لها طابعاً مميزاً وهو مزاولتهم المحرمات مثل البخس والتطفيف في الكيل والميزان.. ولهذا أرسل الله تعالى شعيباً عليه السلام ليهدىهم إلى الطريق والمنهج التجاري والاقتصادي التطبيقي الصحيح الذي حلله الله تعالى فيما رزقهم وأنعم عليهم بالخبرة والحنكة التجارية والموقع الفريد المتميز.

٥ - ازدهرت التجارة وانتعشت الأنشطة الاقتصادية لقوم شعيب عليه السلام، فقد رزقهم الله تعالى موقعاً تجارياً حرق من ورائه قوم شعيب مكاسب طائلة فازدادت مدخولاتهم الخاصة وكثرت أموالهم... إلا أن هذه الأموال كانت محرمة، لأنهم حصلوا عليها من طريق محرم نهاهم الله تعالى عنه.

وقال الشيخ المراغي^(١):

روى أن قوم شعيب كانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه ويقولون: هذه زيف فيقطعنها ثم يشترونها منه بالبخس أي بالقصاص.

٦ - لقد أنعم الله تعالى على قوم شعيب بالموارد الجغرافية الطبيعية من ناحية الموقع، وبالتالي فإن قوافل التجارة كانت تحتاج إلى المورد

(١) الشيخ المراغي - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ٢٠٥ ج ٩.

الرئيسي الطبيعي وهو الماء، وغير ذلك مما يحتاجه القوافل من موارد أساسية للحياة، لهذا تشير قصة شعيب عليه السلام إلى أن الله تعالى أنعم على قوم شعيب بالموارد الطبيعية والأرزاق التي تكفل وتحقق التبادل التجاري مثل أهمية الموقع الجغرافي، وهو ما يؤكده علم الجغرافيا الاقتصادية لحل المشكلات التي تواجه الإنسان في الحصول على رزقه.

٧ - نستنتج من خلال الموقع الاقتصادي لقوم شعيب عليه السلام أن التسويق لمنتجاتهم الزراعية والصناعية لم يسبب لهم مشكلة تجارية أو اقتصادية، لأن الله تعالى رزقهم بالموقع الجغرافي الاقتصادي الذي يسمح لهم بتبذيل أي عقبة في تلك المنطقة في ذلك الوقت من العالم في التاريخ الاقتصادي من خلال قصص القرآن الكريم، وبذلك انتعش الاستغلال التجاري الحر الذي ألهب رغبة الإنسان في أن يبخس ويطفف في الكيل والميزان ليحصل على المزيد من الأموال، ونسبي أن ذلك سينعكس على سمعة قوم شعيب من ناحية الجغرافيا الاقتصادية لأنهم كانوا قوماً يبخسون ويطففون في الكيل والميزان، وبالتالي سيؤدي ذلك إلى اهتزاز التبادل التجاري سواء كان محلياً أو دولياً، كما سيتغير الإزدهار والرواج التجاري إلى الكساد والسمعة السيئة لتلك المنطقة، كل ذلك نأخذه دروساً وعبر لبناء اقتصاد إسلامي لجغرافيتنا الاقتصادية.

٨ - تؤكد لنا قصة شعيب عليه السلام أن اقتصاديات المدن كقوم شعيب يلعب فيها طبيعة الموقع دوراً هاماً يتعلق بالتجارة.. فإن طبيعة اقتصادها التجاري والتخطيط الاقتصادي العام لتلك المدينة التجارية يفرض على المرء ضرورة الإبعاد عن المحرمات التي نهانا الله تعالى عنها، وكذلك عدم الاحتكار الاقتصادي، لأن التبادل التجاري مع الأقوام الأخرى يتم حسب تخطيط ما يسمح به الله تعالى لبناء النمو الاقتصادي السليم وعدم إفراط المجتمع بتطبيق الاقتصاد في التجارة والإنحراف والفساد مثل قوم شعيب الذين تحالف اقتصادهم بسبب

حرية التجارة في الاقتصاد، وأن دورة الأموال في التجارة كانت تعتمد على الفساد والمحرمات والبخس وتنطيف الكيل والميزان... إلخ.

٩ - بين الله تعالى فيما يختص بموقع قوم شعيب عليه السلام أن السمعة الاقتصادية لأي قوم أو مدينة ما... تؤثر على مجالات تبادلها التجاري وميزانها التجاري، الذي ينعكس على اقتصادها، فيصاب رأس المال بالكساد والنقص في الأسواق، كما تتأثر طبيعة عمل وحرفة السكان بما يعود على التجارة والاقتصاد بالفشل والبطالة بسبب حرية التجارة ومزاولتهم الفساد الاقتصادي، كما يحدث تخلف في تغيير موازين التجارة سواء المحلية أو الدولية، لأنه بني على أساس نهانا الله تعالى عنها مثل عدم الفساد في الأرض، كما ذكر الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام.

وفيما يختص بموقع «مدین» الجغرافي من خلال ما فسره أفاضل العلماء، كما ذكرت سورة هود - الآية (٨٤)، فنورد فيما يلي : -

﴿وَإِنَّ مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا﴾... الآية (٨٤) سورة هود.

يقول الإمام ابن كثیر^(١) :

يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى مدین وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام فأرسل الله إليهم شعيباً وكان من أشرفهم نسباً، ولهذا قال: ﴿أَخَاهُمْ شَعِيبًا﴾.

ويقول الإمام القاسمي^(٢) :

﴿إِلَى مَدِين﴾ أي وأرسلنا إلى مدین و(مدین) بلد بين الحجاز والشام أخاهم شعيباً.

(١) الإمام ابن كثیر - سورة هود - الآية (٨٤) ص ٤٥٥.

(٢) الإمام القاسمي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ١٥٥ م ٩

وجاء في تفسير الشيخ محمود حجازي^(١) :-

وأرسلنا إلى قبيلة مدين - وكانت تسكن الحجاز مما يلي الشام، وكانوا في غنى وسعة إلا أنهم طففوا الكيل ونقصوا الوزن، وعاثوا في الأرض الفساد - أرسلنا لهم شيئاً من أوسطهم نسباً وأعلاهم خلقاً.

وجاء في تفسير الإمام محمد رشيد رضا^(٢)

هذه الآيات الثلاث في تبليغ شعيب قومه الدعوة وهي الأمر بتوحيد الله في العبادة والنهي عن أشد الرذائل التي فشت فيهم والأمر بالفصيلة التي تقابلها «إلى مدين أخاهم شعيباً» أي وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم في النسب شيئاً.

قال الإمام ابن كثير^(٣) :-

كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدینتهم مدین التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط، وكانوا بعدهم بمدة قرية ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة وهم منبني مدین بن مدیان بن إبراهيم الخليل وشعيب نبیهم كما قال تعالى: «وَإِنَّ مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيباً قَالَ يَقُولُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُوَ قَدْ جَاءَتُكُمْ بِكِتَنَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ»، أي دلالة وحجة واضحة

وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم به وأنه أرسلني هو ما أجري الله على يديه من المعجزات التي لم تنقل إلينا تفصيلاً وإن كان هذا اللفظ قد دل عليها إجمالاً. «فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا الْتَّاسَ أَشْيَاءَ هُمْ وَلَا نَقْسِدُ وَأَنْ يَأْتِي الْأَرْضُ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا»، أمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم وتوعدهم على خلاف ذلك.

(١) الشيخ محمود حجازي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ٣٧ ج ١٢ .

(٢) الإمام محمد رشيد رضا - سورة هود - الآية (٨٤) ص ١٣٩ ج ١٢ م .

(٣) البداية والنهاية - الحافظ بن كثير - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ج أول ص ١٨٦ .

وذكرت نفس الآية في سورة العنكبوت:

﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا . . .﴾ الآية (٣٦) من سورة العنكبوت.

جاء في تفسير الإمام الرازى^(١):

والى مدين أخاهم - أنه اسم رجل في الأصل وحصل له ذرية فاشتهر في القبيلة. **﴿أَخَاهُم﴾** قيل لأن شعيباً كان منهم نسباً، وفي الآية مسائل: قال الله تعالى في نوح: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾**، قدم نوحاً في الذكر عرف القوم بالإضافة إليه وكذلك في إبراهيم ولوط، وهبنا ذكر القوم أولاً وأضاف إليهم أخاهم شعيباً، فنقل الأصل في جميع الموضع أن يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لأن المرسل لا يبعث رسولاً إلى غير معين. وإنما يحصل قوم أو شخص يحتاجون إلى أبناء من المرسل فيرسل إليهم من يختاره غير أن قوم نوح وإبراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها، فعرفوا النبي فقيل قوم نوح وقوم لوط. وأما قوم شعيب وهود وصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به فجرى الكلام على أصله وقال الله: **﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا﴾**، وقال: **﴿وَإِلَى عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا﴾**.

وأما شعيب فكان بعد انفراط القوم فكان هو أصلاً أيضاً في التوحيد فبدأ به وقال: **﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾**.

قال الشيخ المراغي^(٢) -

وقد بين سبحانه في سورة الشعراء أن الله أرسل شعيباً إلى أصحاب الأبيكة وهم أخوة مدين في النسب، أخرج ابن عساكر عن ابن عباس في قوله: **﴿كَذَّبُ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمَرْسَلِينَ﴾**، قال: كانوا أصحاب غيبة بين ساحل البحر ومدين وفي ذلك دليل على أن الله أرسله إلى أهل مدين والى من اتصل بهم إلى ساحل البحر.

(١) الإمام الرازى - سورة العنكبوت - الآية (٣٦) ص ٦٤.

(٢) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الأعراف - الآية (٩١) ص ٢١٩ ج ٩.

المبحث الثاني

(المنهج الإسلامي للموازين والمكاييل)

بين الله تعالى لنا في قصة شعيب عليه السلام جانباً أساسياً في علوم الاقتصاد التي تدخل ضمن معايشنا وأرذاقنا اليومية والتي تحدد العلاقة بين البائع والمشتري... ألا وهي الاقتصاد التطبيقي للموازين والمكاييل.

فقد ذكر الكيل والميزان في القرآن الكريم في سورة الأعراف - الآية

... (٨٥)

﴿... فَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ كَمَا تَبَحَّسُوا أَنْشَاسَ أَشْيَاءِهِمْ﴾.

وذكر أيضاً في سورة هود (الآيات ٨٤، ٨٥) : -

﴿... وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكَيَالَ وَالْمِيزَانَ إِذْ أَرْبَكْتُمْ بَخِيرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾١٤﴿ وَيَقُولُ أَوْفُوا الْمِكَيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْحَسُوا أَنْشَاسَ أَشْيَاءِهِمْ وَلَا تَعْثُوْفُ الْأَرْضَ مُفْسِدِينَ﴾.

وكذلك ذكر في سورة الشعراء (الآيات ١٨١، ١٨٢، ١٨٣).

﴿أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَرِزْقُكُمْ بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾١٨٢﴿ وَلَا تَبْحَسُوا أَنْشَاسَ أَشْيَاءِهِمْ وَلَا تَعْثُوْفُ الْأَرْضَ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾.

وهكذا وضعت قصة شعيب عليه السلام واحداً من المناهج الإسلامية الهامة في حياتنا الاقتصادية والتي حددتها الله تبارك وتعالى بنظام الموازين والمكاييل واختلاف استعمالاته.

ويتحلّلنا للإقتصاد التطبيقي في الموازين والمكاييل نأتي إلى ما يلي :-

- ١ - إن استعمالنا المكاييل والموازين في حياتنا هو اقتصاد تطبيقي عملي لمعرفة العمليات المتداخلة بين الموزون وتحديد وزنه ثم تقدير المبلغ المالي لقيمه، ولهذا فإن عملية الوزن والكيل هي أداة تحليلية اقتصادية تطبيقية عملية في حياتنا.
- ٢ - إن عملية الوزن تتحقق مبدأ تكافؤ الفرص للمساواة وفقاً للشريعة الإسلامية في تحديده، وبالتالي ماليتها الحقيقة الموزونة، وبهذا تتحقق العدالة في توزيع نسبة كل من المراد وزنه وسعره الحقيقي .
- ٣ - إن عملية الوزن للسلعة في اقتصادنا الطبيعي هو تحديد عامل أساسى في الإنفاق المالي العام للمجتمع على السلع والمواد المعيشية اليومية وذلك لنضوج الاقتصاد القومى من أجل معرفة وتحديد الإنفاق العام بالنسبة للسلعة وثمنها الحقيقي للمستهلك .
- ٤ - إن عملية تحديد الوزن في الاقتصاد التطبيقي تتميز باستخدام النقود في عمليات المبادلة بين قيمة السلعة وثمنها الحقيقي ، وهذا بخلاف التبادل السعلى بين سلعة وأخرى في الاقتصاد الطبيعي الذي لا تستخدم فيه النقود .
- ٥ - إن عملية إيفاء الوزن والكيل على ضوء ما ذكرته قصة شعيب عليه السلام توضح الحكمة الإلهية للمساواة ومعرفة تحديد كل ماله علاقة بالوزن ، ومن أهمها البضائع والمشتري والبائع وما ينفقه المستهلك من دخله، وبذلك تتحقق العدالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي الذي تسوده الشريعة الإسلامية في ظل الاقتصاد التطبيقي الإسلامي .
- ٦ - إن الوزن في الاقتصاد التطبيقي الإسلامي يحدد العرض والطلب وانكماشهما بالنسبة للسلعة في المجتمع الإسلامي حيث أن وزن السلعة أو كيلها وتحديد سعرها الحقيقي يتوقف على نسبة استهلاكها

سواء بالإفراط أو الإنكماش من ناحية العرض والطلب.. وبهذا يتحقق للسلعة الإيراد الكلي أو القومي أو الحدي.

٧ - إن تخطيط الأسعار في الاقتصاد التطبيقي يحتاج إلى معرفة حالة الأسواق ودراستها واتباعها خاصة ما يتعلق بسياسة العرض والطلب، وكذا إغراق الأسواق بالبضائع أو ندرتها منها.. وتحديد الموزون في التخطيط لأسعار السلع يستهدف في النهاية إلى تنظيم الاقتصاد القومي وتطوير الحياة الاجتماعية في كافة المجالات بطريقة علمية وعملية وإنسانية من أجل الإستغلال الجيد لموارد المجتمع المادية والطبيعية والبشرية وجميع الثروات.. كل ذلك في ظل الشريعة الإسلامية السمحاء.

٨ - ومن خلال التشريع الإلهي لقصة شعيب عليه السلام يظهر لنا مفهوماً آخر على جانب كبير من الأهمية.. ألا وهو الحرية الاقتصادية في مجال التجارة في التبادل.. وعدم المقايسة التجارية في السلع والبضائع بين الدول بعضها البعض.. كما أن إيفاء الكيل والميزان يحقق الإستقرار الاقتصادي ويحمي من الإضطرابات والتقلبات التي قد تضر الأسواق.. وبذلك ينعكس هذا على التنمية الاقتصادية في المجتمع.

أولاً : النظام الاقتصادي للموازين :-

علمنا الله تعالى أحد المنهج الإسلامية في الاقتصاد الذي يدخل في حياة الناس المعيشية اليومية وهو الأساس الإسلامي في الاقتصاد، وذلك في أسواقنا وتجارتنا وهو استعمال الميزان لقياس وتقسيم السلعة بين الشاري والبائع . . . فالميزان ببنه الله تعالى لنا في قصة شعيب عليه السلام في سورة الأعراف: ﴿فَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخِسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم﴾، الآية (٨٥). وكذلك في سورة هود: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمَكِيلَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ مَحِيطٍ﴾ (٨٤) ويا قوم أوفوا المكيال الميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٨٥)﴾.

وقد ذكر الله تعالى في سورة المطففين: ﴿وَإِذَا كَالَّوْهُمْ أَوْ وزَنُوهُمْ يَخْسِرُون﴾، الآية (٣) . . . وبهذا فإن الموازين في الإسلام تعتبر أحد الأسس الاقتصادية التي نستوحيها لحياتنا المعيشية، فالميزان هو الذي يحدد الحق والعدل بين المشتري والبائع وعليه يتوقف تثمين قيمة السلعة بأثمانها الحقيقة.

وفيما يلي تحليل الأسس والمفاهيم الإسلامية لتعريف الموازين، على أنه يجعل بنا أن نورد الآيات الكريمة التي ورد فيها الوزن والميزان:-

١ - آيات القرآن الكريم والمواضيع التي ذكرت كلمة «الوزن» -

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز كلمة «وزن» وإن اختلف معناها حسب الآية التي ذكرت فيها من حيث الموضوع المراد ذكره، وعندما نبحث في معرفة الوزن في كل موضع نجد ما يلي : -

العمل الصالح للإنسان في حياته :

قال الله تعالى في سورة المطففين - الآية (٣) .

﴿ وَإِذَا كَلَّوْهُمْ أَوْ زَرُوْهُمْ يَخْسِرُوْنَ ﴾ .

وقال تعالى في سورة الأعراف - الآيات (٨)، (٩). ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ نَقْلَتْ مَوَازِيْنَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِيْنُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِيْنَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَلَّوْا إِنَّنَا يَظْلِمُوْنَ ﴾ .

وقال تعالى في سورة الكهف - الآية (١٠٥). ﴿ أُولَئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِيَمِيْتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقْيِّمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَرَبُّهُمْ ﴾ .

كما قال الله تعالى في سورة الأنبياء - الآية (٤٧). ﴿ وَنَصَّبَ الْمَوَازِيْنَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا نُظْلِمُ نَفْسًا شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِنْ قَاتَلَ حَبَّةً مِنْ خَرَدٍ لِأَيْنَابِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيْنَ ﴾ .

تحليل :

١ - عندما يزاول التاجر عمله اليومي ويطبق شرع الله ويبعد عن المحرمات

ويتجنب ما نهى الله تعالى عنه... خاصة ما يتعلق بإيفاء الكيل والميزان، فإن مكاسبه التي يتحققها تصبح حلالاً وتنعكس على أحواله الاقتصادية والاجتماعية... وينعم بها على عكس التاجر الذي يخسر الدنيا والآخرة.. لأنه لم يتبع شرع الله عز وجل ويطفل الكيل والميزان أو ينقصها لصالحه.. فمثل هذه الأعمال لا تؤدي بصاحبها إلا للهلاك والخسران المبين.

٢ - وقد حدد الشّرّع الأعمال الصالحة للإنسان بأن يتونّح الصدق ويتمسك بالحق والعدل في كل شيء يختص به البائع أو المشتري.. وبذلك يفوز برحمـة الله عز وجل وحسن ثواب الآخرة.

٣ - ومن خلال قصة شعيب عليه السلام يتضح لنا أن قوم شعيب استحقوا العذاب لعدم إيفائهم للكيل والميزان.. وأنهم أفرطوا في الفساد الذي نهاهم عنه شعيب عليه السلام وكفروا بنعمة الله عز وجل وكذبوا شعيباً عليه السلام في دعوه..

ولذلك فإن أي نوع من أنواع التجارة المحلية أو الدولية لا يزدهر إلا من خلال الاقتصاد التطبيقي الذي يعتمد أولاً وأخيراً على شرع الله عز وجل.. وعلى الحدود التي قررتها الشريعة الإسلامية السمحاء... فإن الفساد في المجتمع يتأثر بالخلاف الاقتصادي الناتج عن عدم تطبيق شرع الله عز وجل.

التشريع الإلهي بإيفاء الوزن والكيل

قال الله تعالى في سورة الإسراء - الآية (٣٥). .

﴿وَأَوْفُوا الْكِيلَ إِذَا كِلْتُمْ وَرِزْقًا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

وقال تعالى في سورة الشعرا - الآية (١٨٢). ﴿ وَرِزْقًا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾.

كما قال تعالى في سورة الرحمن - الآيات (٩، ٧، ٨). ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ لَا تَنْطَعِقُوا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾.

تحليل:

١ - تفيض الآيات القرآنية الكريمة بالحدود الشرعية التي يجب أن يلتزم بها المسلم... وفيما يتعلق بالكيل والميزان فهناك حدود لطريقة استعماله... فمن أحسن الإستعمال واتبع المنهج الإلهي انتعشت تجارته وازدهرت، لأنه يتمسك بالحق والعدل والتطبيق الاقتصادي السليم الذي يرتكز على الشريعة الإسلامية السمحاء... ومن أساء الاستعمال خسر كل شيء وتعرض للعقوبات الاقتصادية وقد يفقد استثماراته وحربيته الاقتصادية.

٢ - ضرب الله تعالى لنا مثلاً عملياً لوضعه الميزان... كما أن دعوة الحق سبحانه ترفض الطغيان في الميزان وضرورة أن نقيم الوزن

بالقسط ولا نخسر الميزان.. فلو حدث أدنى خلل لوقعت الكارثة..
كيف لنا في اقتصادنا التطبيقي.. أن عملية التوازن تتحقق الثبات
والاستقرار لكل من المستهلك أو المشتري والبائع، وذلك في نطاق
السعر والحجم والربح الحلال... .

ومن ثم نطبق العدالة الشرعية بثبت الوزن والسعر فتسقى الأمور
وتعتدل... .

التشريع الإلهي للوزن:

قال الله تعالى في سورة الحديد - الآية (٢٥). «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا
يَبَيِّنُونَ وَأَنَّزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ . . . ».
وقال تعالى في سورة الأعراف - الآية (٨٥). «وَإِلَى مَدِينَاتِ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُوْمُ أَعْبُدُو أَللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ فَقَدْ جَاءَتْكُمْ
بِكِتَابٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْعَكْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ
لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ». .

وقال تعالى في سورة هود - الآيات (٨٤، ٨٥). «وَإِلَى مَدِينَاتِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا
قَالَ يَنْقُوْمُ أَعْبُدُو أَللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكَالَ
وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ٨٤
وَيَنْقُوْمُ أَوْفُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْوَافُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٨٥ ». .

وقال تعالى في سورة الشورى - الآية (١٧). «الَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ الْعَلَى السَّاعَةِ قَرِيبٌ ١٧ ». .
كما قال تعالى في سورة الحجر - الآية (١٩). «وَالْأَرْضَ مَدَدَنَهَا
وَالْقِيَنَافِيهَا رَوَسِيَ وَأَنْبَنَافِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ١٩ ». .

تحليل:

أرسل الله تعالى الأنبياء والرسل لهداية البشر ودعوتهم لعبادة الله وحده.. كما شرع الله عز وجل حدود نظام الكيل والميزان.. وذلك من خلال قصة شعيب عليه السلام.. ويقتضي التخطيط لبناء الاقتصاد الإسلامي أن تقوم تجارتنا على أساس منهج الله سبحانه وتعالى... وأن تستقر أسواقنا وتتنعش وتزدهر بفضل اتباع الحدود التي دعي لتطبيقها نبي الله شعيب عليه السلام في الموازين والمكاييل وبذلك ينمو المجتمع وتستقر الأحوال... .

ثقل الميزان هو الطريق إلى الجنة:-

قال الله تعالى في سورة المؤمنون - الآيات (١٠٢، ١٠٣). «فَمَنْ ثَقِلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» $\hat{}$ «وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَلِدُونَ» (١٠٣).

وقال تعالى في سورة القارعة - الآيات (من ٦ حتى ٩). «فَإِمَّا مَنْ ثَقِلَتْ مَوَازِينُهُ، $\hat{}$ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ $\hat{}$ وَإِمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، $\hat{}$ فَأُمَّا هُوَ فِي أَوْيَةٍ $\hat{}$ ».

تحليل:

اقترنت الأعمال الصالحة بالمؤمنين والمتقين.. وبشرهم الله عز وجل بالرحمة والمغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار... .

ويحرص المؤمن ويبذل الجهد كي ينقل ميزانه يوم الحساب.. ومن ثم يتمتع بعيشة راضية وحياة طيبة... «فَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ» كما ذكرت سورة الجاثية الآية (١٥)...

بل إن من يعمل مثقال ذرة من الخير يرى الخير كل الخير.. كما أكدت ذلك سورة الزلزلة... التي حددت وزن الذرة قبل أن يعرفها أي من علماء العصر القديم أو الحديث...

وهكذا يكون جزاء المؤمن الصالح... وهناك حديث نبوي شريف رواه الإمام مسلم حول الميزان يوم القيمة جاء فيه:

«الظهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان... وسبحان الله والحمد لله تملأ وتملاً ما بين السماء والأرض... والصلوة نور والصدقة برهان والصبر ضياء القرآن حجة لك أو عليك... كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها...».

وعلى العكس... نجد الكافر والفاشق والمفسد الذي لا يطبق شرع الله عز وجل يخف ميزانه وتقل حسناته... ويواجه العذاب الأليم، ويعاني من العقاب الشديد في الدنيا والآخرة...

وبعد... فتلك آيات بينات تحدثت عن الوزن والميزان سواء أكانا معنوين أو محسوسيين... أما الآن فيجدر بنا أن نتعرض للموازين بشيء من التفصيل والتحليل والميزان المحسوسان فنقول وبالله التوفيق:-

جاء في كتاب النقد والمكاييل والموازين (١) - تحقيق الدكتور رجاء محمود السامرائي :-

وكان وزن الدرارم والدنانير في الجاهلية مثل وزنها في الإسلام (مرتين)، ويسمى المثقال (من الفضة) درهماً (ومن الذهب) ديناراً، ولم يكن من شيء من ذلك يتعامل به أهل مكة في الجاهلية: (وإنما كانت تعامل بالمقابل، وزن الدرهم وزن الدينار)، وكانوا يتباينون بأوزان

(١) النقد والمكاييل والموازين - تأليف: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المنادي - المتوفى سنة ١٠٣١ هـ.

(تحقيق: الدكتور رجاء محمود السامرائي).
منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية.

اصطلحوا عليها فيما بينهم، وهو الرطل الذي هو اثنتا عشرة أوقية، والأوقيه وهي أربعون درهماً، فيكون الرطل ثمانيني وأربعينات درهم، والرش وهو نصف الأوقيه، حولت صاده شيئاً^(١) فقيل نش وهو عشرون درهماً.

وكان الدينار في الجاهلية يسمى لوزنه ديناراً، وإنما هو تبر، ويسمى الدرهم لوزنه درهماً وإنما هو فضة. وكان زنة كل عشرة دراهم ستة مثقال، والمثقال وزنه إثنان وعشرون قيراطاً إلا حبة .

والمثقال منذ وضع لم يختلف في جاهلية ولا إسلام^(٢).

ويقال: إن الذي اخترع الوزن في الدهر الأول، بدأ بوضع المثقال أولاً فجعله ستين حبة، زنة مائة من حب الخردل البري المعتمد.

ثم ضرب صنجة^(٣) بزنة مائة من حب الخردل^(٤) وجعل بوزنها مع المائة صنجة ثانية، ثم صنجة ثالثة حتى بلغ مجموع الصنوج خمس صنوجات فكانت صنجهته نصف سدس مثقال، ثم أضعف وزنها حتى صارت ثلث مثقال، فركب منها نصف مثقال ثم مثقالاً وخمسة عشرة، وفوق ذلك... فعلى هذا تكون زنة المثقال الواحد، ستة آلاف حبة. ولما بعث الله المصطفى ﷺ، أقر أهل مكة، وقال: الميزان ميزان أهل مكة، وفي رواية ميزان المدينة. وفرض ﷺ زكاة الأموال على ذلك... فجعل في كل خمس أوaci من الفضة الخالصة التي لم تغش خمسة دراهم وهي النواة، وفرض

(١) في الأصل: صارت مشيناً.

(٢) في الأصل: لم يختلف جاهلية ولا إسلاماً.

(٣) الصنجة: بالصاد أو السنجة بالسين وكلاهما بالفتح من الفارسية سبكة أي الحجر، ويراد به في الإصطلاح: العيار، وبالفرنسية (Songe)، وتحمل جميع الصنوج الزجاجية بالسكة الإسلامية، ما يعبر عن هذا العيار، أو الوزن بلفظ مثقال أو ميزان، والمقصود بلفظ ميزان هنا هو مقدار ثقل الصنجة التي تغير عليها قطعة العملة. إن الصنوج الزجاجية أكثر دقة من الصنوج التي تستعمل من معادن أخرى إذ أنها لا تستحيل إلى زيادة أو نقصان.

(٤) في الأصل: بزنة المائة الحبة الخردل، والتصحيح عن المصدر السابق.

في كل عشرين ديناراً نصف دينار كما هو معروف مبسوط في كتب الحديث والفروع... إلى هنا كلام المقرizi، وهو يشهد في من كلام التجم بن الرفعة^(١) حيث قال: المتفق عليه بين أصحابنا فيما وقفت عليه من كلامهم. أن المثقال من حين وضع لم يختلف في جاهلية ولا إسلام.

وقد ذكر أيضاً...

قال في القاموس^(٢) : الرطل اثنتا عشرة أوقية^(٣) ، والأوقية أستار وثلثا أستار. والأستار أربعة مثاقيل، والمثقال درهم وثلاثة أسناع درهم، والدرهم ستة دوانق^(٤) ، والدائقن قيراطان، والقيراط طسوجان والطسوج^(٥) جيتان، والحبة سدس ثمن درهم، وهو جزء من ثمانية وأربعين جزء من درهم. إلى هنا كلامه. واعتبره بعض المحققين بأنه أحال معرفة الدرهم على معرفة الدرهم، حيث عرفه بالدوانيق ثم الدائقن بالقيراط إلى أن انتهى بالحبة، فعرفها بأنها جزء من الدرهم وذلك دور^(٦) ظاهر، وبأنه أحال معرفة المثقال عليه والمناسب عكسه لأن المثقال أصل متفق عليه لم يختلف (في) جاهلية ولا إسلام فيه كما سيجيء بخلاف الدرهم. قال في المصباح^(٧) والأوقية

(١) ابن الرفعة (٦٤٥ - ٧١٠ هـ) أحمد بن محمد بن علي الأنباري فقيه شافعي، من فضلاء مصر. كان فقيهاً مفتاناً، وكان محتسب القاهرة له كتب منها: الإيضاح والتبیان في معرفة المكياں والمیزان خ، وقد طرق سمعي أن أحد المستشرقين يقوم بتحقيقه منذ أكثر من سنة. (الترجمة الزاهرة ٩: ٢١٣، الإعلام ١: ٢١٣).

(٢) القاموس المحيط: فصل الراء باب اللام ٣٨٥: ٣.

(٣) في الأصل: إثنا عشر. وفي المصدر السابق: الرطل: ويكسر اثنتا عشرة أوقية، الأوقية أربعون درهماً.

(٤) نسب الكرملي هذا القول إلى السيوطي وقال: «... الدرهم ثمانية دوانق. (النقد العربية وعلم النبات) ص ٢٦، ح ١، ص ٣٨، ح ١.

(٥) في الأصل: شطوجان والشطوج.

(٦) الدور في المتنطق أن يكون السبب النتيجة، والتبيحة السبب وهذا مستحيل.

(٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعى لأحمد بن محمد بن علي الفيومى المتوفى سنة ٧٧٠ هـ. وفي المصباح: «... درهماً وهي في تقدير أفعولة =

بالضم والتشديد، وهي عند العرب أربعون درهماً في تقدير أفعولة بالهمز كأعجوبة وأحدوثة، والجمع الأواقي بالتشديد والتخفيف.

فإن ثقلت قال ثعلب^(١): في باب المضموم أوله: وهي الأوقية، والوقية لغة وهي بضم الواو، وهكذا هي مضبوطة في كتاب ابن السكيت^(٢).

وقال الأزهري^(٣): قال الليث^(٤): الوقية سبعة مثاقيل، وهي مضبوطة بالضم أيضاً. قال المطرزي^(٥): وهكذا هي مضبوطة في شرح السنة^(٦) في

= كالأعجوبة والأحدوثة». والجمع الأواقي بالتشديد وبالتحفيف للتخفيف (المصباح ص ٩٢٣).

(١) ثعلب: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أمام الكونين في النحو واللغة. ولد في بغداد سنة ٢٠٠ هـ ومات فيها سنة ٢٩١ هـ. من كتبه الفصيبح - ط وفيه ص ١٦: «وكل اسم على فعلول فهو مضموم الأول وفيه صار فلان أحدوثة أي حديثاً للناس، ومثله في الوزن: أمنية وأمانى: «أوقية وأوقى». والأوقية معروفة من الأوزان، ويختلف مقدارها في البندان كاختلاف الأرطال.

(٢) ابن السكيت (١٨٦ - ٢٤٤ هـ): هو يعقوب بن إسحق، إمام في اللغة الأدب، من كتبه: إصلاح المنطق - ط. وفيه: الأوقية وجمعها أواقى، ومن العرب من يخفف في قول أواق. ص ١٧١.
قلت: والأحاجم تلفظ الذال زاياً.

(٣) الأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ): محمد بن أحمد الهرمي، أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هرآة، من كتبه: تهذيب اللغة.

(٤) الليث (٩٥ - ١٧٥ هـ): الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي بالولاء، ولد في قلقشدة وكان الشافعي يتأسف على فوات لقائه، ويقول: الليث أفقه من مالك (النجوم الزاهرة ٢: ٨٢، الإعلام ٦: ١١٥).

(٥) المطرزي (٥٣٨ - ٦١٠ هـ): أبو الفتح ناصر أو ناصر الدين بن عبد السيد ولد بجرجانية.. كانت له معرفة تامة بالنحو واللغة والشعر وأنواع الأدب... من كتبه: «المغرب في ترتيب المغرب»، وجاء فيه: والأوقية بالتشديد أربعون درهماً وهي أفعولة من الواقية لأنها تقي صاحبها من الضرر، وقيل فعليه من الأوق نقل والجمع الأواقي بالتشديد والتخفيف.

(المغرب في ترتيب المغرب ٢: ٢٥٩ - ٢٦٠).

(٦) شرح السنة للإمام حسين بن مسعود البغري - المتوفى سنة ٥١٦ هـ.

عدة مواضع، وجرى على السنة الناس بالفتح وهي لغة حكها بعضهم
وجمعها قايا كعربية وعطايا، إنتهى . . .

وهو مخالف لما في القاموس من أن الله وقية أستار وثلاثة أستار. قال
بعض الكبراء: ويقع في القاموس كما وقع هنا فيكون الثاني في مادته
بالأول، فمن ذلك قوله في فصل الكاف من باب الميم: اللؤم بالضم ضد
الكرم وفيه دور، انتهى ، (١) .

ومما هو واقع فيه كثير من الخلط والخطأ، أو أنه يخلط بعض
الحقائق اللغوية فمن ذلك قوله: التعزير ضرب دون الحد، والعرب لا تعرف
التعزير^(٢) . ولم يعرف ذلك إلا من جهة الشرع فانظر كيف نسبه إلى أهل
اللغة الجاهلين به. رجع إلى ما نحن بصدده. قال في لسان العرب^(٣) :
مثقال شيء ما وزنه ثقل ثقله يا بني إيه وإن تك مثقال حبة راجع إلى
خردل^(٤) ، رفق مثقال مع علامة التأثير في تلك لأن مثقال حبة راجع إلى
معنى حبة، فكانه قال: إن تك حبة من خردل. وفي التهذيب^(٥): المثقال
معلوم قدره، ويجوز نصب المثقال ورفعه، يعني من قراءة نافع^(٦) فرفعه

(١) في القاموس ٤: ١٧٠، ١٧٢: الكرم محركه، ضد اللؤم، كرم - بضم الراء -
كرامة، وكrama وكرامة محركتين . . . إلخ، واللؤم بالضم ضد الكرم، لؤم كرم.
طبعه السعادة بمصر.

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي. فصل العين باب الراء ٢: ٨٨ وفي صحاح
الجوهري ٢: ١٠٩ مادة عزر: التعزير: التعظيم والتوقير، والتعزير أيضاً: التأديب،
ومنه سمي الضرب دون الحد تعزيراً.

(٣) في لسان العرب مادة ثقل ١١: ٨٦؛ ومثقال شيء ما أذن وزنه ثقل ثقله، وفي
التزيل العزيز: يا بني إنها ان تلك مثقال حبة راجع إلى معنى الحبة . . . إلخ .

(٤) لقمان ٣١، الآية ٦١.

(٥) لم أجده هذا النص في تهذيب التهذيب، في الجزء المطبوع منه . . . انظر:
الحاشية رقم ٢٤.

(٦) نافع ابن عبد الرحمن، أحد القراء السبعة المشهورين، أصله من أصبهان، اشتهر
في المدينة وانتهت إليه رياضة القراءة فيها. وقرأ الناس نيفاً وسبعين سنة. وتوفي
بها سنة ١٦٩ هـ (غاية النهاية في طبقات القراء ٢: ٣٣٠).

بتك، ومن نصب جعل في تك اسمًا مضمرًا مجهولاً مثل الهاء في قوله: إنها إن تك الآية^(١) ويقال: أعطه ثقله أي وزنه. قال ابن الأثير^(٢)، وفي الحديث: «لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان»^(٣)، المثقال في الأصل مقدار من الوزن، أي شيء كان من قليل أو كثير، فمعنى مثقال ذرة وزن ذرة والناس يطلقونه في العرف على الدينار خاصة وليس كذلك، قال ابن مكرم^(٤) قوله: يطلقونه على الدينار خاصة فيه تجوز، فإنه إن كان عنى شخص الدينار، فالشخص منه قد يكون مثقالاً وأكثر وأقل، وإن كان عنى بالمثقال الوزن المعلوم فالناس يطلقون ذلك على الذهب والعنبر والمسك والجوهر وأشياء كثيرة قد صار وزنها بالمثاقيل معهوداً كالتریاق^(٥). وزنة المثقال بهذه المعامل درهم وثلاثة أسباع درهم على التحرير،

(١) لقمان ٣، الآية: ١٦.

(٢) ابن الأثير (المحدث): المبارك بن محمد، المحدث اللغوي الأصولي، ولد في جزيرة ابن عمر ونشأ فيها سنة ٥٤٤ هـ، وانتقل إلى الموصل وتوفي فيها سنة ٦٠٦ هـ. من كتبه: النهاية (في غريب الحديث) في أربعة أجزاء. وجامع الأصول في أحاديث الرسول - خ في عشرة أجزاء وغيرهما.

(٣) في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٢ : ١٧٤.

«... مثقال ذرة أو خردلة من إيمان».

(٤) ابن مكرم هو ابن منظور، محمد بن مكرم المتوفى سنة ٧١١ هـ، قال في كتابه لسان العرب: «قول ابن الأثير: الناس يطلقونه في العرف على الدينار خاصة قول فيه تجوز... وإن كان عنى المثقال الوزن المعلوم... كالتریاق والراوند وغير ذلك، وزنة المثقال هذا المتكامل به الآن: درهم واحد وثلاثة أسباع درهم على التحرير يوزن به ما اختير وزنه به وهو بالنسبة إلى رطل مصر الذي يوزن به عشر رطل. (لسان العرب مادة ثقل ١١ : ٨٦).»

(٥) التریاق: بكسر التاء، معروف فارسي معرب، هو داء السموم لغة في التریاق، - والعرب تسمى الخمر تریاقاً، وتریاقاً لأنها تذهب بالهم (لسان العرب مادة ترق).

(٦) الروند والريوند والراوند: قيل: إنه أصل شجرة في الصين، وقيل: أصل الرمان الهندي ، فارسيته راند... إلخ (الألفاظ الفارسية المعربة).

وهو بالنسبة إلى رطل مصر الذي يوزن به (عشر) ^(١) عشر رطل، انتهى قيل وفيه بحث من وجوهه. وقال أبو حامد المقدسي ^(٢) في النصائح الشرعية فيما على السلطان والرعيه: الرطل المصري مائة وأربعون درهماً، والوقية إثنا عشر، وأما المثقال فهو درهماً ودانقان، وهو أربعة وعشرون قيراطاً وهو خمسة وثمانون حبة، والدرهم الشامي ستون حبة، انتهى. وفيه مخالفة لما سبق وسيجيء كما لا يخفى ويقرب منه قول ابن عبد البر في التمهيد ^(٣).

كانت الدنانير في الجاهلية والإسلام بالشام، وعند عرب الحجاز كلها وقية، وزن الدينار مثقال كمثقالنا هذا وهو درهمان ودانقان، ونصف وخمسة أسباع حبة. وفي مفاتيح العلوم للشيخ الخوارزمي ^(٤) في الكلام على مكاييل العرب وأوزانها: الرطل نصف من والمن مائتان وسبعين وخمسون درهماً وسبعين درهم... وبالمثاقيل مائة وثمانون مثقالاً، وبالأوقي أربعة وعشرون أوقية ^(٥).

قال ابن حزم في الشمسية ^(٦): الدينار ستة دوانيق وعشرون قيراطاً

(١) الزيادة عن لسان العرب (لسان العرب مادة ثقل).

(٢) أبو حامد المقدسي: محمد بن خليل بن يوسف المقدسي - ولد ونشأ في الرملة سنة ٨١٩ هـ، ورحل إلى القاهرة سنة ٨٤٤ هـ، وتوفي بها سنة ٨٨٨ هـ، (الضوء الالمعنوي ٧: ٢٣٤، الإعلام ٦: ٣٥٢).

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، كتاب في الفقه والحديث، للحافظ أبي عمر بن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ، واختصره وسماه الإسْتَذْكَار. قال ابن حزم: «هو كتاب في الفقه والحديث ولا أعلم نظيره».

(٤) الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف، باحث من أهل خراسان، وكتابه: «مفاتيح العلوم - ط» يعد من أقدم ما صنفه العرب على الطريقة الموسوعية قال المقرئي: «وهو كتاب جليل القدر». (الإعلام ٦: ٢٠٤).

(٥) في مفاتيح العلوم ص ١١: الرطل نصف من، المينا وزن مائين وسبعين وخمسين درهماً وسبعين درهم... إلخ.

(٦) كذا في الأصل: ولم أتعثر على هذا الكتاب ولا سيماء في كشف الظنون وذيله. وفي الأصل: ابن حزم.

وأربعة وعشرون طسوجاً^(١)، وأربعون أرزة، والدانق منه ثلاثة قراريط وحبة والقيراط ثلات حبات، والحبة أربع أرزات، والأرزة خردلسان من الخردل البري .

وقال: الماوردي في الأحكام السلطانية^(٢)، «استقر في الإسلام وزن الدرهم ستة دوانيق كل عشرة سبعة مثاقيل»، وانختلف في سبب استقرارها على هذا الوزن فقيل: كانت في الفرس ثلاثة أوزان: درهم على وزن المثقال عشرون قيراطاً، ودرهم إثنا عشر قيراطاً^(٣) ، ودرهم عشرة، فلما احتج في الإسلام إلى تقريره أخذ الأوسط من جميع الأوزان الثلاثة فكان أربعة عشر قيراطاً من قراريط المثقال. وقيل: إن عمر رأى الدراهם مختلفة فيها البغلي ثماني دوانيق والطبرى أربعة واليمنى دانق واحد. فلما نظروا أغلب ما يتعامل الناس به من أعلاها وأدنائها فكان البغلي والطبرى فجومعاً فكانا اثنى عشر دانقاً، فأخذ نصفها فكانت ستة دوانيق، فجعله درهم الإسلام .

٢ - المعنى اللفظي للوزن :

ذكر العلامة ابن منظور^(٤) عن الوزن ما يلي :

وزن : الوزن، روز التقل والخفة. الليث: الوزن ثقل شيء بشيء مثله كأوزان الدراهم، ومثله الرزن، وزن الشيء وزناً وزنة.

قال أبو منصور: ورأيت العرب بسمون الأوزان التي يوزن بها التمر وغيره المسوأة من الحجارة والحديد الموازين، واحدتها ميزان وهي المثاقيل واحدتها مثقال، ويقال للألة التي يوزن بها الأشياء ميزان أيضاً، قال الجوهري: أصله موزان.

(١) في الأصل سطوجاً.

(٢) الأحكام السلطانية ص ١٠٥ أو ١١٩ .

(٣) في الأصل: درهماً ولا يستقيم المعنى .

(٤) لسان العرب المحيط، للعلامة ابن منظور إعداد وتصنيف يوسف خياط ص ٩٢١ م.

وقال الله تعالى : ونضع الموازين القسط يريد نضع الميزان القسط . وفي التنزيل العزيز : والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . قوله تعالى : فأما من ثقلت موازينه وأما من خفت مواينيه قال ثعلب : إنما المراد من ثقل وزنه أو خف وزنه . فجاء في التفسير : إنه ميزان له كفتان وإن الميزان أنزل في الدنيا ليتعامل الناس بالعدل وتوزن به الأعمال ، وروى جوير عن الضحاك : إن الميزان العدل ، قال : وذهب إلى قوله هذا وزن هذا ، وإن لم يكن ما يوزن وتأويله أنه قد قام في النفس مساوياً لغيره كما يقوم الوزن في مرآة العين وقال بعضهم : الميزان الكتاب الذي فيه أعمال الخلق .

قال أبو العباس : قال ابن الأعرابي ، تقول ما لفلان عندي وزن أي قدر لخسته ، وقال غيره : معناه خفة موازينهم من الحسنات ، ويقال : وزن فلان الدرهم وزناً بالميزان فإذا كاله فقد وزنه أيضاً . ويقال : وزن الشيء إذا قدره .

وقوله عز وجل : ﴿وَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٌ﴾ ، جرى على وزن من قدر الله لا يحاوز ما قدره الله عليه لا يستطيع خلق زيادة فيه ولا نقصاناً ، وقيل : (من كل شيء موزون) ، أي من كل شيء يوزن نحو الحديد والرصاص والنحاس والزنبريق ، هذا قول الرجال . وفي النهاية : فسر الموزون على وجهين : أحدهما : أن هذه الجواهر كلها مما يوزن مثل الرصاص والحديد والنحاس والثمينين أعني الذهب والفضة كأنه قصد كل شيء يوزن ولا يكال وقيل : معنى قوله من كل شيء موزون أنه القدر المعلوم وزنه وقدره عند الله تعالى والميزان : المقدار ، وقام ميزان النهار أي انتصف ، وفي الحديث : سبحان الله عد خلقه وزنه يزن وزنه .

والميزان : العدل . ووازنـه : عادلة وقابلة . وهو وزنه وزنته ويوازنـه ويوزـنه أي قـبـالـته .

وقد ذكر مجمع اللغة العربية عن الوزن ما يلي :

وزن :

(وزنوهـ - وزنوا - وزناً - موزون - الميزان - الموازيـن - موازيـنهـ).

أ - وزن يزن وزناً يجيء لما يأتي :

أ - فيقال: وزن الشيء: قدره بما يعادله في التقل. ويقال: وزن لفلان الشيء وزن فلاناً الشيء، كما يقال: شكرته وشكرت له.

ب - ويقال: هذا شيء يوزن أي نفيس يستحسن في حقه أن يوزن كالجواهر، ولا يكال كيلاً أو يؤخذ جزافاً . ومن هذا قيل الوزن للقدر والمكانة. تقول: فلان له وزن أي مكانة ومتزلة ولا يقام لعمل فلان وزن أي هو حقير لا يعبأ به.
وزنوهـ : «إذا كالوهم أو وزنوهـ يخسرون» ٣ / المطففين.
وزنوهـ : وزنوا لهم.

وزنوا: «أوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم» ٣٥) الإسراء، ولللهـظـ في ١٨٢ / الشـعـراءـ.

الوزن: «الوزن يومئذ الحق» ٨ / الأعراف المراد وزن الأعمال يوم القيمة وعند الجمهور أنه وزن حقيقـيـ، ويرى بعضـهمـ أن المراد القضاء والجزاء في ذلك اليوم وللهـظـ في ٩ / الرحمنـ.

وزنا: «فحـبـتـ أـعـمالـهـ فـلاـ نـقـيمـ لـهـمـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ وزـنـاـ» ١٠٥ / الكـهـفـ، أي لا يـنـظـرـ إـلـىـ أـعـمالـهـمـ وـلاـ يـعـتـدـ بـهـاـ.

موزون: «وأـلـقـيـنـاـ فـيـهـاـ رـوـاسـيـ وـأـنـبـتـنـاـ فـيـهـاـ مـنـ كـلـ شـيـءـ مـوـزـونـ» ١٩ / الحـجـرـ

(١) مجمع اللغة العربية - معجم الفاظ القرآن الكريم - تصدرـ دـ إـبرـاهـيمـ مدـكورـ رئيسـ المـجـمـعـ صـ ٧٢١ـ ، ٧٢٢ـ .

موزون: يوزن كالجوادر أو مستحسن له وزن وقيمة أو مقدر بتقدير الله سبحانه .

٢ - الميزان يجمع على الموازين . ويحيى لما يلي :

أ - فالميزان : الآلة التي تقدر بها الأشياء بوضعها في كفة بزيادة صنفات مقدرة في كفة أخرى . ومنه الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيمة . ويرى بعضهم أن وزن الأعمال يوم القيمة تمثيل لتقدير الأعمال وإظهارها على رؤوس الأشهاد .

ب - والميزان : العدل والقسط في الأحكام والمعاملات .

ج - والميزان : الشريعة التي يتناصف بها الناس وبها يقوم العدل بينهم ، والميزان : يوزن به الصنفات .

الميزان : **﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾** /١٥٢/ الأنعام .

﴿فأوفوا الكيل والميزان ولا تخسروا الناس أشياءهم﴾ /٨٥/ الأعراف . الميزان هو المعروف وكذا ما في **﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾** . ١٧ / الشورى . والميزان : الآلة المعروفة أو الشريعة أو العدل .

﴿والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ /٩/٨/ السرمان .

الميزان : الآلة أو العدل ، وكذا ما في **﴿الحديد﴾** /٢٥/ .

الموازين : **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيمة﴾** /٤٧/ الأنبياء . الموازين الحقيقة ، أو هو تمثيل لإظهاء الجزاء .

موازينه : **﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾** /٨/ الأعراف .

﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ /٩/ الأعراف . الموازين : جمع ميزان ، وهو ما يوزن به من الآلة

أو الصنجلات على ما تقدم أو جمع موزون. وهذا على سبيل الحقيقة أو المجاز، كما سبق واللقط في ١٠٢ / ١٠٣ المؤمنون ٦/٨ القارعة.

٣ - تعريف الموازين

بين الله في كتابه العزيز الموازين وذكر الميزان حيث هو عرف ونظام اقتصادي تقاس به القيمة الحقيقة للبضاعة، وتعرف كميتها، ومن ثم يتحدد قيمة البضاعة . . .

وإن الميزان هو العدل ومعرفة الوزن الحقيقي للبضاعة حتى تتحقق العدالة والحق في ثمن البضاعة ووزنها . . ولهذا فإن الوزن له معايير ومقاييس محددة حددتها العلاقات الاقتصادية في كل بلد، وكذا العلاقات التجارية بين الشعوب، وعرفت بأسماء ومقاييس معينة تداولها التجار والمشترون، وبهذا فإن الوزن حق العدالة الاقتصادية والقيمة الحقيقة للبضاعة .

٤ - خواص الموازين : -

لقد عرفت الموازين بخواص معينة وهي قضيب حديدي توضع في جنب منه البضاعة وفي الجناح الآخر الوحدة المحددة والمعينة للوزن . . . وبهذا يعرف نتيجة وزن هذه البضاعة، وبالتالي يمكن أن تحدد قيمة هذه البضاعة حسب أوزانها . . . ولقد اتخذت أوزان وأثقال معينة حددتها السلطات سواء من قبل الدولة أو التجار أو الأعراف بينهم بوزن أو بأوزان معينة لتحديد وزن البضاعة .

٥ - استعمال الموازين : -

استعمل الوزن في نوع من البضاعة المتجمدة الغير سائلة وسائلة أي أن البضاعة لها خواص وأشكال معينة يمكن وضعها على كفة الميزان وهي

متماسكة ذات وحدة وشكل معين.

كما استعمل الميزان في الأسواق في العصور القديمة لوزن البضاعة ذات الأحجام والأشكال المختلفة . . .

ولهذا فإن الشعوب استعملت الموازين حسب الأحجام وزنها، وقد عرفت بينهم واتخذت طابعاً معيناً وصارت في استعمالاتها من الأعراف الاقتصادية في استعمال الموازين.

كذلك استعملت كلمة «وزن» في كتاب الله على أعمال الناس لأن جميع الأعمال بخيرها وشرها تقاد بالحق والقسط لمعرفة ما يستحقه الشخص من أعمال.

٦ - أنواع الموازين : -

لقد عرف في أسواق العالم منذ التاريخ حتى اليوم استعمال أنواع من الموازين المختلفة، ولها أسماء وأشكال وأحجام معينة كلها تؤدي إلى وزن البضاعة وإعطائها الصفة الحقيقية والمعلومة بوزن معين حتى تتحقق العدالة الاقتصادية في قيمة البضاعة لوزنها الحقيقي.

ومن ذلك يتبيّن لنا استعمال كلمة «وزن» لعمل الإنسان، كما جاء في كتاب ابن تيمية^(١) عن كلمة «وزن» التي جاءت في بعض الأحاديث النبوية الشريفة . . . ما يلي :

ومما يروون عنه أنه قال ﷺ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر على ذلك».

فأجاب: الحمد لله. هذا جاء معناه في حديث معروف في السنن أن أبي بكر رضي الله عنه وزن هذه الأمة فرجح.

(١) الإمام ابن تيمية - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (الحديث) (جمع وترتيب عبد الرحمن بن القاسم وابنه محمد).
المجلد ١٨ - ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

ومما يروون أيضاً: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا». فأجاب: الحمد لله. هذا مأثور عن بعض السلف وهو كلام صحيح.

ثانياً - النظام الاقتصادي للمكاييل

وضعت قصة شعيب عليه السلام أحد المنهاج الإسلامي في الاقتصاد الذي يعتبر الأساس في حياة الناس المعيشية اليومية إذ نحتاج إليه في تجاراتنا وتعاملنا في الأسواق وهو المكاييل.. وقد أوضح الله تعالى في كتابه العزيز أن المكاييل من الأسس الاقتصادية لتحديد قيمة السلعة المراد بيعها وتقييم أثمانها كما جاء في قصة شعيب عليه السلام، وذكر في سورة هود: ﴿وَلَا تُنْقُصُوا الْمَكَافِلَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ آية (٨٤)، كذلك في سورة هود: ﴿وَلَا قَوْمٌ أَوْفُوا الْمَكَافِلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقَسْطِ﴾ آية (٨٥). وفي سورة الأعراف: ﴿أَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ آية (٨٥)، وكذلك في سورة الشعراء: ﴿أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ آية (١٨١). وقد ذكر الله تعالى في سورة يوسف: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفَىٰ الْكِيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمَتَزَلِّينَ﴾ آية (٥٩)، وكذلك ورد في سورة يوسف: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَنْ بَغَىٰ هَذِهِ بِضَاعَتْنَا وَرَدَتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدُ دَكِيلَ بَعِيرَ ذَلِكَ دَكِيلَ يَسِيرَ﴾ آية (٦٥)، وكذلك في سورة يوسف: ﴿وَجَئْنَا بِبِضَاعَةٍ مِّنْ جَاهَةٍ فَأَوْفِيْ لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ آية (٨٨).

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة المطففين: ﴿إِذَا كَالَّوْهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يَخْسِرُونَ﴾ الآية (٣).

وبهذا أوضح الله تبارك وتعالى لنا أن المكاييل هي أحد الأسس الإسلامية التطبيقية في الاقتصاد لبناء المجتمع الإسلامي الذي تزينه الشريعة السمحاء المبنية على العدل وإعطاء كل ذي حق حقه.. وقد ورد في القرآن الكريم في قصتي شعيب ويوسف عليهما السلام ، وفي سورة المطففين تعاريف وتعاليم إسلامية لبناء اقتصادنا ومجتمعنا الإسلامي لتحقيق العدل والحق في الكيل والميزان بين الناس من أجل تحقيق العدالة الإسلامية الاجتماعية.

وفيما يلي نقدم للقارئ الأسس والقواعد الإسلامية لتعريف المكاييل... إلا أنه ينبغي أن نشير إلى الآيات القرآنية الكريمة التي وردت في شأن الكيل على أن تتبع ذلك بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تتصل بموضوع الدراسة...

١ - آيات القرآن الكريم والمواضيع التي ذكرت كلمة «الكيل»:

ذكر الله تعالى كلمة «الكيل» في كتابه العزيز في سور مختلفة، ويبدو معنى الكيل في صورة موحدة، وللكلمة مواصفات معينة... أما المعنى اللفظي للوزن كما ذكر في القرآن الكريم فإن معناها إما معنوي لتصرف الإنسان أو مادي لقياس الموزون، وعندما نطالع الموضوعات التي تحدثت عن معرفة الكيل نأتي إلى ما يلي : -

أعمال وتصرف الإنسان : -

قال الله تعالى في سورة يوسف (الأيات: ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٥) :

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِمَا هَبَّهُمْ قَالَ أَئْتُنِي بِأَخِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي أَلْكِيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ ﴾١﴿ إِنَّ لَمْ تَأْتُنِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾٢﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا أَمْنِعَ مِنَ الْكِيلِ فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا شَتَّىٰ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾٣﴿ وَلَمَّا فَحَّومَتْ عَهْمُ وَجَدُوا بِضَعَتْهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا بَغَىٰ هَذِهِ بِضَعَتْنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِرُّ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كِيلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾٤﴾.

تحليل :

بين الله تعالى في قصة يوسف عليه السلام مثلاً في اقتصادنا التطبيقي العملي بالمحافظة على حدود وشرع الله عزوجل في كيله للناس، وهذا

المثل الحي بإيفاء الكيل بل ويزيد في كيله... فهذا هو الاقتصاد التطبيقي بالنسبة لـكيل يوسف عليه السلام وتصرفة مع الناس، ليعطينا في التاريخ الاقتصادي نموذجاً حياً لعملية اقتصادية في مرونة التجارة وحريتها في الكيل للسلع الاقتصادية، وفي عملية العرض والطلب في إشباع السوق وسد احتياجاتة للسلعة وعدم احتكاره لها... فهذا هو الاقتصاد التطبيقي العملي لبناء مجتمع إسلامي.

الاستقرار الاقتصادي في البلاد: -

قال الله تعالى في سورة يوسف - الآية (٨٨):

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضرُّ وَجَحْنَانٌ يَضْطَعُونَ
مُرْجَحَتِهِ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصْدِقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْمُتَصَدِّقِينَ﴾

تحليل: -

من ذلك يتضح من خلال قصة يوسف عليه السلام مدى أهمية الاستقرار الاقتصادي الذي كان يسود مجتمعه في ذلك الوقت حيث أن إيفاء الكيل في القمح يعطينا مدلولاً اقتصادياً عن عدم احتكار يوسف عليه السلام للسلعة الاقتصادية الهامة وهي القمح.. فقد كان الوحيد المتصرف في بيع كل ما يعرض في السوق من تلك السلعة الإستراتيجية، وهذا يعطينا تغيراً اقتصادياً للتاريخ من قصص القرآن الكريم، وتطبيق حدود الله تعالى وشرعه في الكيل وانتعاش الأسواق وازدهار التجارة الداخلية والدولية رغم الأزمة الزراعية التي كانت تمر بها البلاد، وأن الحكومة في عهد يوسف عليه السلام لم تحتكر الصنف، وهذا يدل على مرونة في العرض والطلب لإشباع السوق وعدم تعرض المجتمع للاختناق.

الشرع الإلهي بإيفاء الكيل والميزان : -

قال الله تعالى في سورة الإسراء - الآية (٣٥) .

«وَأَوْفُوا الْكِيلَ إِذَا كُلْتُمْ وَرِزْقًا يَا الْقَسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمُ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ». (١٨١)

وقال تعالى في سورة الشعرا - الآية (١٨١) .

«أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ». (١٨١)

وقال تعالى في سورة هود - الآيات (٨٤، ٨٥) .

«وَإِنَّ مَدِينَةَ أَخَاهُرٍ شَعَبِيَاً قَالَ يَقُولُونَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا نَنْصُو أَمْكَيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرِنَكُمْ خَيْرًا وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ». (٨٤) وَيَقُولُونَ أَوْفُوا الْمِكَيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْوَافُوا فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ». (٨٥)

كما قال تعالى في سورة الأنعام - الآية (١٥٢) .

«وَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكْلِفُ نَفَسًا إِلَّا وَسَعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَا كَانَ ذَاقُرِيَ وَعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَنَعُكُمْ بِهِ لَعْنَكُمْ تَذَكَّرُونَ ». (١٥٢)

تحليل : -

تحديثنا في تحليلنا السابق عن إيفاء الكيل والميزان والشرع الإلهي وحدوده ، لأن الإيفاء بالمعنى الاقتصادي في الشرع هو تطبيق حدود الله تعالى في تفاصيل العملية الاقتصادية التطبيقية لكل من الكيل والوزن واتباع الأمانة فيما أوتنم به ... وتحقيق العدل والقسط في وزن السلعة الاقتصادية وتحديد كميتها.

الحدود الشرعية للكيل :-

قال الله تعالى في سورة المطففين (الأيتان ٢ ، ٣) :

﴿أَلَّاَرِزَنِ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ وَإِذَا كَلُوْهُمْ أَوْ وَزَبُوْهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ .

تحليل :-

إن حدود الشرع في اقتصادنا التطبيقي للناس فيما يختص بكيلهم وزنهم وهو أن الكيل ينبغي أن يكون سليماً بدون الغش التجاري أو الخداع في عملية الوزن، ويكون صحيحاً ومتساوياً دون نقص أو زيادة.. فمن الأفضل أن يحسن الإنسان التصرف حتى يعكس ذلك على المجتمع فيصبح نحو الاقتصاد سليماً صحيحاً... .

ثانياً: الأحاديث النبوية

في كتاب «سنن ابن ماجه»^(١) عن الكيل ما يلي: -

٢٢٥٠ - حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن البحصبي، عن عبد الله بن بسر المازني، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كيلوا طعامكم بيارك لكم فيه».

وقد جاء في كتاب الأموال للإمام الحافظ الحجة أبي عبيد القاسم بن سلام فيما يتعلق بالمكاييل ما يلي: -

١٥٦٨ - قال أبو عبيد: وجدنا الآثار قد نقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين بعدهم بثمانية أصناف من المكاييل: الصاع والمد، والفرق، والقسط، والمدى، والمحظوم، والقفيز، والمكوب. إلا أن عظم ذلك في المد والصاع.

١٥٦٩ - قال: وحدثنا يحيى بن سعيد عن موسى بن عبد الله قال: كنت عند مجاهد فأتى بإثناء يسع ثمانية أرطال، أو تسعة، أو عشرة^(٢). فقال: قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ يغسل بمثل هذا».

١٥٨٠ - قال: حدثنا شريك عن موسى الجهي قال: أتى مجاهد بإثناء

(١) «سنن ابن ماجه» - الجزء الثاني - ص ٢١.

(٢) كتاب الأموال للإمام الحافظ الحجة أبي عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٤ هـ، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس - ص ٦١٧ حتى ص ٦٢٩.

(٣) أو هنا شك من موسى في مقدار سعة الإناء.

يسع ثمانية أرطال. فقال: حدثنا عائشة: «أن رسول الله ﷺ، كان يغسل بمثل هذا».

١٥٨١ - قال أبو عبيد: وحدثت عنه عن عبد الله بن عيسى ابن جبر الأنصاري عن أنس بن مالك: «أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ بربطلين^(٣)».

١٥٨٢ - قال أبو عبيد: فجاءت هذه الأحاديث في الغسل بالفاظ يتهم السامع أنها مختلفة المعاني لاختلاف لفظها. ولم يست كذلك، ولكن المعنى فيها كلها إنما يدور على وقتين من الماء^(٤) أقصاهما ثمانية أرطال، وأدناهما صاع، وهو خمسة أرطال وثلث. وسائر هذه الأحاديث إنما ترجع إلى أحدهما، لا يخلو من ذلك لمن عرفه.

فكان غسله ﷺ إنما يتعدد فيما بين هذين الوقتين على قدر ما يحضره من الماء، غير أنه لا ينقص من الصاع. وهو خمسة أرطال وثلث، ولا يزيد على صاع ونصف، وهو ثمانية أرطال.

١٥٨٣ - فمن الثمانية ما ذكرنا من الأحاديث في الفرق بينه وبين عائشة جميعاً، وذلك أن الفرق ثلاثة آصع^(٥)، وهي ستة عشر رطلاً. فكان لكل واحد منها ثمانية.

١٥٨٤ - فكذلك الأحاديث التي ذكرناها في الأقسام هي مثل الفرق سواء، وذلك أن القسط نصف صاع وتقسيمه في الحديث نفسه، حين ذكر الفرق، فقال: «وهو ستة أقسام» فرجع معناه إلى الثمانية أيضاً.

١٥٨٥ - وأما الذي ذكر فيه الأمداد الخمسة، يغسل بها وحده، فهو مثل الأحاديث التي ذكرناها في الغسل بالصاع، والوضعه بالمد. وذلك أنه كان يتوضأ قبل الغسل بـمد. ثم يغسل بعد ذلك بالصاع، وهو أربعة أمداد. فتلك خمسة لاغتساله خاصة.

(١) وهذا يساويان المد أو يزيدان قليلاً.

(٢) يعني حالتين في استعمال الماء.

(٣) جمع قلة لصاع ويجمع أيضاً على صيغان.

١٦١٢ - قال: حدثني حسان بن عبد الله عن مسلم بن خالد عن ابن أبي نجح عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ في هذا الحديث: «أنه أمره أن يطعم ستة مساكين: فرقاً من طعام».

قال أبو عبيد: فقد تبين الآن أنه ثلاثة أضع، لأن لكل مسكين نصف صاع، وهو بين في حديث آخر أيضاً.

١٦١٣ - قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود بن أبي هند عن الشعبي: أن رسول الله ﷺ قال لكتاب بن عجرة: «هل معلم من دم؟ قال: لا. قال: فإن شئت نصم ثلاثة أيام، وإن شئت فتصدق بثلاثة أضع، تمراً، بين ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع، واحلق رأسك».^(١)

١٦١٤ - قال أبو عبيد: فقد وضح الآن أن الفرق ثلاثة أضع، إذ كان في حديث مسلم بن خالد، وحديث سفيان: «أطعم فرقاً»، وقال ههنا أطعم ثلاثة أضع.

ومما يزيده وضوحاً حديث يروى عن مجاهد.

١٦١٥ - قال، حدثني عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق قال: سألت مجاهداً عن كفارة اليمين؟ فقال: «فرق بين عشرة»، قال: فذكرت ذلك للحسن بن مسلم، فقال: مدان لأدامه وحطبه^(٢).

١٦١٦ - قال أبو عبيد: فسر عبد الرحمن هذا الحديث قال: معناه أن مذهب مجاهد: أن لكل مسكين مداداً في كفارة اليمين. قال: والفرق ثلاثة أضع والصاع أربعة أداد. إثنا عشر مداداً فتقسم هذه كلها بين عشرة

(١) هذا الحديث يفيد أنه إذا وجد الدم لا يجوز الصيام ولا الإطعام وهو يخالف التخbir في الآية.

(٢) يعني: أن الواجب عشرة أداد لكل مسكين مداد ولكنه يزيدهم مددين من أجل الإدام والحطب.

مساكين، فيكون عشرة منا لطعامهم، لكل واحد مد، ويكون المدان زيادةً متفقة بينهم، لما يلزم الطعام من مؤونة الأدم والخطب.

قال أبو عبيد: وهذا الذي أراد الحسن بن مسلم.

١٦١٧ - قال أبو عبيد: فعلى هذا الصاع الذي فسرناه^(١) تدور أحكام المسلمين في كل ما ينوبهم من أمر الكيل في دينهم: من ذلك زكاة الأرضين، وصدقة الفطر، وكفارة اليمين، وفدية النسك.

وقد عايرت مكيالنا هذا الملجم^(٢)، الذي يعتمله الناس اليوم، فإذا هو صاعان ونصف. وذلك عشرة أمداد إذا مسحت أعلاه، على ما يقال اليوم في الأسواق.

تحليل:-

١ - أوضحت لنا الأحاديث النبوية الشريفة السابقة مقدار كمية الماء الذي كان يستخدمه رسول الله ﷺ في الوضوء والغسل. ومن هنا نتعلم درساً إسلامياً بالغ الأهمية فيما يتعلق بتحديد كمية الماء والاقتصاد في استخدامه وعدم الإسراف في استعماله، كما لا نقترب فيه فينعكس ذلك على الجانب الاقتصادي في كمية الماء المنصرفة في القرية أو المدينة وتحديد استهلاكها في كل وقت للصلة، الأمر الذي يؤثر على المصلحة العامة خاصة فيما يتعلق باقتصاديات البلد.

٢ - حددت السنة النبوية المطهرة حجم الكيل وأنواعه وسمياته والفرق بينها حتى يتسمى على كل مسلم أن يعرف طريقه من خلالها، وكذا الأعمال التي تختص بالزكاة والصدقة، وبالتالي تستقيم حياة كل مسلم إذا ما عرف حدوده وطبق شرع الله بالإستقامة والطاعة والتقوى. وذلك مما أدى إلى الاستقرار الاقتصادي لمجتمعنا الإسلامي ومعرفة الحرية

(١) يعني قدرناه بخمسة أرطال وثلث.

(٢) قال في المنجد: (المكيال الملجم صاعان ونصف وهو عشرة أمداد).

الاقتصادية والتجارية والسير على خطى سليمة في التنمية الاقتصادية
في ظل الشريعة السمحاء والسنة المطهرة.

٣ - حدد التشريع الإسلامي والسنّة النبوية حدود استعمال الكيل في أرزاقنا وإياحته، وأن نبتعد عن المقايسة لأن ذلك فيه استقرار للإقتصاد ومعرفة الحدود الشرعية للتبدل التجاري من مقدار وحجم ونوع الوزن والكيل والصفات الأساسية لكل منها.

٢ - المعنى اللغوي للكيل:

ذكر العلامة ابن منظور^(١) عن الكيل ما يلي :

الكيل: المكيال، وغيره، الكيل كيل البر ونحوه، وهو مصدر كال الطعام ونحوه يكيل كيلاً.

واكتاله وكاله طعامه وكاله له، قال سيبويه: اكتل يكون على الإتحاد وعلى المطاوعة: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفِونَ﴾... أي اكتالوا منهم لأنفسهم، قال ثعلب: معناه من الناس، والإسم الكيلة بالكسر مثل الجلة والركبة. واكتلت من فلان واكتلت عليه وكلت فلاناً طعاماً... أي كلت له، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَنُوهُمْ﴾، أي كالوا لهم. وفي المثل: احشفا وسوء كيله؟ أي اتجمع على أن يكون المكيل حشفاً وأن يكون الكيل مطفقاً.

اللith: المكيال ما يكال به، حديداً كان أو خشبأً. واكتلت عليه: أخذت منه. يقال: كالمعطي واكتال الآخذ، والكيل والمكيل والمكيال والمكيلة: ما كيل به، الأخيرة نادرة. ورجل كيال: من الكيل، حكاه سيبويه في الإماءة، وكان الدرهم والدنانير / وزنها.

ويقال: كل هذه الدرهم ي يريدون وزن. وقال مرة: كل ما وزن فقد كيل.

(١) لسان العرب المحجظ - للعلامة ابن منظور إعداد وتصنيف يوسف خياط ص ٣٢٣

وفي حديث عمر رضي الله عنه: أنه نهى عن المكايضة وهي المقايسة بالقول والفعل، والمراد المكافأة السوء وترك الإغضاء والإحتمال أي تقول له وتفعل معه مثل ما يقول لك ويفعل معك، وهي مفاجعة من الكيل.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: المكيال مكيال أهل المدينة والميزان ميزان أهل مكة، قال أبو عبيدة: يقال إن هذا الحديث أصل لكل شيء من الكيل والوزن وإنما يأتى الناس فيما بأهل مكة وأهل المدينة، وإن تغير ذلك فيسائر الأمصار ألا ترى أن أصل التمر بالمدينة كيل وهو يوزن في كثير من الأمصار، وأن السمن عندهم وزن وهو كيل في كثير من الأمصار؟

والوزن أن كل ما لزمه اسم المختوم والقفير والمكوب والمد والصاع فهو كيل، وكل ما لزمه اسم الأرطال والأوaci والأمناء فهو وزن، قال أبو منصور / والتمر أصله الكيل فلا يجوز أن يباع منه رطل بروط ولا وزن بوزن لأنه إذا رد بعد الوزن إلى الكيل تفاضل إنما يباع منه كيلاً بكيل سواء براءه، وكذلك ما كان أصله موزوناً فإنه لا يجوز أن يباع منه كيل بكيل لأنه إذا رد إلى الوزن لم يؤمن فيه التفاضل قال: وإنما احتاج إلى هذا الحديث لهذا المعنى، ولا يتهافت الناس في الربا الذي نهى الله عز وجل عنه، وكل ما كان في عهد النبي ﷺ، بمكة والمدينة مكيلاً فلا يباع إلا بالكيل وكل ما كان بها موزوناً فلا يباع إلا بالوزن لثلا يدخله الربا بالتفاضل، وهذا في كل نوع يتعلق به أحكام الشرع من حقوق الله تعالى دون ما يتعامل به الناس في بيعاتهم، فاما المكيال فهو الصاع الذي يتعلق به وجوب الزكاة والكافارات والنفقات وغير ذلك، وهو مقدر بكيل أهل المدينة دون غيرها من البلدان، فهذا الحديث، وهو مفعال من الكيل والميم فيه للآلية، وأما الوزن فيزيد به الذهب والفضة خاصة لأن حق الزكاة يتعلق بهما، ودرهم أهل مكة ستة درانين، ودراهم الإسلام المعدلة كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل، وكان أهل المدينة يتعاملون بالدراهم عند مقدم سيدنا رسول الله ﷺ بالعدد فأرشدهم إلى وزن مكة، وأما الدنانير فكانت تحمل إلى العرب من الروم إلى أن ضرب عبد الملك بن مروان الدينار في أيامه، وأما الأرطال والأمناء فلنناس فيها عادات مختلفة في البلدان وهم معاملون بها محرون عليها.

وقد ذكر مجمع^(١) اللغة العربية عن الكيل ما يلي:
ك ي ل.

(كالوهم - كلتم - اكتالوا - نكتل - الكيل - المكيال).

١ - كال القمع ونحوه بكيله كيلاً: قدره بمكيال. أي وعاء مصطلح على التقدير به.

ويقال: كلت المشتري القمع: أعطيته إياه مقدراً بالكيل.

٢ - اكتال القمع ونحوه: اشتراه كيلاً. ويقال: اكتال عليه القمع ونحوه: اشتراه منه كيلاً.

كالوهم: **﴿وإذا كالوهم أو وزنوه يخسرون﴾** ٣ / المطففين، أي إذا باعوا الناس القمع ونحو ذلك مقدراً بالكيل.

كلتم: **﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾** ٣٥ / الإسراء، أي إذا بعتم الأشياء مقدرة بالكيل.

اكتالوا: **﴿والذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾** ٢ / المطففين، أي اشتروا من الناس القمع ونحوه كيلاً.

نكتل: **﴿فأرسل معنا أخانا نكتل﴾** ٦٣ / يوسف، أي نحصل على ما نحتاج إليه مقدراً بالكيل.

٣ - الكيل.

أ - الكيل بمعناه المصدري تقدير القمع ونحوه بمكيال معين، أو بيع القمع ونحوه مقدراً بمكيال.

ب - الكيل: ما يكال من قمع ونحوه، وهو بهذا المعنى من قبيل إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول مثل خلق بمعنى مخلوق، وزرع بمعنى مزروع.

(١) مجمع اللغة العربية - معجم ألفاظ القرآن الكريم - تصدر د. إبراهيم مذكر رئيس المجمع ص ٥٨٢ - ٥٨٣.

الكيل: «وأوفوا الكيل والميزان بالقسط»، ١٥٢/الأنعام، أي أجعلوا تقديركم لما تکيلون تقديرًا وافيًّا عادلًا، واللفظ بهذا المعنى في ٨٥/الأعراف و ٨٨/يوسف و ٣٥/الإسراء، و ١٨١/الشعراء و: «فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي» ٦٠/يوسف، أي فليس عندي ما أکيله لكم، واللفظ بهذا المعنى في ٦٣/٦٥ (مكرر) يوسف أيضًا.

ج - الكيل: الوعاء الذي يکال به، وبذلك فسرت الآياتان السابقتان ١٥٢/الأعراف و ٨٥/الأعراف.

د - المکیال/ الوعاء الذي يکال به.

المکیال: «ولا تنقصوا المکیال والمیزان» ٨٤/هود، أي لا تنقصوا ما تکيلون به شيئاً مما يسعه واللفظ في ٨٥/هود أيضًا.

وقيل أن المراد هنا هو ما يکال من قمح ونحوه، وعلى هذا يكون المعنى: ولا تبيعوا القمح وغيره ناقصاً أقل مما يستحقه المشتري، وقيل: المراد هو الكيل نفسه والله أعلم.

٣ - تعريف المکایل

إن المکایل عبارة عن وحدة اقتصادية معينة لقياس وزن معين ومقدار وحجم معين، وقد اتخد اسم الوزن الاقتصادي لقياس المحاصيل الاقتصادية بالمکیال حيث أن بعض المحاصيل الزراعية الاقتصادية لا توزن إلا بهذه المکایل ذات الأحجام المختلفة التي حددت السلطة لها مقاييس معينة من المکایل، وتعارف أهل الاقتصاد من التجار في الأسواق على هذه المقاييس من المکایل وبالتالي تحديد مقاييس المکایل يمكن التجار من تحديد قيمة وثمن كل مکیال.

٤ - خواص المکایل:

لقد استعمل المکیال في تقييم القمح والغلال المعطاة من صوامع

الغالل، وبهذا حددت خواص المكيال بحجم معين وبشكل معين، وبالتالي فإن المكيال خواصه عرفها التاجر والمشتري وحددت ثمن البضاعة حسب المكيال حيث أن خواص البضاعة التي توزن في المكيال هي بضاعة سائلة غير متجمدة كالزيت والقمح والشعير والحبوب فهي بضاعة غير متمسكة، لذلك استعمل نظام المكاييل لخواص معينة واستعمالات معينة من البضاعة.

٥ - استعمال المكاييل :

إن استعمال مكيال القمح لا يصلاح إلا سواه في تكبيل بضاعة معينة من الموارد الزراعية كالقمح والشعير والأرز والذرة، وكذلك المواد السائلة كالسمن والزيت وغير ذلك من الإستعمالات التي لا تصلح إلا باستعمال المكيال الذي له خواص وشكل معين اعتمدته الدولة بمقاييس معينة وصار عرفاً بين التجار.

٦ - أنواع المكاييل :

إن المكاييل قد اعتمدها الدولة وصارت عرفاً بين التجار والمشترين، ولهذا أصبح لها أشكال وأنواع منها الصغير والأوسط والأكبر، وقد حددت الدولة هذه الأنواع من المكاييل ليتوازن ثمن البضاعة بقيمتها حسب وزنها الحقيقي ولتعطى العدالة الاقتصادية بين البائع والمشتري.

وعندما تقرأ الأحاديث النبوية الشريفة التي تحدثت عن أنواع وخواص المكاييل نأتي إلى ما جاء في كتاب الأموال للحافظ الحجة أبي عبيد القاسم بن سلام:

١٥٦٨ - قال أبو عبيدة: وجَدْنَا الإِثَارَ قد نقلت عن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين بعدهم بثمانية أصناف من المكاييل: الصاع ، والمد ، والفرق ، والقسط ، والمدى ، والمحظوم ، والقفيز ، والمكوك . إِلَّا أَنْ عَظِمَ ذَلِكَ فِي الْمَدِ وَالصَّاعِ .

١٥٨٨ - فإن الأشجعي حدثنا عن سفيان عن خالد عن أبي قلابة قال:
«الوسم ستون صاعاً».

١٥٨٩ - قال: حدثنا هشيم عن يونس عن الحسن. ومغيرة عن
إبراهيم قالا: الوسم ستون صاعاً^(١).

١٥٩٠ - قال: وحدثنا معاذ عن أشعث عن الحسن وابن سيرين قالا:
«الوسم ستون صاعاً».

١٥٩١ - قال: حدثنا محمد بن عبيد عن إدريس الأولي عن عمرو بن
مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري - رفعه - قال: «ليس في أقل
من خمسة أوسق صدقة. والوسم ستون مختوماً».

قال أبو عبيد والمختوم ها هنا هو الصاع بعينه، وإنما سمي مختوماً لأن
الأمراء جعلت على أعلاه خاتماً مطبوعاً لثلا يزاد فيه، ولا ينتقص منه.

وقد اختلف أهل الحجاز وأهل العراق في مبلغ الصاع: كم هو؟

١٥٩٢ - فحدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمданى عن
الحجاج بن أرطأة عن الحكم عن إبراهيم قال: «كان صاع النبي ﷺ ثمانية
أرطال، ومده رطلين^(٢)».

١٥٩٣ - قال أبو عبيد: وكان شريك بن عبد الله يقول: «الصاع أقل
من ثمانية أرطال، وأكثر من سبعة».

١٦٠٥ - قال أبو عبيد: وهذا هو الذي عليه العمل عندي. لأنني مع
الجماع قول أهل الحجاز عليه - تدبره في حديث يروى عن عمر، فوجدته
موافقاً لقولهم.

١٥٩٤ - قال: وبلغني عن جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد

(١) فيكون أقل نصاب الزرع ثلاثة صاع.

(٢) وهذا موافق للأحاديث التي ذكرت أنه كان يغسل بيانه يسع ويتوضاً بربطلين وهو ما يساويان مداً كما قدمنا.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلٍ أنه قال: «الصاع يزيد على الحجاجي^(۱) مكياً».

١٥٩٥ - وكان ابنته محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلٍ قاضي الكوفة يقول: الصاع مثل الحجاجي أو أرجح شيئاً.

١٥٩٦ - وأما سفيان فكان يقول: هو مثل القفيف الحجاجي، ولم يصفه بزيادة عليه ولا نقصان.

١٥٩٧ - قال أبو عبيدة: والحجاجي قفيف كل الحجاج بن يوسف اتخذه على صاع عمر. كذلك يروى عنه.

١٥٩٨ - قال: حدثني عبد الله بن داود عن علي بن صالح بن حي عن أبي إسحاق موسى بن طلحة قال. القفيف الحجاجي صاع عمر.

١٥٩٩ - قال، وحدثني عبد الله بن داود عن الحسن بن صالح بن حي عن مجاهد عن الشعبي قال: القفيف الحجاجي صاع عمر.

١٦٠٠ - قال أبو عبيدة. سمعت محمداً^(۲) غير مرة يقول: الحجاجي هو ربع الهاشمي، وهو ثمانية أرطال.

١٦٠١ - قال أبو عبيدة: وإنما ترى أهل العراق ذهبوا إلى أن الصاع ثمانية أرطال لأنهم سمعوا أن النبي ﷺ كان يغسل بالصاع. وسمعوا في حديث آخر. أنه كان يغسل بثمانية أرطال. وفي حديث آخر. أنه كان يتوضأ بربطين. فتوهموا أن الصاع ثمانية أرطال لهذا.

وقد اضطرب مع هذا قولهم. فجعلوه أنقص من ذلك.

١٦٠٢ - وأما أهل الحجاز فلا اختلاف بينهم فيه أعلم. أن الصاع عندهم خمسة أرطال وثلث، يعرفه عالمهم وجاهلهم، وبياع في أسواقهم، ويحمل علمه قرن عن قرن.

(۱) نسبة إلى الحجاج بن يوسف التقي أمير العراق لعبد الملك بن مروان.

(۲) هو محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة.

١٦٠٤ - وبه كان يفتى يزيد بن هارون.

١٦١٨ - فاما زكاة الأرضين فإنها إذا كانت بهذا المكوك عشرين ومائة من حنطة أو شعير، أو تمر، أو زبيب: وجبت فيها الزكاة، فإن كان سقيها بغالاً أو غيلاً: فالعاشر وإن كان بالنواضج والغرب فنصف العشر. وذلك لأنّ الزكاة تجب في خمسة أوسق، والوسع ستون صاعاً. فجميعبها ثلاثة صاع، وهي عشرون ومائة مكوك، لأنه كما أعلمتك - صاعان ونصف. ومبلغها من أقرتنا هذه خمسة عشر قفيزاً سواء. فهذه صدقة الأرضين.

١٦١٩ - وأما زكاة الفطر فإن صاحبها فيها بال الخيار، إن شاء جعلها برأً، وإن شاء جعلها تمراً، أو شعيراً، أو زبيباً، فإن اختار التمر، أو الشعير، أو الزبيب، فإن هذا المكوك، يجزي عن نفسين ونصف، لأنه صاعان ونصف. وإن اختار البر، فإن أحب الأمرين إلى له أن لا ينتقص من مكيلة الصاع شيئاً. لأن أكثر الآثار عليه^(١)، وهو أفضل عندي من التمر والشعير. وإن جعله نصف صاع برأً كان مجزياً عنه. لأنه قد أفتى به عدة من أهل العلم وصاع تمر، أو صاع شعير، أحب إلى من نصف صاع برأ، وإن كان مجزياً. لأنه هو أشد موافقة للإجماع^(٢).

(١) ولا شك أن أهل الحجاز أعلم بهذا من أهل العراق، ولهذا رجع الصاحبان محمد وأبو يوسف إلى قول مالك، وقال محمد لمالك: لو سمع أبو حنيفة ما سمعت لرجح.

(٢) روى الجماعة عن أبي سعيد: (كنا نخرج زكاة الفطر إذ كان فينا رسول الله ﷺ صاعاً من طعام أو صاعاً تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب أو صاعاً من أقط، فلم نزل كذلك حتى قدم علينا معاوية المدينة فقال: إني لأرى مدین من سمراء الشام يعدل طعاماً من تمر، فأخذ الناس بذلك، قالوا أبو سعيد أما أنا فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه).

(٣) قال النووي: تمسل بقول معاوية من قال بالمدين من الحنطة، وفيه نظر لأنه فعل صحابي قد خالف فيه أبو سعيد وغيره من هو أطول صحبة منه وأعلم به حال النبي ﷺ وقد صرخ بأنه رأى لا أنه سمعه من النبي ﷺ، قال ابن المنذر: لا نعلم في القمح خبراً ثابتاً عن النبي ﷺ يعتمد عليه.

١٦٢٣ - قال أبو عبيد: فقد فسرنا ما في الصاع من السنن، وهو كما أعلمتك خمسة أرطال وثلث. والمد ربعه، وهو رطل وثلث. وذلك بربطنا هذا الذي وزنه مائة درهم وثمانية وعشرون درهماً، وزن في الدرادم. ومعرفة وزنها علم أيضاً.

تحليل :-

من خلال الأحاديث النبوية الشريفة عرفنا أنواع المكاييل ومقدارها وحجمها وخصائصها والفرق بين كل منها، وهكذا تؤكد الشريعة الإسلامية السمححة تحديد مقدار المراد تكييله أو وزنه وفق شرع وحدود الله عزوجل... .

ثالثاً: الصفات العامة للموازين والمكاييل والفرق بينهما

لقد أعطت قصة شعيب عليه السلام مدلولات وتعاريف إسلامية في الاقتصاد حيث ذكر الميزان وتبعه الكيل.. وبهذا بين الله تعالى لنا أنه يوجد فرق في الميزان والمكيل حيث أن كل واحد منها له استعمالاته الخاصة ومدلوله وخواصه وأنواعه.. ولهذا ذكر في القرآن الكريم كل نوع قائم بذاته...

ومن ذلك يتضح أن الميزان له استعمالاته الخاصة، حيث أن الميزان يوزن فيه البضائع المتماسكة المتينة ذو شكل ومقاس محدود، كذلك توزن أعمال الناس كوحدة قياسية... أما المكاييل فله صفات أيضاً معينة وخواص واستعمالات مختلفة عن الميزان حيث أن استعماله في البضائع التي لها وزن أو حجم غير متماسك مثلاً كالحبوب والغلال... ولهذا يستعمل المكاييل فيها والتي بينها الله تعالى لنا في سورة يوسف حيث كان استعمالهم للمكاييل.

بين الله تعالى في مجال المكاييل والموازين أموراً يتحقق فيها الحق والعدالة الاقتصادية بين البائع والمشتري وذلك بوزن أو كيل البضاعة ومعرفة وزنها وتقدير قيمتها حتى يتثنى وضع سعر هذه البضاعة بعد معرفة وزنها أو كيلها.

وفيما يلي بعض الفروق بين المكاييل والموازين، وأهمها:-

١ - المكاييل من قصة يوسف عليه السلام ذكر المكاييل في مجال وزن

الجوب، فله طابع معين يختلف عن الميزان أي أن الجوب لا نقدر أن نزنها بالميزان لأن الجوب بضاعة سائلة أي غير متماسكة وليس لها شكل معين نستطيع معها أن نضعها منفردة في الميزان، ولذلك وضعت في المكيال.

ومعنى ذلك أن المكيال له شكل وخصائص معينة كما ذكر الله تعالى : **﴿قالوا نفقد صواع الملك...﴾ الآية (٧٢) من سورة يوسف** ، أي أن المكيال وحدة متماسكة له شكل معين يستعمل في الجوب ومثيلها من الأرزاق.

٢ - كذلك عندما يذكر الميزان وذكر المكيال فمعنى ذلك أن الميزان يؤخذ بالمعنى اللغوي العدل ومعرفة الحقيقة لوزن البضاعة، أما عن استعماله فإنه يستعمل في المواد المتجمدة التي لها أشكال معينة وهي بعكس استعمالات المكيال كما ذكرت قصة يوسف.

٣ - عندما ذكر الله تعالى المكيال بكيلة الجوب وكذلك استعمال الميزان نجد أنهما يؤديان إلى غرض اقتصادي حقيقي وهو قياس قيمة البضاعة ومعرفة وزنها وتقدير ثمنها حسب حجم البضاعة.

٤ - ولهذا فإن المكيال والميزان وحدتان اقتصاديتان أساسستان تستعملان لوزن البضاعة ومعرفة حجم وزنها ومقداره حتى يتسعى تقدير وزن البضاعة ومن ثم معرفة قيمتها أي أنهما يتفقان في تحقيق وزن البضاعة.

٥ - لقد اتخذت أشكال وأنواع عديدة من الموازين والمكيال في الأسواق وبين الشعوب سواء من عصر يوسف عليه السلام أو قبله منذ أن وطئ آدم والبشر الأرض حتى وقتنا الحالي ، وهو يستعمل أنواعاً متعددة من الموازين والمكيال ، ولها أسماء معينة ولكنها كلها تؤدي إلى تحقيق ومعرفة الوزن الحقيقي للبضاعة.

٦ - تبين من قصة يوسف عليه السلام استعماله المكيال في التجارة بين

الشعوب المجاورة، وهذا يعطينا أن الموازين والمكاييل كانت تستعمل في التجارة الداخلية والتجارة الخارجية بين شعوب الأرض.

وقد جاء في كتاب الأموال للإمام الحافظ الحجة أبي عبيد القاسم بن سلام:

١٦٠٦ - حدثني ابن بكر عن الليث بن سعد عن كثير بن فرقد ومحمد بن غنوج عن نافع عن أسلم. «أن عمر ضرب الجزية على أهل الذهب أربعة دنانير وأرزاق المسلمين من الحنطة مدینین وثلاثة أقساط زيت لكل إنسان كل شهر، وعلى أهل الورق أربعين درهماً وخمسة عشر صاعاً لكل إنسان. ولا أحفظ ما ذكر ما في الودك».

قال أبو عبيد: فنظرت في حديث عمر هذا، فإذا هو قد عدل أربعين درهماً بأربعة دنانير، لأن أصل الدنانير أن يعدل الدينار بعشرة دراهم. وكذلك عدل مدینین من طعام بخمسة عشر صاعاً. وجعلها موازينة لهما، ففايرت الأمداد والصيغان وجمعت بينها، ثم اعتبرتها بالوزن فوجدت المديين نيفاً وثلاثين رطلاً. ووجدت خمسة عشر صاعاً ثمانين رطلاً، على قول أهل المدينة: فهذه زيادة يسيرة متقاربة وإنما زاد ذلك النيف على الشهرين - فيما ظنت - بقدر ما يكون بين الطعامين من الرزانة والخففة، ووجدت خمسة عشر صاعاً على قول أهل العراق عشرين ومائة رطل وهذه زيادة متفاوتة. فعرفت بهذا أن الصاع كقول أهل الحجاز: خمسة أرطال وثلث.

ثم صدق ذلك وثبته حديث النبي ﷺ: «المكيال مكيال المدينة والميزان ميزان مكة»^(١).

(١) في التلخيص الحبير رواه البزار واستغربه وأبو داود والنسائي وصححه ابن حيان والدارقطني والنوعي. قال ابن حزم: اتفق الثقات أن دينار الذهب بمكة اثنان وثمانون حبة وثلاثة عشر حبة شعير مطلق. والدرهم سبعة عشر المثقال. فالرطل ١٢٨ بالدرهم المذكور.

وجاء في كتاب مكة في عصر ما قبل الإسلام^(*) بشأن الأعداد والمكاييل والموازين والمقاييس... ما يلي :

في القرآن ذكر للأعداد ومضاعفاتها من آحاد وعشرات ومئات وألوف ومئات الآلوف، كما ورد ذكر كسور الأعداد من نصف وثلث وربع وخمسة وسدس وثمن وعشر، الأمر الذي يدل على أن العرب بعامة وأهل المدن بنوع خاص كانوا على علم بالحساب من ضرب وقسمة وجمع وطرح وكسور.

وكانت المكاييل والموازين والمقاييس أيضاً معروفة عند العرب، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم، ولكنها ذكرت دون تعين إلا القنطار والذراع على غموض في مقدارهما... وقد جاء ذكر الكيل والميزان والقسطاس في مناسبات أكثرها جاء في معرض الأمانة والبحث عن الإستقامة في الكيل والوزن، مما يدل على أنه كانت توجد مكاييل وموازين، وأن هذه المكاييل والموازين كان بعضها مضبوطاً وبعضها غير مضبوط، والآيات القرآنية تحت على استعمال المضبوط منها، مما يدل على أن حيل الغش فيها كانت فاشية وأن التجار كانوا يستغلون جهل المتعاملين معهم وبخاصة أهل البدية، فيأخذون منهم وزناً أو كيلاً وانياً ويبيعون لهم بمكاييل وموازين غير وافية.

وقد بين الله تعالى صورة المقصر في عبادته والظالم لنفسه، يقول سبحانه في سورة القارعة:

﴿فَأَمَّا مَنْ نَقْلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾
﴿وَأَمَّا مَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأَمَّهُ هَكَاوِيَةٌ﴾. (الآيات من ٦ حتى ٩).

ويمكن أن نستدل من آيات سورة القارعة (٦ حتى ٩) أن الميزان المستعمل في الأسواق كان هو الميزان ذو الكفتين... كما نعرف من المكاييل الصاع والمد وهو ربع الصاع، وأن الصاع وحدة الكيل وأنه يساوي

(*) مكة في عصر ما قبل الإسلام - تأليف السيد أحمد أبو الفضل عوض الله - ص ١٤٧.

وزن خمسة أرطال وثلث، كما كان الرطل مكيالاً أيضاً. كما كانوا يعرفون الأوقية والنش: (وهو نصف الأوقية) وأن الأوقية كانت تساوي أربعة وعشرين درهماً، وأنه كانت توزن بها المعادن كالذهب والفضة، وكذلك المثقال وهو درهم وثلاثة أرباع الدرهم.

المبحث الثالث:

أولاً: القرآن الكريم يؤكّد دعوة شعيب عليه السلام: -

وقد فسر أفاضل العلماء ما ذكرته سورة المطففين الآية (١) عن دعوة شعيب عليه السلام بما يلي: -

﴿وَيَلِلْمُطَفِّفِينَ﴾.

قال الإمام الطبرى^(١):

يقول تعالى ذكره الوادى الذى يسيل من صديد أهل جهنم فى أسفلها للذين يطففون يعني للذين ينقصون الناس ويخسرونهم حقوقهم فى مكاييلهم.

وورد في تفسير الإمام ابن الجوزي^(٢):

وقال ابن قتيبة، المطفف: الذي لا يوفي الكيل، يقال: إناء طفان، إذا لم يكن مملوءاً، وقال الزجاج: إنما قيل: مطفف لأنّه لا يكاد يسرق في الميزان والمكيال إلا الشيء العظيف، وإنما أخذ من طف الشيء، وهو جانب.

(١) الإمام الطبرى - سورة المطففين - الآية (١) ص ٥٧.

(٢) الإمام ابن الجوزي - سورة المطففين - الآية (١) ص ٥١.

وجاء في تفسير الإمام أبو السعود^(١):

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطْفَفِينَ﴾ قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الأليم، وقيل: هو وادٍ في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره.

والتطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما يبخس شيء طفيف حقير، وروى أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكان أهلها من أخبث الناس كيلاً فنزلت: فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ، وقيل: قدمها عليه الصلاة والسلام وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالأخر، وقيل: كان أهل المدينة تجارة يطففون، وكانت بياعاتهم المنايدة والملامسة والمخاطرة، فنزلت فخرج رسول الله ﷺ فقرأها عليهم وقال: «خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طفروا الكيل إلا منعوا النبات وأخذدوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر».

وقال الإمام القرطبي^(٢) :

روى النسائي عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطْفَفِينَ﴾ فَأَحْسَنُوا الْكَيْلَ بعد ذلك.

قال الفراء: فهم من أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا. وعن ابن عباس أيضاً قال: هي أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ ساعة نزل المدينة وكان هذا فيهم، كانوا إذا اشتروا استوفوا بكيل راجح، فإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان، فلما نزلت هذه السورة انتهوا، فهم أوفى الناس كيلاً إلى يومهم هذا.

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ﴾ أي شدة عذاب في الآخرة. وقال ابن عباس:

(١) الإمام أبو السعود - سورة المطففين - الآية (١) ص ١٢٤ م ١٧.

(٢) الإمام القرطبي - سورة المطففين - الآية (١) ص ٧٠٤١.

إنه واد في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار، فهو قوله تعالى: **﴿وَيُولِّ لِلْمَطْفَفِينَ﴾** أي الذين ينقصون مكاييلهم وموازينهم... وروي عن ابن عمر قال: المطفف الرجل يستأجر الكيال وهو يعلم أنه يحيف في كيله فوزه عليه. وقال آخرون: التطفيق في الكيل والوزن والوضع والصلة والحديث.

قال أهل اللغة: المطفف مأخوذ من الطفيف وهو القليل، والمطفف هو المقل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن.

المطفف هو الذي يخسر في الكيل والوزن ولا يوفي حسب ما بيته، وروى ابن القاسم عن مالك أنه قرأ: **﴿وَيُولِّ لِلْمَطْفَفِينَ﴾**، فقال: لا تطفف ولا تخلب ولكن أرسل وصب عليه صبا حتى إذا استوفى أرسل يدك ولا تمسك.

وجاء في تفسير الشيخ المراغي^(١):

﴿وَيُولِّ لِلْمَطْفَفِينَ﴾، أي عذاب وخزي شديد يوم القيمة لمن يطفف في المكيال والميزان.

وقد خص بحانه المطففين بهذا الوعيد، من قبل أنه كان فاشياً منتشرأً بمكة والمدينة، فكانوا يطففون المكيال ويبخسونه ولا يوفون حق المشتري.

وروى أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له كيلان أحدهما كبير والثاني صغير، فكان إذا أراد أن يشتري من أصحاب الزروع والحبوب والثمار اشتري بالكيل الكبير، وإذا باع للناس كان للمشتري بالكيل الصغير.

هذا الرجل وأمثاله من امتلأت نفوسهم بالطمع، واستولى على نفوسهم الجشع هم المقصودون بهذا الوعيد الشديد، وهم الذين توعدهم النبي ﷺ بقوله: «خمس بخمس... ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حکموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة المطففين - الآية (١) ص ٦١ ج ٣٦

فيهم الموت ، ولا طفقو الكيل إلا منعوا النبات ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر».

وقال الأستاذ سيد قطب^(١) :

تبدأ السورة بالحرب يعلنها الله على المطوفين: «ويل للمطوفين» والويل: الهلاك... وسواء كان المراد هو تقرير أن هذا أمر ماضٍ ، أو أن هذا دعاء... فهو في الحالين واحد فالدعاء من الله قرار.

وقال الإمام ابن العربي^(٢) :

روى النسائي ، عن ابن عباس ، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله عز وجل: «ويل للمطوفين» فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

قال علماء اللغة: المطوفون هم الذين ينقصون المكيال والميزان... . وقيل له المطوف، لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلا شيء الطفيف مأخوذ من طف الشيء وهو جابه. ومنه الحديث: «كلكم بنو آدم طف الصاع»، يعني بعضكم قريب من بعض، فليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى.

كما قال الشيخ طنطاوي جوهري^(٣)

هم الأقوام الذين يطففون المكيال والميزان ، وهذا أظهر أنواع الظلم عند العامة والخاصة ، وإنما ذكرنا ليدلا على سواهما ، فإن القصر المنظم لا تبقى له قائمة إلا بحسن النظام ، والنظام يكون في كل شيء ، فهكذا لا يتم نظام النوع

(١) الأستاذ سيد قطب - سورة المطوفين - الآية (١) في ظلال القرآن - ص ٣٨٥٣ .

(٢) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي - ٤٦٨ هـ - ٥٤٣ هـ ، تحقيق علي محمد الجاوي - ص ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ - سورة المطوفين - الآية (١) . م ٤ .

(٣) الجوهر في تفسير القرآن الكريم - الشيخ طنطاوي جوهري - سورة المطوفين - الآية

(١) ص ٩٥ - ج ٢٥ .

الإنساني إلا بالعدل في كل شيء. ومنه الكيل والميزان، فليكن العدل في جميع الأحوال من قول و فعل و مجامدة.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطْفَفِينَ﴾ التطفيف البخس في الكيل والوزن. وذلك لأن ما يبخس إنما هو شيء طفيف حقير. فالذين ينقصون المكيال والميزان لا يسرقون منها إلا الشيء اليسير.

وقال الدكتور محمد فريز منفيخي^(۱) في ذلك :-

أفرد الله عز وجل في سورة لسميتها باسم العصاة المطففين وذلك لفتاً لأنظار الناس إلى خطورة هذا السلوك الذي استحق عليه وعلى كفرهم قوم شعيب الإهلاك الكامل والدمار الشامل، من هنا يتبيّن مدى اهتمام الدين بعلاقات الناس ومعاملاتهم المادية بحيث اهتم ونظم وأرشد إلى كل ما فيه سعادة الإنسان في علاقته بنفسه وبمجتمعه وبربه. وسورة المطففين آياتها ست وثلاثون نزلت بمكة آخر سورة.

التطفيف البخس في الكيل والوزن، وسمي بذلك لأن ما يبخس شيء حقير طفيف وفصلت الآيات في هذه السورة أعمال المطففين بالتفصيل وبينت عقوبتهما على ذلك وزجرهم عليها.

التحليل الاقتصادي :-

ذكر الله تعالى هذا التهديد الواضح: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطْفَفِينَ﴾، وقد أوضح أفضل العلماء أن الذين ينقصون المكيال والميزان - من الناحية الاقتصادية - هم أطراف العملية التجارية التي تتم بين البائع والمشتري وهم:-
أ : التجار الذين يزاولون العمليات التجارية بالإقتصاد التطبيقي العملي في بيع سلعهم ومنتجاتهم.

(۱) الدكتور محمد فريز منفيخي - النظام الاقتصادي القرآنى - ص ۱۱۲۴ .

ب : المستهلك وهو الشخصية الاعتبارية الأساسية في هذه العملية التجارية ، لأن عملية الإنفاق التجاري للمستهلك وأسعار البضاعة جعلت الأساس في التاجر وتطفيه للميزان أو الكيل .

ج : السلعة أو البضاعة التجارية المراد بيعها أو شرائها فإنها الطرف الثالث في هذه الدورة الاقتصادية للتجارة في البيع والشراء .

ويهمنا في هذا كله تحديد الفئة التي خصها الله تبارك وتعالى بهذا التهديد والوعيد والذين يزاولون عمليات البيع والشراء سواء في الأسواق أو المتاجر الخاصة .

فقد أوضح الله عز وجل ما يلي :-

١ - أن المدلول الاقتصادي كلمة : «ويل للمطغفين» قصد به تطبيق حد من حدود الله تبارك وتعالى ليلتزم به المسلمون في تعاملهم ، فيتجنبوا البخس والتطفيف . . . وبهذا فقد أرشدنا الله عز وجل إلى نظام اقتصادي ثابت وراسخ في عمليات البيع والشراء كي نزاوله في حياتنا التجارية حتى تستقر حياتنا بالأموال الحلال .

٢ - إن هذه الآية الكريمة أوضحت مدى التخلف الاقتصادي الذي كان يعيش فيه تجار المدينة قبل مجيء الرسول ﷺ خاصة من ناحية الكيل والميزان . . .

وهذه الآية الكريمة تعتبر من المصايب المضيئة في الاقتصاد الإسلامي والتي أنارت طريق المسلمين للخير والنماء والبركة .

٣ - من الجانب الاقتصادي للسوق التجاري وحركته الدورية اليومية والنشاط الاقتصادي ، فلولا ما تمت به قوم شعيب من رواج في الأسواق لكسد الاقتصاد وقل الطلب وكذا انفاق المستهلك للمشتريات .

وجاء في تفاسير العلماء للأيتين (٢ ، ٣) من سورة المطففين ، ما يلي :-

﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَوْلَ النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۚ وَإِذَا كَلُوْهُمْ أَوْرَثُوْهُمْ يُخْسِرُوْنَ ۚ﴾ . (الأيتان ٢ ، ٣) من سورة المطففين .

قال الإمام الطبرى^(١) :-

إذا كالوهم أو موازينهم إذا وزنا لهم عن الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف وهو القليل التزير والمطuff المقلل حق صاحب الحق عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن.

وقال الإمام الزمخشري^(٢) :-

روى أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس كيلاً، فنزلت فأحسنوا الكيل، وقيل: قدمها وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، وقيل: كان أهل المدينة تجاراً يطففون، وكانت بياعاتهم المناizza والملامسة والمخاطرة فنزلت، فخرج رسول الله ﷺ فقرأها عليهم وقال: خمس بخمس... قيل: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: «ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر».

أي يستوفون على الناس خاصة، فاما أنفسهم فيستوفون لها...

وذلك أن المعنى إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا أعطوهם أخسروا.

قوله تعالى: «الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون»، قال فيه: لما كان اكتيالهم على الناس اكتيالاً يضرهم... إلخ، وإنما يكون نظم الكلام على هذا الوجه إذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه، وإذا كان الكيل من جهةهم خاصة أخسروه وسواء باشروه أو لا، وهذا أنظم كلام وأحسنه... والله أعلم.

﴿يُخسرون﴾ ينتصرون يقال خسر الميزان وأخسره.

(١) الإمام الطبرى - سورة المطففين - الآياتان (٢، ٣) ص ٥٧ .

(٢) الإمام الزمخشري في الكشف - سورة المطففين (الآياتان ٢، ٣) ص ٢٣٠ م ٤ .

وقال الإمام أبو السعود^(١) :-

هذه صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل أي إذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافياً وافراً.

فإن المراد بالإستيفاء ليس أخذ الحق وافياً من غير نقص بل مجرد الأخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأي وجه تيسر من وجوه الحيل، وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والإحتيال في ملئه، وأما ما قيل من أن ذلك للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل أن يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع أنه الشائع فيما بينهم يقتضي أن يكون معنى الاستيفاء أخذ مالهم عليهم وافياً من غير نقص إذ هو المتبادر منه عند الإطلاق في معرض الحق فلا يكون مداراً لذمهم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيداً جداً مما لا يجدي نفعاً، فإن اعتبار كون المكيل لهم حالاً أو مالاً لا يستدعي كون الإستيفاء بالمعنى المذكور حتماً... أي يستوفون على الناس خاصة، فاما أنفسهم فيستوفون لها. «وإذا كالوهם أو وزنوهم» للناس أي إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع ونحوه. «يخسرون» أي ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره.

ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الإحسان والإقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الإتزان تمكنتهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لأن مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الأخذ والإعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى .

(١) الإمام أبو السعود - سورة المطففين - الآيات (٢ ، ٣) ص ١٢٦ م ١٧ .

وقال الإمام القرطبي^(١) :-

قال الفراء: أي من الناس، يقال: اكتلت منك أي استوفيت منك، ويقال: اكتلت ما عليك أي أخذت ما عليك. وقال الزجاج: أي إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل، والمعنى: الذين إذا استوفوا أخذوا الزيادة وإذا أوفوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا، فلا يرضون للناس ما يرضون لأنفسهم.

وقوله تعالى: «إِذَا كَالُوكُلُومْ أَوْ وَزَنُوكُلُومْ»، أي كالوا لهم أو وزنوا لهم إذا كالوا «الناس» «أَوْ وَزَنُوكُلُومْ يَخْسِرُونَ» وفيه وجهان، أحدهما: أن يراد كالوا لهم أو وزنوا لهم، أي إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم فيهم يخسرون.

قال ابن عباس، قال النبي ﷺ: «خمس بخمس: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما أنزل الله فشا فيهم الفقر، وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا ظهر فيهم الطاعون، وما طفروا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم المطر»..

آخرجه أبو بكر البزار بمعناه وممالك بن أنس أيضاً من حديث ابن عمر.

وقال الإمام أبو السعود^(٢) :-

صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل، أي إذا اكتالوا من الناس مكييلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافياً وافراً، وتبدل كلمة على بمن لتضمين الاتكىال معنى الاستياء أو للإشارة إلى أنه اكتيال مضر بهم، لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمة إذا لإخلاله بالمعنى، بل في نفس الأمر بموجب الجواب فإن المراد بالإستياء ليس أخذ الحق وافياً من غير نقص بل مجرد الأخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأي وجه تيسر من وجوه الحيل، وكانوا يفعلونه بكبس المكييل وتحريك المكيال والإحتيال في ملئه وأما ما قيل من أن ذلك للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل أن يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع أنه الشائع فيما بينهم

(١) الإمام القرطبي - سورة المطففين - (الأياتان ٢ ، ٣) ص ٧٠٤٦ .

(٢) الإمام أبو السعود - سورة المطففين (الأياتان ٢ ، ٣) ص ١٢٧ .

يقتضي أن يكون معنى الإستيفاء أخذ مالهم عليهم وافياً من غير نقص إذ هو المتبادر منه عند الإطلاق في معرض الحق فلا يكون مداراً لذمهم والدعاء عليهم، وحمل مالهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيداً جداً مما لا يجدي نفعاً، فإن اعتبار كون المكيل لهم حالاً كان أو مالاً يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتماً... أي يستوفون على الناس خاصة، فاما أنفسهم فيستوفون لها... «وإذا كالوهם أو وزنوهم» للناس أي إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع ونحوه «يخسرون» أي ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره.

ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الإحسار والإقتصار على الابتياط في صورة الإستيفاء لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الابتياط عند الإتزان تمكنتهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لأن مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الأخذ والإعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى.

وقال الشيخ المراغي^(١) :

أي إذا كان لهم عند الناس حق في شيء من المكيلات لم يقبلوا أن يأخذوه إلا وافياً كاملاً، وإذا كان لأحد عندهم شيء وأرادوا أن يؤدوه له أعطوه ناقصاً غير واف.

واقتصر النظم على الابتياط حين الاستيفاء، وذكر الكيل والميزان فيه حين الإحسار، لأن التطفيف في الكيل يكون بشيء قليل لا يعبأ به في الأغلب دون التطفيف في الوزن، فإن أدنى حيلة فيه يفضي إلى شيء كثير، ولأن ما يوزن أكثر قيمة في كثير من الأحوال مما يكال، فإذا أخبرت الآية بأنهم لا يبقون على الناس ما هو قليل مهين من حقوقهم، علم أنهم لا يبقون عليهم والكثير الذي لا يتسامح فيه إلا نادراً بالطريق الأولى.

وكما يكون التطفيف في الكيل والميزان يكون في أشياء أخرى، فمن استأجر عاملأ ووقف أمامه يراقبه ويطالبه بتحجيد عمله، ثم إذا كان هو عاملأ

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة المطففين (الأياتان ٢، ٣) ص ٧١ م ٦، ج ٣٦.

أجيرًا لم يراقب ربه في العمل ولم يقم به على الوجه الذي ينبغي أن يقوم به - يكون واقعًا تحت طائلة هذا الوعيد، مستوجبًا لأليم العذاب، مهما يكن عمله، جل أو حقر، وإذا كان هذا الإنذار للمطففين الراضين بالقليل من السحت، فما ظنك بأولئك الذين يأكلون أموال الناس بلا كيل ولا وزن، بل يسلبونهم ما بآيديهم ويغلبونهم على ثمار أعمالهم، فيحرمونهم التمتع بها، اعتماداً على قوة الملك أو نفوذ السلطان أو باستعمال الحيل المختلفة.

لا جرم أن هؤلاء لا يحسبون إلا في عداد الجاحدين المنكرين ل يوم الدين، وإن زعموا بألستهم أنهم من المؤمنين المختفين.

وقال الأستاذ سيد قطب^(١) :-

ونفس الآياتان (٢، ٣) من سورة المطففين، معنى المطففين فهم الذين يتغاضون بضاعتهم وافية إذا كانوا شرارة... ويعطونها للناس ناقصة إذا كانوا بائعين... ثم تعجب الآيات الثلاثة التالية من أمر المطففين، الذين يتصرفون كأنه ليس هناك حساب على ما يكسبون في الحياة الدنيا، وكأن ليس هناك موقع جامع بين يدي الله في يوم عظيم يتم فيه الحساب والجزاء أمام العالمين : «ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم؟ يوم يقوم الناس لرب العالمين» ...

والتصدي لشأن المطففين بهذا الأسلوب في سورة مكية أمر يلفت النظر.. فالسورة المكية عادة توجه اهتمامها إلى أصول العقيدة الكلية: كتقرير وحدانية الله، وانطلاق مشيئته، وهىمته على الكون والناس... وكحقيقة الوحي والنبوة وكحقيقة الآخرة والحساب والجزاء... مع العناية بتكونين الحاسة الأخلاقية في عمومها، وربطها بأصول العقيدة... أما التصدي لمسألة بذاتها من مسائل الأخلاق - كمسألة التعفيف في الكيل والميزان - والمعاملات بصفة عامة، فأمر جاء متاخرًا في السورة المدنية عند التصدي لتنظيم حياة المجتمع في ظل الدولة الإسلامية، وفق المنهج الإسلامي، الشامل للحياة... .

(١) الأستاذ سيد قطب - في ظلال القرآن - سورة المطففين (الآياتان ٢، ٣) ص ٣٨٥٥ حتى ص ٣٨٦٣).

ومن ثم فإن التصدي لهذا الأمر بذاته في هذه السورة المكية أمر يستحق الإنبهاء... وهو يشي بعدة دلالات متنوعة، تكمن وراء هذه الآيات القصار.

إنه يدل أولاً على أن الإسلام كان يواجه في البيئة المكية حالة صارخة من هذا التطفييف يزاولها الكباء، الذين كانوا في الوقت ذاته هم أصحاب التجارات الواسعة، التي تكاد تكون احتكاراً... فقد كانت هناك أموال ضخمة في أيدي هؤلاء الكباء يتجررون بها عن طريق القوافل في رحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن وإلى الشام. كما افتتحوا أسوقاً موسمية كسوق عكاظ في موسم الحج، يقومون فيها بالصفقات ويتناشدون فيها الأشعار، والنصوص القرآنية هنا تشي بأن المطففين الذين يتهددهم الله بالويل، ويعلن عليهم هذه الحرب، كانوا طبقة الكباء ذوي النفوذ، الذين يملكون إكراه الناس على ما يريدون... فهم يكتسالون «على الناس»... لا من الناس.. فكان لهم سلطاناً على الناس بسبب من الأسباب، يجعلهم يستوفون المكيال والميزان منهم استيفاء وقسرأ. وليس المقصود هو أنهم يستوفون حقاً، وإنما فليس في هذا ما يستحق إعلان الحرب عليهم. إنما المفهوم أنهم يحصلون بالقسر على أكثر من حقهم، ويستوفون ما يريدون إجباراً. فإذا كالوا للناس أو وزنوا كان لهم من السلطان ما يجعلهم ينقصون حق الناس دون أن يستطيع هؤلاء منهم نصفة ولا استيفاء حق... . ويستوي أن يكون هذا بسلطان الرياسة والجاه القبلي أو بسلطان المال وحاجة الناس لما في أيديهم منه، واحتقارهم للتجارة حتى يضطر الناس إلى قبول هذا الجور منهم، كما يقع حتى الآن في الأسواق.. فقد كانت هناك حالة من التطفييف صارخة استحقت هذه اللفتة المبكرة... .

كما أن هذه اللفتة المبكرة في البيئة المكية تشي بطبعية هذا الدين، وشمول منهجه للحياة الواقعية وشئونها العملية، وإقامتها على الأساس الأخلاقي العميق الأصيل في طبيعة هذا المنهج الإلهي القويم. فقد كره هذه الحالة الصارخة من الظلم والإنحراف الأخلاقي في التعامل. وهو لم يتسلم بعد زمام الحياة الاجتماعية، لينظمها وفق شريعته بقوة القانون وسلطان الدولة. وأرسل هذه الصيحة المدوية بالحرب والويل على المطففين، وهم يومئذ سادة مكة، أصحاب السلطان المهيمن - لا على أرواح الناس ومشاعرهم عن طريق العقيدة

الوثنية فحسب. بل كذلك على اقتصادياتهم وشئون معاشهم. ورفع صوته غالباً في وجه الغبن والبخس الواقع على الناس وهم جمهرة الشعب المستغلين لكبرائه المتجررين بأرزاقه، المرابين المحتكرين، المسيطرین في الوقت ذاته على الجماهير بأوهام الدين... فكان الإسلام بهذه الصيحة المنبعثة من ذاته ومن منهجه السماوي موقطاً للجماهير المستغلة، ولم يكن قط مخدراً لها حتى وهو محاصر في مكة، بسطوة المتجررين، المسيطرین على المجتمع بالمال والجاه والدين...

ومن ثم ندرك طرفاً من الأسباب الحقيقة التي جعلت كبراء قريش يقفون في وجه الدعوة الإسلامية هذه الوقفة العنيفة. فهم كانوا يدركون - ولا ريب - أن هذا الأمر الجديد الذي جاءهم به محمد ﷺ ليس مجرد عقيدة تكتن في الضمير، ولا تتطلب منهم إلا شهادة منطقية، بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وصلاة يقيمونها لله بلا أصنام ولا أوثان.. كلا.. لقد كانوا يدركون أن هذه العقيدة تعني منهاجاً يحطم كل أساس الجاهلية التي تقوم عليها أوضاعهم ومصالحهم ومراكزهم، وأن طبيعة هذا المنهج لا تقبل مثنوية ولا تلتسم مع عنصر أرضي غير منبثق من عنصرها السماوي، وأنها تهدد كل المقومات الأرضية الهاابطة التي تقوم عليها الجاهلية.. ومن ثم شنوا عليها تلك الحرب التي لم تضع أوزارها لا قبل الهجرة ولا بعدها... الحرب التي تمثل الدفاع عن أوضاعهم كلها في وجه الأوضاع الإسلامية. لا عن مجرد الإعتقاد والتصور المجردين...

والذين يحاربون سيطرة المنهج الإسلامي على حياة البشر في كل جبل وفي كل أرض يدركون هذه الحقيقة.. يدركونها جيداً، ويعلمون أن أوضاعهم الباطلة، ومصالحهم المغتصبة، وكيانهم الزائف.. وسلوكهم المنحرف.. هذه كلها هي التي يهددها المنهج الإسلامي القويم الكريم...

والطغاة الظلمة المطففون - في آية صورة من صور التطفيف في المال أو في سائر الحقوق والواجبات - هم الذين يشققون أكثر من غيره من سيطرة ذلك المنهج العادل النظيف.. الذي لا يقبل المساومة، ولا المداهنة ولا أنصاف الحلول...

كما قال الإمام ابن العربي^(١) : -

قوله تعالى: ﴿وإذا كالوهم﴾، يعني كالوا لهم، وكثير من الأفعال.

قوله تعالى: ﴿وإذا كالوهم أو وزنوه يخسرون﴾، فبدأ بالكيل قبل الوزن، والوزن هو الأصل، والكيل مركب عليه، وكلاهما تقدير، لكن الباريء سبحانه وضع الميزان لمعرفة الأشياء بمقاديرها، إذ يعلمها سبحانه بغير واسطة ولا مقدر.

ثم قد يأتي الكيل على الميزان بالعرف، كما قال النبي ﷺ: المكيال مكيال أهل المدينة، والميزان ميزان أهل مكة، فالأقوات والأدهان يعتبر فيها الكيل (دون الوزن)، لأن النبي ﷺ بعث وهي تكتال بالمدينة فجرى فيها الكيل)، وكذلك الأموال الربوية يعتبر فيها المماثلة بالكيل دون الوزن، حاشا التقدير، حتى أن الدقيق والحنطة يعتبر فيهما الكيل، وليس للوزن فيهما طريق، وإن ظهر بينهما زيف فهو كظهوره بين البرين، وذلك غير معتر.

وقال الشيخ طنطاوي جوهرى^(٢) : -

أي إذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية، وذكر «على» للدلالة على التحامل على الناس أثناء الكيل، ﴿وإذا كالوهم أو وزنوه﴾ أي إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم كما تقول نصحتك ونصحت لك ﴿يخسرون﴾، أي ينقصون الكيل والوزن، فكل من أخذ لنفسه زائداً ودفع إلى غيره ناقصاً قليلاً أو كثيراً لحقه الوعيد مالم يتبع، فإن تاب قبلت توبته إذا رد الحقوق

(١) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ٤٦٨ هـ - ٥٤٣ هـ - تحقيق علي البحاوي - ص ١٩٠٧ / ١٩٠٨ - المجلد الرابع. سورة المطففين (الأياتان ٢ ، ٣).

(٢) الجوامر في تفسير القرآن الكريم - الشيخ طنطاوي جوهرى - سورة المطففين - الجزء ٢٥ - ص ٩٦.

إلى أربابها. وإذا لم يتب وأصر كان مصرًا على الكبيرة. ويروى: «خمس بخمس: ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طفقو المكيال إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر».

ثم أعقب الوعيد المذكور بما يؤكده مذكراً بما تقدم من أن الملائكة يكتبون هذا التطفيض كما يكتبون كل حسنة وسبيلة للأبرار والفحار، وإنما كان الوعيد شديداً على المطففين لأنهم وهم في هذا القصر المشيد تركوا مواهفهم العقلية، ولم يدركوا سعة هذا القصر البديع وجماله، ولا حكمة صانعه، ولا سعة الأرزاق التي ادخرها لهم في الأرض، فلذلك ضيقوا على أنفسهم دائرة التفكير، وتركوا كل جمال ونعمة وحكمة وبهجة ورونق في سقف القصر وجوانبه وأرضه ويسطه المنقوشة، وضاقت عليهم دائرة عقولهم وصغرت أن تعقل من هذه المواهب إلا ما رأوه في يد غيرهم، فهم يختطفون تارة بطريق التطفيض، وأخرى بطريق السلب والنهب والسرقة وهكذا، فهذا كله يكتبه الملائكة في كتاب يسجل عليهم الضيق والحبس كما حبسوا أنفسهم في دائرة ضيقة. وأما الآخرون فلما وسعوا على عقولهم مجال التفكير ولم يحصرواها في دائرة واحدة والسطو على ما بيدهم غيرهم جعل الملائكة كتابهم فيه ما يعلي قدرهم و شأنهم لعلو نفوسهم وسمو عقولهم.. وهذه الآيات الآتية الواصفة لكتاب الأبرار ولكتاب الفجار ترينا تلك العقول في نفس كتابها، فلما كانت قيمة الأبرار عالية سجل في كتابها ذلك العلو، وهو الإنطلاق من سجن المادة، ولما كانت آراء الفجار ضيقة محصورة في الحسد وأخذ مال الغير جعل نتيجة ذلك في كتابها، وهو أن الضيق الذي كان محاطاً بها في الحياة هو الذي سيلازمها بعد الممات، فنتيجة الآراء ملازمة لها، وكتابها بأنه نسخة منها، بل نفس الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره... فهو في الدنيا يعلم: أنه منطلق الفكر إلى هذا الجمال أم هو محدود الفكر ضعيف النفس محصور في شهوات البهائم والأطفال.

وقال الدكتور محمد فريز منفيخي^(١) في كتابه: «النظام الاقتصادي القرآني» ما يلي:-

أي عذاب وخزي شديد يوم القيمة لمن يطفف في المكيال والميزان، وقد خص سبعانه المطاففين بهذا الوعيد من قبل أنه كان فاشياً منتشرًا بمكة والمدينة، فكانوا يطففون المكيال ويبخسونه ولا يوفون حق المشتري، روى أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له كيلان أحدهما كبير والثاني صغير، فكان إذا أراد أن يشتري من أصحاب الزروع الحبوب والثمار اشتري بالكيل الكبير، وإذا باع للناس كيل للمشتري بالكيل الصغير، هذا الرجل وأمثاله ممن امتلأت نفوسهم بالطمع واستولى على نفوسهم الطمع والجشع هم المقصدون بهذا الوعيد الشديد، وهم الذين توعدهم النبي عليه الصلاة والسلام وتهددتهم بقوله: خمس بخمس ما نقص قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات، وما منعوا الزكاة إلا حبس المطر، وقد بين سبعانه عمل المطاففين الذي استحقوا عليه هذا الوعيد بقوله: أنهم إذا كان لهم عند الناس حق في شيء من المكيالات لم يقبلوا أن يأخذوه إلا وافيًّا كاملاً، وإذا كان لأحد عندهم شيء وأرادوا أن يؤدوه له أعطوه ناقصاً غير وافٍ. واقتصر الدم على الاكتئال حين الاستيفاء، وذكر الكيل والميزان فيه حين الإحسار لأن التطفيف في الكيل يكون بشيء قليل لا يعبأ به في الأغلب دون التطفيف في الوزن فإن أدنى حيلة فيه يفضي إلى شيء كثير ولأن ما وزن أكثر قيمة في كثير من الأحوال بما يكال، فإذا أخبرت الآية بأنهم لا يقرون على الناس ما هو قليل مهين من حقوقهم علم أنهم لا يقرون عليهم والكثير الذي لا يتسامح فيه إلا نادراً بالطريق الأول.

(١) الدكتور محمد فريز منفيخي - النظام الاقتصادي القرآني - ص ١١٢٥ .

التحليل الاقتصادي :-

- ١ - بين الله تعالى منهج الحياة العملية السليمة والطريق المستقيم الذي يسلكه كل من آمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر . ومن خلال القرآن الكريم ومن العمليات الاقتصادية الهامة وما يتعلق بالكيل أو الميزان وإيفاء الكيل وعدم تطفيف الميزان والإلتزام بحدود الله عز وجل في كل منها كي نستمتع بحياة طيبة وأموال حلال تعود على مكاسبنا بالخير والرزق الحسن والبركة والنماء علينا وعلى أولادنا .
- ٢ - أن النمو الاقتصادي لأي تاجر نتيجة لحركة النشاط الاقتصادي في الأسواق ، ونتيجة البيع والشراء واتباع حدود الله عز وجل في الكيل والميزان واجتناب وساوس الشيطان التي تعود بالخسران على الإنسان .. كل هذا يجعلنا نفوز بالدنيا والآخرة معاً ... لأننا اتبينا منهج الله تبارك وتعالى وتمسكتنا بكتابه وسنة نبيه ﷺ .
- ٣ - أن حدود الله تبارك وتعالى هي اختبار لحياة البشر الاقتصادية .. فمن أطلق العنان لشهواته ، وتصادق مع ألد أعدائه وهو الشيطان ، وتحالف مع الشر والبغى وجمع الأموال الحرام .. هو بلا شك من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والآخرة .. ففي الدنيا لن يستمتع والعكس صحيح ، فإن من تمسك بشرع الله عز وجل وحدوده .. وكان ماله حلال ورزقه حلال ، وتجنب كل ما يغضب الله تعالى من محرمات ومعاصي ، نال رضا ربها ، لأنه يتقي الله تبارك وتعالى فهو في الآخرة من الفائزين .
- ٤ - بين الله تعالى لكل من تسول له نفسه في نمو أمواله بالغش أو الخداع وتكدسها عن طريق البخس وعدم إيفاء الكيل والميزان ، فرغم كسبه السريع وزيادة رأس المال المتداول بسرعة إلا أن تلك الزيادة في الأموال الغير شرعية والمحرمة ستنعكس عليه في الآخرة لأنه لم يطع الله عز وجل ورسوله ﷺ ، وخالف منهج الله تعالى وحدوده .

وقال علماء التفسير في الآيتين (٤، ٥) من سورة المطففين،
ما يلي : -

﴿أَلَا يَعْلَمُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

قال الإمام الطبرى (١) :

يقول تعالى ذكره: ألا يظن هؤلاء المطغون الناس في مكاييلهم
وموازينهم أنهم مبعوثون من قبورهم بعد مماتهم ليوم عظيم شأنه هائل أمره
فظيع هوله .

قال الإمام الرازى (٢) :

فكأنه تعالى هدد المطففين بعذاب يوم القيمة، والتهديد بهذا
لا يحصل إلا مع المؤمن، فثبت بهذين الوجهين أن هذا الوعيد مختص
بأهل الصلاة .

واعلم أن أمر المكيال والميزان عظيم... وذلك لأن عامة الخلق
يحتاجون إلى المعاملات وهي مبنية على أمر المكيال والميزان، فلهذا
السبب عظم الله أمره فقال: ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في
الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾، وقال: ﴿ولقد أرسلنا
رسلنا بالبييات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾، وعن
قتادة: «أوف يا ابن آدم الكيل كما تحب أن يوفى لك، وأعدل كما تحب أن
يعدل لك»، وعن الفضيل: بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة .

اعلم أنه تعالى وبخ هؤلاء المطففين فقال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ أُولَئِكَ﴾ الذين
يطغون ﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو يوم القيمة .

(١) الإمام الطبرى - سورة المطففين - الآياتان (٤، ٥) ص ٦٥ .

(٢) الإمام الرازى - سورة المطففين - الآياتان (٤، ٥) ص ٩٠ م ١٢ ج ٣١ .

والمعنى : ألا يتفكرون حتى يعلموا أنهم مبعوثون ، لكنهم قد أعرضوا عن التفكير وأراحو أنفسهم عن متابعته ومشاقه ، وإنما يجعل العلم الإستدلال ظناً ، لأن أكثر العلوم الإستدلالية راجع إلى الأغلب في الرأي ، ولم يكن كالشك الذي يعتدل الوجهان فيه لا جرم سمي ذلك ظناً ، ويكون المعنى : أن هؤلاء المطوفين هب أنهم لا يجزمون بالبعث ولكن لا أقل من الظن ، فإن الآلية بحكمة الله ورحمته ورعايته مصالح خلقه أن لا يهمل أمرهم بعد الموت بالكلية ، وأن يكون لهم حشر ونشر ، وأن هذا الظن كافٍ في حصول الخوف ، كأنه سبحانه وتعالى يقول : هب أن هؤلاء لا يقطعون به أفلأ يظلونه أيضاً .

وقال الإمام ابن كثير^(١) :-

أي : أما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر وعظيم الهاول كثير الفزع جليل الخطب من خسر فيه أدخل ناراً حامية .

وقال الإمام القاسمي^(٢) :-

أي من قبورهم بعد مماتهم **﴿لِيَوْمٌ عَظِيمٌ﴾** أي عظيم الهاول جليل الخطب كثير الفزع ، من خسر فيه أدخل ناراً حامية .

كما قال الشيخ المراغي^(٣) :-

أي أن تطفيف الكيل والميزان واحتلاس أموال الناس بهذه الوسيلة ، لا يصدر عن شخص لا يظن أنه سيبعث يوم القيمة ويحاسب على عمله ، إذ لو ظن ذلك لما طفت الكيل ولا بخس الميزان .

(١) الإمام ابن كثير - سورة المطففين - الآيات (٤، ٥) ص ٤٨٧ .

(٢) الإمام القاسمي - سورة المطففين - الآيات (٤، ٥) ص ٩٨ .

(٣) الشيخ مصطفى المراغي - سورة المطففين - الآيات (٤، ٥) ص ٨٢ م ٦ ج ٣٦ .

والخلاصة: أنه لا يجسر على فعل هذه القبائح من كان يظن بوجود يوم يحاسب الله فيه عباده على أعمالهم، فما بالك بمن يستيقن ذلك.

ثم وصف هذا اليوم فقال:

﴿يَوْمٌ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أي هذا اليوم هو اليوم الذي يقف فيه الناس للعرض والحساب، ويطول بهم الموقف إعظاماً لجلاله تعالى.

ولا يخفى ما في الوصف برب العالمين من الدلالة على عظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف، إذ أن الميزان هو قانون العدل الذي قامت به السموات والأرض.

وعن ابن عمر، أنه كان يمر بالبائع فيقول: اتقِ الله تعالى وأوفِ الكيل فإن المطوفين يوقظون يوم القيمة لعظمة الرحمن، حتى أن العرق ليجمهم.

وقال الشيخ محمود حجازي^(١) -

ارتدعوا أيها الفجار من المطوفين والمكذبين بيوم الحساب عن ذلك،
وارجعوا إلى ربكم القادر على كل شيء، فستحاسبون على أعمالكم حساباً شديداً، وقد أعد الله لهم كتاباً أحصى أعمالهم، ولم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة، وإن هذا الكتاب لفي الديوان الجامع الذي دون فيه أعمال الفجرة من الثقلين وما أدرك ما سجين؟

والمراد تفخيمه وأنه لا أحد يعرف عنه شيئاً إلا ما أخبر به الحق تبارك وتعالى فقال: هو كتاب مرقوم ظاهر الكتابة أو معلم يعرفه بعلامته كل من رأاه أنه لا خير فيه.

الويل والهلاك للمكذبين، الذين يكذبون بيوم الدين، ومنشأ ذلك هو كثرة الإعتداء وتجاوز الحدود، وارتكاب الآثام والشرور...

ولذا يقول الله: ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِلٍ أَثِيمٌ﴾... وتأويل ذلك

(١) الشيخ محمود حجازي - سورة المطوفين - الآياتان (٤، ٥) ص ٢٨ جـ ٣٠.

أن النفس التي اعتادت الظلم والطغيان والبغى والإسترسال في الشرور والأثام يصعب عليها جداً الإذعان لأن الخبر الآخرة والتصديق بها، فإن تصدقها - مع هذه الأعمال - حكم صريح عليها بالسفه والجنون، وهذه النفس تكون جامحة طامحة، فصاحبها يعللها، ويجهون عليها الأمر بالتجاهل والتكذيب ببوم القيامة، أو التعليق بالأمانى الباطلة. تلك حقائق قرآنية نادى بها العلم الحديث.

التحليل الاقتصادي :-

يوضح لنا الله تبارك وتعالى الحدود التي ينبغي أن يتبعها كل مسلم مؤمن بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وألا يطفف أو يبخس الكيل والميزان، لأنه بذلك يخالف حدود الله تبارك وتعالى، ولأنه يعلم تماماً أنه سيقف أمام الواحد الأحد يوم الحساب وسيقرأ كتابه... لذلك فهو حريص في حياته الدنيا مهما كسب أو اكتسب من الرزق أو الأموال، فإن كانت عن طريق البخس والغش والخداع فإن الحساب سيكون عسيراً وشديداً وأليماً... وأما إن كانت حلالاً فسيئمها الله تبارك وتعالى وتزداد وتكثر سواء بالأموال أو بالثواب والجزاء في الآخرة لأنه يراعي حد الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم وسنة نبيه ﷺ لأنها أمور واضحة لبناء اقتصاد سليم متكملاً في عالمنا الإسلامي أساسه ودعائمه حدود الله تعالى في العمل الحق وإيفاء الكيل والميزان حتى يكون الكسب حلالاً ويعود علينا وعلى نظامنا الاقتصادي الإسلامي بالخير والبركة من الله تعالى.

وورد في تفسير أفضضل العلماء للآلية (٦) من سورة المطففين،

ما يلي :-

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال الإمام الطبرى^(١) :-

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: إن الناس يوقفون يوم القيمة لعظمته الله حتى أن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم.

وقال الإمام الرازى^(٢) :-

إن الناس يقومون لمحاسبة رب العالمين، فيظهر هناك هذا التطفيف الذي يظن أنه حقير، فيعرف هناك كثرته واجتماعه، ويقرب منه قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جتنان﴾، وثانيها: أنه سبحانه يرد الأرواح إلى أجسادها فتقوم تلك الأجساد من مراقدتها، فذلك هو المراد من قوله: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾.

وقال الإمام أبو السعود^(٣) :-

أي لحكمه وقضائه. ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين، ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف وأمثاله ما لا يخفى.

وقال الإمام الشوكانى^(٤) :-

معنى: ﴿يوم يقوم الناس﴾: يوم يقومون من قبورهم لأمر رب العالمين، أو لجزاءه، أو لحسابه، أو لحكمه وقضائه. وفي وصف اليوم بالعظيم مع قيام الناس لله خاضعين فيه ووصفه سبحانه بكونه رب العالمين دلالة على عظم ذنب التطفيف، ومزيد إثمه وفظاعة عقابه. وقيل المراد بقوله: ﴿يوم يقوم الناس﴾، قيامهم في رشتهم إلى أنصاف آذانهم... .

(١) الإمام الطبرى - سورة المطففين - الآية (٦) ص ٧١.

(٢) الإمام الرازى - سورة المطففين - الآية (٦) ص ١٠١ م ١٢ ج ٣١.

(٣) الإمام أبو السعود - سورة المطففين - الآية (٦) ص ١٣٠ م ١٧.

(٤) الإمام الشوكانى - سورة المطففين - الآية (٦) ص ٤٠٣ (فتح القدير).

وقيل: المراد قيامهم بما عليهم من حقوق العباد، وقيل: المراد قيام الرسل بين يدي الله للقضاء، والأول أولى.

كما قال الإمام الألوسي^(١): -

أي لحكمه تعالى وقضائه عزوجل... ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف من حيث هو تطفيف بل من حيث أن الميزان قانون العدل الذي قامت به السموات والأرض، فيعم الحكم التطفيف على الوجه الواقع من أولئك المطففين وغيره، وصح من رواية الحاكم والطبراني وغيرهما عن ابن عباس وغيره مرفوعاً خمس بخمس، قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله تعالى عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله تعالى إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طفروا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر... وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول: اتق الله تعالى وأوفِ الكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى أن العرق ليلاجمهم... وعن عكرمة أشهد أن كل كيال وزان في النار.. فقيل له: إن ابنك كيال وزان، فقال: أشهد أنه في النار وكأنه أراد المبالغة لما علم أن الغالب فيهم التطفيف، ومن هذا القبيل ما روى عن أبي رضي الله تعالى عنه لا تلتمس الحاجة من رزقه في رؤوس المكاييل أو الموازين، والله تعالى أعلم.

التحليل الاقتصادي: -

بين الله تبارك وتعالى لنا طرق معايشنا الاقتصادية ومكافئتنا التجارية الحلال والحرام، وقد تنمو تجارتنا أو تزداد الأنشطة الاقتصادية، وفي النهاية سيأتي اليوم الذي يحاسبنا فيه الله عزوجل عن أفعالنا في الدنيا وعما اكتسبته أيديينا، أو اقترفته أنفسنا من ذنوب ، فلا مجال في هذا اليوم الموعود.. وكل إنسان مؤمن بهذا اليوم الذي يحاسب فيه عن كل صغيرة وكبيرة،

(١) الإمام الألوسي - سورة المطففين - الآية (٦) ص ٧٨ م ١٥ ج ٣٠ .

لَا شُكَّ أَنَّهُ يَبْتَدِعُ عَنِ الْحَرَامِ فِي تِجَارَتِهِ وَيَتَمَسَّكُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسَنَةِ
رَسُولِهِ ﷺ.

ثانياً: السمات الإسلامية في الاقتصاد للموازين والمكاييل

ذكرت بعض آيات القرآن الكريم في السور التي تحدثت عن قصة شعيب عليه السلام ومنها سورة الأعراف والشعراء العديد من السمات والمصطلحات التي تعتبر من القواعد الأساسية للإقتصاد في المنهج الإسلامي والمتميزة خاصة في المكاييل والموازين... فقد أوضح الله تبارك وتعالى لنا كيف تكون معاملاتنا الاقتصادية والتجارية والمالية، وما هي علاقة البائع والمشتري وكذلك العلاقات الدولية التجارية سواء بالوفاء والعدل والحق والقسطاس والأمانة في الكيل والميزان، وكذلك حذرنا ونهانا عن البخس وعدم الوفاء والنقص والغش والغبن في الكيل والميزان.

كل هذه الأسس والقواعد الاقتصادية في الإسلام للمكاييل والموازين ذكرت في قصة شعيب، وفي قصة يوسف عليهما السلام، وقد شرحها أفضضل العلماء، وحتى نتوصل إلى أسس ومفاهيم إسلامية في تعاملنا المالي والتجاري سنحلل النقاط الأساسية لكل من المكاييل والموازين :-

أ : إن الوزن أو الكيل يعتبر أساساً لتقدير السلعة بوزنها أو كيلها لمعرفة الوزن الحقيقي لها ولإعطائها القيمة المحددة لثمن البضاعة المراد وزنها أو كيلها

ب : عندما نريد أن نزن بضاعة ما ونرغب في تحديد وزنها لمعرفة الوزن الحقيقي لها، ولنقدر بعد ذلك من احتساب ثمنها لإعطاء العدل والحق بين البائع والمشتري، وذلك لمعرفة القيمة النقدية للبضاعة المراد وزنها.

ج : تحدد الدولة سعر بضاعة ما على ضوء قيمة وزنها الحقيقي، ومن ثم

تابع هذه البضاعة أو تشتري حسب الأسعار المحددة من الدولة.

د : إن تحديد الوزن والمكيال من قبل الدولة أو السلطة الحاكمة أي أن الدولة تعمل وتسك الأوزان مثلاً من الكيلو أو أكثر والنصف والربع وتدمجها من قبلها، وبذلك تحقق الدولة العدل والوزن الحقيقي للبضاعة وترسي أسس العدالة التجارية والتعامل التجاري الإسلامي بين المشتري والبائع.

ه : عندما تتحقق الدولة العدالة في الوزن والمكيال لوزن البضاعة وإعطائها القيمة الحقيقة المقدرة حسب وزنها، فإن كل مشتري وبائع يسير حسب الأسس والأنظمة في الإسلام، والذي وضع الموازين والمكيال لتحقيق الحق والعدل وإعطاء كل ذي حق حقه.

و : لقد أشارت قصة شعيب عليه السلام إجمالاً إلى الركيزة الأولى للعدل بين البائع والمشتري في سورة الأعراف وسورة الشعراة وسورة هود وسورة العنكبوت، وترك التفاصيل بالنسبة لوحدات الكيل والميزان ليأخذ كل عصر بما يناسبه، وكل قطر بما يتفق ومصالحه... على أنه يوجد فرق بين كل من المكيال والموازين من حيث النوعية الاقتصادية لها المستعملة لاختلاف كل بضاعة... فكل بضاعة تقاس وتوزن حسب حجمها، وما ذلك إلا لتحقيق الحق والعدالة في الوزن والكيل.

وعندما نأخذ مثلاً اقتصادياً الجبوب والغلال تستعمل فيها المكيال لأنها بضاعة مفرطة والمكيال يجمعها في مقاييس معين كما ورد في قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف: «ولما جهزهم بجهازهم قال اثنوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزليين» الآية (٥٩).. وكذلك ذكر الله تعالى في سورة يوسف: «فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا: يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنما له لحافظون» الآية (٦٣).

ولقد تضمنت قصة شعيب عليه السلام في الآيات الكريمة من القرآن

ال الكريم كثيراً من الدروس والمفاهيم الاقتصادية التي تعتبر أساساً لبناء حياة اقتصادية سليمة.

ومن تلك المفاهيم الإسلامية في الاقتصاد التي نتعامل فيها في حياتنا الاقتصادية العملية في الأسواق وفي التجارة وفي المال ما يلي : -

الحق - العدل - البركات - حمد الله - الصبر - التصرف - العمل الصالح - المقارنة - الثواب - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الأمانة - الإرث في الأرض - القلوب - الإصلاح - التفاضل - التوكل على الله - الحسنة والسيئة . . .

وعندما نحلل تلك المفاهيم الإسلامية في الاقتصاد من خلال قصة شعيب عليه السلام . . . نقول : -

علمنا الله تعالى من خلال قصة شعيب عليه السلام المنهج الإسلامي في الاقتصاد والذي يرتكز على مفاهيم الموازين والمكابيل .

وقد بين الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز أن الحق والعدل هو أساس الموازين . . كما أن الوفاء - القسط - الأمانة - الطاعة - الاستقامة - الصدق - التوكل على الله - التوفيق من الله . . هي صفات وتعريفات يجب على المسلم المؤمن اتباعها من أجل إقامة قاعدة إسلامية في اقتصادنا . . .

وقد نهانا الله تبارك وتعالى وحذرنا من التعامل في تجارتنا وأسواقنا بالبخس - النقص - الغش - الغبن . . .

وهكذا فإن هذه التعريفات والأسس الإسلامية تعتبر الركيزة الأولى لإقامة المجتمع الإسلامي . . وسنحلل ذلك كالتالي : -

١ - مبدأ التوكل على الله في التجارة : -

لا شك أن التوكل على الله من المبادئ الإسلامية الهامة التي إذا أحسن المسلم استخدامها كان الله حسنه وبالغ أمره .

وال المسلم المؤمن الذي يزاول نشاطه التجاري والمالي في نطاق الرزق الحلال الذي ارتضى به والذى قسمه الله تبارك وتعالى له ، سيعود عليه وعلى أسرته بفائدة كبيرة وسيبارك الله عز وجل في أمواله لأنه مؤمن يتقي الله ويراعي حقوق الناس في كافة تصرفاته وسلوكياته ..

وفي قصة شعيب عليه السلام الكثير من المفاهيم والمصطلحات الاقتصادية منها : -

أ - التوكل على الله:

إن جميع الرسل والأنبياء كانوا متوكلين على الله عز وجل في جميع أفعالهم وأقوالهم .. وقد ذكر في سورة هود :

﴿وَمَا تَوَكَّلْتُ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ . الآية (٨٨) .

وهكذا أعلن شعيب عليه السلام أنه يتوكى على الله عز وجل .. وأن الرزق الحسن والحلال هو خير طريق للعمل الصالح الذي يتقبله الله تبارك وتعالى .. ولكن قومه كذبوا .. ولم يؤمنوا برسل الله .. واستمرروا يزاولون تجارتكم ومكاسبهم الحرام والتي نهى الله تبارك وتعالى عنها .. فتعرضوا للعقاب والعذاب الأليم .. في الدنيا والآخرة .

ومن ذلك نتعلم أن الله تعالى يرزق العباد في حياتهم الدنيوية سواء منهم المؤمن أو الكافر أو الذي لا يطبق تشريع الله .. وقد ذكر في سورة الإسراء : ﴿كُلًا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربكم وما كان عطاء ربكم محظوراً﴾ . الآية (٢٠) .

والرضا والقناعة بما من صفات المؤمن ... الذي يبارك الله عز وجل في تجارتة وأعماله وأمواله .. لأنه يتوكى على الله العلي القدير ويرضى بما قسمه الله عز وجل في الدنيا، ويصبر على ما ابتلاه به ربه لأنه مؤمن بالله وبالرسول ، وأن التوكل على الله يوفقه في جميع أعماله .. ويبارك في أولاده .. وينعم بالحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ..

وكما أشارت تلك القصة عن قوم شعيب عليه السلام الكافرين الذين لم يؤمنوا برسالته... وقد رزقهم الله من نعم كثيرة في أنشطتهم التجارية والمالية، ولكنهم لم يتتصحوا أو يؤمنوا برسالة شعيب عليه السلام، بل اعتبروا أن رزقهم في الحياة الدنيا من أنشطة تجارية ومالية عن طريق ما حرم الله هو الطريق السليم، واعتبروا مكاسبهم وتوفيقهم عن طريق تجارتهم الحرام دون إيمان بأن الرزاق هو الله، فالكافر لا يتوكل على الله في أعماله.

ولبناء اقتصادنا الإسلامي علينا أن نطبق شريعة الله وأحكامها وسنة نبيه ﷺ، وأن نتوكل على الله في أعمالنا وتجارتنا ورزقنا لنفوز بالجنة...

- فقد ذكرت الآية الكريمة (٨٨) من سورة هود، والتي تحدثت عن توكل شعيب عليه السلام على الله تبارك وتعالى :

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

وعندما نأتي إلى تفاسير أفضل العلماء في ذلك نرى ما يلي : -

أما الإمام ابن كثير^(١) فقد قال : -

﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ أي في إصابة الحق فيما أريده ﴿إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في جميع أموري ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أي أرجع، يقول لهم: ﴿وَيَا قوم لَا يَجْرِمُنَّكُمْ شَقَاقِي﴾ أي لا تحملكم عدواني وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط من النقم والعقاب.

وقال الشيخ المراغي^(٢) -

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ﴾ التوفيق والفوز والفلاح في كل عمل صالح وسعى حسن، وحصول ذلك يتوقف على كسب العامل وطلبه من الطريق

(١) الإمام ابن كثير - سورة هود - الآية (٨٨) - ص ٤٥٥ .

(٢) الشيخ المراغي - سورة هود - الآية (٨٨) ص ٦٨ م ٤ .

الموصى إليه، وتيسير الأسباب التي يسهل معها الحصول عليه، وذلك إنما يكون من الله وحده، أي : وما توفيقي لاصابة الحق والصواب في كل ما آتنيه وما أذر إلا بهداية الله تعالى ومعونته، **﴿عليه توكلت وإليه أنيب﴾** أي عليه توكلت في أداء ما كلفني من تبليغكم ما أرسلت به لا على حولي وقوتي، وإليه أرجع في كل ما أهمني في الدنيا، وهو الذي يجازيني على أعمالني في الآخرة.

وقال الشيخ سيد قطب^(١) -

﴿وما توفيقي إلا بالله﴾ فهو القادر على إنجاح مسعاي في الإصلاح بما يعلم من نيتى ، وبما يجزي على جهدي ، **﴿عليه توكلت﴾** عليه وحده لا أعتمد على غيره ، **﴿وإليه أنيب﴾** إليه وحده أرجع فيما يحزبني من الأمور ، وإليه وحده أتووجه بنيتى وعملى ومسعاي . ثم يأخذ بهم في واد آخر من التذكير فيطل بهم على مصارع قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط ، فقد يفعل هذا في مثل تلك القلوب القاسية مالم يفعله التوجيه العقلي اللين الذي يحتاج إلى رشد وتفكير .

تحليل :-

من ذلك يستدل أن التوكل على الله هو أحد المفاهيم والمصطلحات الاقتصادية في الإسلام ، فالمؤمن يعمل بما شرعه الله ثم يتوكّل على الحيّ القيوم لأنّه يؤمّن بأن نجاح عمله بالتوكل على الله تعالى ، أما الكافر فلا يؤمّن بذلك ، وينعكس التوكل على الله عز وجل في حياتنا اليومية بمحاجاتها المختلفة . . . ويختلف التواكل عن التوكل . . فالتوكل على الله ينبع من نفس مطمئنة تنفذ منهاج الله تعالى وتومن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر . . . بينما المتواكل لا يعمل ولا ينتج وإنما يطلب كل شيء من الآخرين وكان السماء تمطر ذهباً وفضة ، ولا يؤمّن بتوفيق الله عز وجل . . .

وذكرت الآية (٨٩) من سورة الأعراف دعاء قوم شعيب الذين آمنوا به

(١) الشيخ سيد قطب - سورة هود - الآية (٨٨) - ص ١٩١٩ ج ١٢ .

وهو توكلهم على الله تعالى وطلبهم أن يفتح بينهم وبين قومهم بالحق ، وقد فسر ذلك العلماء الأفضل بما يلي :

﴿قَدِ افْتَرَنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدَنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَحَثَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسَعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾^(١).

وقال الإمام ابن الجوزي^(١) ما يلي :-

إن قوم شعيب كانوا يدعون أن الله أمرهم بما هم عليه، فلذلك سموه ملة. **﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾** أي : في الملة، **﴿أَلَا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾** أي : إلا أن يكون قد سبق في علم الله ومشيته أن نعود فيها، **﴿وَسَعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾** قال ابن عباس : يعلم ما يكون قبل أن يكون.

قوله تعالى : **﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾** أي : فيما توعدتمونا به ، وفي حراستنا عن الصلال . **﴿رَبُّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ﴾** ، قال أبو عبيدة : أحكم بيننا... قال الزجاج : وجائز أن يكون المعنى : أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وينكشف ، فجائز أن يكونوا سألوا بهذا نزول العذاب بقومهم ليظهر أن الحق معهم .

وقال الإمام القرطبي^(٢) :-

قال أبو إسحاق الزجاج : أي إلا بمشيئة الله عز وجل ، قال : وهذا قول أهل السنة ، أي وما يقع منا العود إلى الكفر إلا أن يشاء الله ذلك . فالإثناء منقطع . وقيل : الإثناء هنا على جهة التسليم لله عز وجل ، كما قال : **﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾** . والدليل على هذا أن بعده **﴿وَسَعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾** .

(١) الإمام ابن الجوزي - سورة الأعراف - الآية (٨٩) - ص ٢٣٠ م ٣ .

(٢) الإمام القرطبي - سورة الأعراف - الآية (٨٩) - ص ٢٦٨٥ م ٢ .

قوله تعالى : **﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾** أي علم ما كان وما يكون . المعنى : **﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودُ فِيهَا﴾** أي في القرية بعد أن كرهتم مجاورتنا ، بل نخرج من قريتكم مهاجرين إلى غيرها . **﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾** ردنا إليها .

قوله تعالى : **﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾** أي اعتمدنا . . . **﴿رَبُّنَا افْتَحْ بَيْتَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ﴾** ، قال قتادة : بعثه الله إلى أمتين : أهل مدين ، وأصحاب الأيكة . قال ابن عباس : وكان شعيب كثير الصلاة ، فلما تماذى قومه في كفرهم وغיהם ، ويس من صلاحهم ، دعا عليهم فقال : **﴿رَبُّنَا افْتَحْ بَيْتَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾** . فاستجاب الله دعاءه فأهلكهم بالرجفة .

وقال الإمام الشوكاني^(١) :-

﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدْنَا فِي مُلْتَكُم﴾ التي هي الشرك ، **﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾** بالإيمان فلا يكون منا عود إليها أصلًا **﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا﴾** أي ما يصح لنا ولا يستقيم **﴿أَنْ نَعُودُ فِيهَا﴾** بحال من الأحوال **﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾** ، أي إلا حال مشيئته سبحانه ، فإنه ما شاء كان وما لم يشاً لم يكن . قال والمعنى : أنه لا يكون منا العود إلى الكفر إلا أن يشاء الله ذلك .

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي أحاط علمه بكل المعلومات فلا يخرج عنه منها شيء ، وقيل المعنى : **﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودُ فِيهَا﴾** أي القرية بعد أن كرهتم مجاورتنا لهم ، **﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾** عودنا إليها ، **﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾** أي عليه اعتمدنا في أن يثبتنا على الإيمان ، ويحول بيننا وبين الكفر وأهله ويتم علينا نعمته ويعصمنا من نقمته . قوله : **﴿رَبُّنَا افْتَحْ بَيْتَنَا وَبَيْنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾** الفتاحة الحكومة أي احکم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين ، دعوا الله سبحانه أن يحکم بينهم ولا يكون حکمه سبحانه إلا بنصر المحقين على المبطلين : كما أخبرنا به في

(١) الإمام الشوكاني - فتح القدير - سورة الأعراف - (آلية ٨٩) ص ٢٣٤ .

غير موضع من كتابه فكأنهم طلبو نزول العذاب بالكافرين وحلول نعمة الله بهم .

كما قال الإمام محمد رشيد رضا^(١) :

ما أعظم افتراءنا على الله تعالى إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وهدانا الصراط المستقيم، بالحنفية ملة إبراهيم، وإذا كان من يتبع ملتكم يعد مفترياً على الله تعالى بقوله عليه ما لا يعلم، لا بهداية من الوحي، ولا برهان من العقل؟ فكيف يكون حال من افترى عليه وضل عن صراطه على علم؟ وإن كفر الجحود وهو إنكار الحق وغمطه بعد العلم به هو شر أنواع الكفر، والإفتراء على الله تعالى فيه أفعى ضروب الإفتراء التي لا يقبل فيها أدنى عذر؟.

فو^ما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا^{هـ} هذا رفض آخر للعود في ملتهم مؤكـدـ أبلغـ التأكـيدـ معطـوفـ علىـ منـاسـبـهـ،ـ والـتـعبـيرـ يـدلـ عـلـىـ نـفـيـ الشـأـنـ،ـ وـهـوـ أـبـلـغـ مـنـ نـفـيـ الـفـعـلـ،ـ لـأـنـهـ نـفـيـ لـهـ بـالـدـلـيلـ وـهـوـ كـوـنـهـ غـيـرـ مـسـطـاعـ،ـ وـلـاـ جـارـ عـلـىـ سـنـنـ اللـهـ فـيـ الـاجـتـمـاعـ،ـ وـالـمـعـنـىـ لـيـسـ مـنـ شـائـنـاـ أـنـ نـعـودـ فـيـ حـالـ مـنـ الـأـحـوـالـ إـلـاـ حـالـ مـشـيـثـةـ اللـهـ ربـناـ،ـ الـمـتـصـرـفـ فـيـ جـمـيعـ شـئـونـنـاـ فـهـوـ وـحـدـهـ الـقـادـرـ عـلـىـ ذـلـكـ لـاـ يـقـدـرـ عـلـىـ غـيـرـهـ لـاـ أـنـتـمـ وـلـاـ نـحـنـ أـيـضـاـ،ـ لـأـنـاـ مـوـقـنـوـنـ بـأـنـ مـلـتـكـمـ باـطـلـةـ ضـيـارـةـ مـفـسـدـةـ،ـ وـمـلـتـنـاـ هـيـ الـحـقـ،ـ الـتـيـ بـهـاـ صـلـاحـ النـاسـ وـعـمـرـانـ الـأـرـضـ.

وقال الشيخ مصطفى المراغي^(٢) :

أـيـ ماـ أـعـظـمـ اـفـتـرـاءـنـاـ عـلـىـ اللـهـ إـنـ عـدـنـاـ فـيـ مـلـتـكـمـ بـعـدـ إذـ نـجـانـاـ اللـهـ مـنـهـاـ وـهـدـانـاـ الصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ بـاتـبـاعـ مـلـةـ إـبـرـاهـيمـ .

وـإـذـ كـانـ اـتـبـاعـ مـلـتـكـمـ يـعـدـ اـفـتـرـاءـ عـلـىـ اللـهـ،ـ لـأـنـ قـوـلـ عـلـيـهـ لـاـ عـلـمـ لـنـاـ بـهـ

(١) الإمام محمد رشيد رضا - المنار - سورة الأعراف - الآية (٨٩) ص ٥٢٦ ج ٩ .

(٢) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الأعراف - الآية (٨٩) ص ٢١٥ ج ٩ .

يوحى ولا برهان من العقل، فكيف بمن يفترى عليه ويضل عن صراطه على علم؟.

فالكفر بالحق وغمطه بعد العلم به هو شر أنواع الكفر، والإفتراء على الله فيه أفعى ضروب الإفتراء التي لا تقبل فيها الأعذار بحال.

وفي قوله: ﴿إِذْ نَجَانَا﴾ أي نجا أصحابي منها فهو تعلييل بإدخاله في زمرتهم أو نجاني من الانتماء إلى هذه الملة التي ما كنت أؤمن بعقيدتها ولا أعمل بعمل أهلها ولم أهتِ بعقلني ورأيي إلى ملة خير منها فوقفت موقف الحيرة في شأنها.

كما جاء في خطاب النبي ﷺ قوله: ﴿وَوَجَدْكُمْ ضَالّاً فَهَدَى﴾، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكُنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عَبْدَنَا﴾.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ يقولون ما يكون لي أن أفعل كذا على معنى غير مستطاع لي ولا جاري على السنن المعقولة.

أي ليس من شأننا أن نعود فيها في حال من الأحوال إلا حال مشيئة ربنا المتصرف في جميع شئوننا، فهو وحده القادر على ذلك، لا أنت ولا نحن، لأننا موقنون بأن ملتكم باطلة، وملتنا هي الحق التي بها صلاح حال البشر وعمران الأرض.

وهذه الجملة رفض آخر للعود إلى ملتكم مؤكداً أبلغ التأكيد، مؤيس لهم من عودته ومن آمن معه إلى ملتكم، فبعد أن نفى وقوع العود منهم باختيارهم نفاه نفياً مؤكداً بأنه ليس من شأنهم ولا يجيء من قبلهم بحال من الأحوال كالترغيب والترهيب بالرجاء في المنافع والخوف من المضار كالإخراج من الديار، إلا حالاً واحدة وهي مشيئة الله ومشيئته تجري بحسب علمه وحكمته في خلقه، وستته في خلقه أن ينصر أهل الحق على أهل الباطل ما داموا ناصرين له وقائمين بما هدتهم إليه منه.

وخللاصة ذلك - لا تطمئنوا أن يشاء ربنا الحفيظ بنا عودتنا في ملتكم

بعد إذ نجانا منها بفضله، فما كان ليحضر حجته وغير سنته.

«وسع ربنا كل شيء علمًا» فهو سبحانه يعلم كل حكمة ومصلحة، ومشيته تجري على موجب الحكمة، فكل ما يقع فهو مشتمل عليها، وفي هذا إيماء إلى عدم الأمان من مكر الله سبحانه: «فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون».

«على الله توكلنا» أي إلى الله وحده وكلنا أسرورنا مع قيامنا بكل ما أوجبه علينا من الحفاظ على شرعه ودينه، فهو الذي يكفينا تهديكم وما ليس في استطاعتنا من جهادكم: «ومن يتوكل على الله فهو حسبي»، إذ من شروط التوكل الصحيح القيام بالأحكام الشرعية ومراعاة السنن الكونية والاجتماعية، فمن يترك العمل بالأسباب فهو الجاهل المغدور لا المتوكل المأجور، كيف وقد قال النبي ﷺ لمن سأله: أيترك ناقته سائبة ويتوكل على الله؟ «أعقلها وتوكل» رواه الترمذى، وقال تعالى مخاطبًا رسوله بعد أن أمره بمشورة أصحابه في غزوة أحد: «فإذا عزمت فتوكل على الله»، وإنما يكون العزم بعد الأخذ بالأسباب فقد لبس من يومئذ درعين وأعد العدة لقتال أعدائه، ورتب الجيوش بحسب القوانين المعروفة في ذلك العصر.

وخلالصة رد شعيب على الملا من قوله - أنه عجب من تهديدهم وإنذارهم، وأقام الأدلة على امتناع عودهم إلى ملة الكفر باختيارهم، وعدم استطاعة أحد إجبارهم عليه غير الله الفعال لما يريد. ثم ثنى بذكر توكله على الله الذي يكفي من توكل عليه ما أهمه مما هو فوق كسبه و اختياره، ثم ثلث بالدعاء الذي لا يكون مرجو الإجابة إلا بعد القيام بعمل ما في الطاقة من الأعمال الكسبية مع التوكل على الله فقال:

«ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين».

والمعنى: ربنا أحكم بيننا وبين قومنا بالحق الذي مضت به سنته في النزاع بين المرسلين والكافرين، وبين المحقين والمبطلين، وأنت خير الحاكمين لإحاطة علمك بما يقع به التخاصم، وتزهك عن اتباع الظلم، واتباع الهوى في الحكم.

الرجم: الحركة والإضطراب، والمراد بها الزلزلة، ومنه: **﴿يَوْمَ تُرْجَفُ الْأَرْضُ وَالْجَبَالُ﴾**، وغنى بالمكان يعني: كرضي يرضى، إذا نزل به وأقام فيه، والأسي: شدة الحزن.

بعد أن ذكر سبحانه جواب الملا من قوم شعيب وطلبهم منه العود إلى ملتهم وبين يأسهم منه بما كان من جوابه لهم الدال على ثباته في مقارعتهم وأنه دائم النصح والتذكير لهم، عليهم يرجعون عن غيهم.

ذكروا هنا أنهم حذروا من آمن منهم بالويل والثبور وعظائم الأمور، إذ سيلحقهم الخسار في دينهم والخسار في دنياهم، لعل ذلك يشيعهم عن عزيمتهم ويردهم إلى الرشاد من أمرهم بحسب ما يزعمون، فكانت عاقبة ذلك أن أصبحوا كأمس الدابر وأصبحت ديارهم خراباً يباباً لا أنيس فيها ولا جليس.

ب - فضل الله ونعمه علينا: -

أعطى الله قوم شعيب عليه السلام التجارة والأموال والنشاط الكثير في حركة البيع والشراء لأسوقهم وفي مكاسبهم كل ذلك من فضل الله العلي القدير عليهم، لكنهم لم يؤمنوا بذلك بل اعتقادوا أن رواج تجارتهم ومكاسبهم أتى عن طريق الحركة الاقتصادية والإنتعاش الاقتصادي من خلال تجارتهم... ولهذا فقد علم شعيب عليه السلام قومه بأن ما آتاهم الله من كسب وأموال فهي من فضل الله عليهم وأن يتبعوا عمما حرمه الله عليهم، لأن الرواج والإنتعاش الاقتصادي والتجاري الذي ينعمون به هو من كسب حرام... حصلوا عليه بعد نقص الكيل والميزان وأنهم سلكوا الطريق الخطأ في مكاسبهم... وعليهم اتباع ما شرعه الله في نشاطهم التجاري وفي هذه المكاسب، ولكنهم لم يؤمنوا برسالة شعيب عليه السلام... فحق عليهم العذاب والعقاب...

ومن ذلك نتعلم أن فضل الله تعالى ونعمه على الناس هو أحد

المصطلحات الإسلامية في الاقتصاد والذي ينعكس على حياتنا واقتصادنا التطبيقي.

وعن ذلك تحدث الآية (٨٥) من سورة الأعراف عن فضل الله ونعمه على قوم شعيب... .

ونأى إلى تفسير هذه الآية، والتي تقول: -

﴿قَالَ يَنْقُوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بِكِتَّمَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ﴾

قال الإمام الطبرى^(١):-

فتاؤيل الكلام على ما قاله ابن إسحق، ولقد أرسلنا إلى ولد مدین أخاهم شعيب بن ميكيل يدعوهم إلى طاعة الله والإنتهاء إلى أمره وترك السعي في الأرض بالفساد والصد عن سبيله، فقال لهم شعيب: يا قوم عبدوا الله وحده لا شريك له مالكم من إله يستوجب عليكم العبادة غير الإله الذي خلقكم وبيده نفعكم وضركم فقد جاءكم بينة من ربكم.

وجاء في تفسير الإمام الفخر الرازى^(٢):-

واعلم أنه تعالى حکى عن شعيب أنه أمر قومه في هذه الآية بأشياء:

الأول: أنه أمرهم بعبادة الله ونهىهم عن عبادة غير الله، وهذا أصل معتبر في شرائع جميع الأنبياء... . فقال: «اعبدوا الله مالكم من إله غيره».

والثاني: أنه ادعى النبوة فقال: «قد جاءتكم بينة من ربكم»، ويجب أن يكون المراد من البينة هنا المعجزة، لأنه لا بد لمدعي النبوة منها... . فهذه الآية دلت على أنه حصلت له معجزة دالة على صدقه... .

(١) الإمام الطبرى - سورة الأعراف - الآية (٨٥) - ص ١٦٦ - م ٤.

(٢) الإمام الفخر الرازى - سورة الأعراف - الآية (٨٥) - ص ١٧٢ - م ١٢.

وجار في تفسير الشيخ محمد رشيد، رضا^(١) :

قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيت وحياً أو حاه الله إلىي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة»، رواه الشیخان وغيرهما من حديث أبي هريرة، ومعناه أن كل نبى أعطاه الله من الآيات الدالة على صدقه وصحة دعوته ما شأنه أن يؤمن البشر بدلالة مثلك. وقد يقال: أن إنذار قومه بأن يصيغ لهم ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح إذا هم أصرروا على شقاوه وعناده - هو آية بينة على صدقه، وقد صدق إنذاره هذا وهو مبين في قصته في سورة هود.

على أن البينة كل ما يتبعن به الحق فهي تشمل المعجزات الكونية والبراهين العقلية، والمعرفة من أحوال الأمم القديمة أنها لم تكن تذعن إلا لخوارق العادات، ولو لم تكن البينة التي أيد الله تعالى بها شيئاً عليه السلام ملزمة للحجارة قاطعة لألسنة العذر ومكابرة الحق لما ترتب عليها.

وقال الشيخ محمود حجازي^(٢) في تفسيره :

فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، مالكم من إله غيره، هو الذي خلقتم وخلق كل شيء لكم. قد جاءتكم بينة من ربكم، وآية دالة على صدقتي .

كذلك تحدث الآية (٨٤) من سورة هود عن فضل الله على قوم شعيب... ولنأتي إلى تفسير هذه الآية والتي تقول:-

﴿قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُو اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ عَيْرُهُ﴾.

(١) الشيخ محمد رشيد رضا - المنار - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ٥٢٣ م ٩.

(٢) الشيخ محمود حجازي - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ٧٦ م ٩.

وقد جاء في تفسير الإمام الطبرى^(١) لهذه الآية ما يلى :

يقول: أطعوه وتدلوا له بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه مالكم من إله غيره، يقول: مالكم من معبد سواه يستحق عليكم العبادة غيره ولا تنقصوا المكيل والميزان، يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيلكم وميزانكم إني أراكم بخير.

يقول الإمام الرازى^(٢) :

واعلم أنا بيّنا أن الأنبياء عليهم السلام يشرعون في أول الأمر بالدعوة إلى التوحيد، فلهذا قال شعيب عليه السلام: «مالكم من إله غيره»، ثم إنهم بعد الدعوة إلى التوحيد يدعون إلى الأهم فالأهم.

وقال الإمام ابن كثير^(٣) :

أي دلالة وحجة واضحة ويرهان قاطع على صدق ما جئتم به، وأنه أرسلني وهو ما أجرى الله على يديه من المعجزات التي لم تنقل إلينا تفصيلاً، وإن كان هذا اللفظ قد دل عليها إجمالاً **﴿فَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ** ولا تخسسو الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) أمرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم وتوعدهم على خلاف ذلك

ويقول الشيخ سيد قطب^(٤) :

وقد بدأهم شعيب بما بدأ به كل رسول قومه من أصل العقيدة والتعفف عن الأجر، ثم أخذ يواجههم بما هو من خاصة شأنهم.

﴿فَأَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ، وَزِنُوا بِالْقَسْطَاسِ
الْمُسْتَقِيمِ، وَلَا تَخسسو النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

(١) الإمام الطبرى - سورة هود - الآية (٨٤) - ص ٦٠ - ٩ م.

(٢) الإمام الرازى - سورة هود - الآية (٨٤) ص ٣٩ م ٦ ج ١٨ .

(٣) الإمام ابن كثير - البداية والنهاية - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ج أول ص ١٨٦ .

(٤) الشيخ سيد قطب - سورة الشعراء - الآية (١٧٦) - ص ١٦١٤ .

وقد ورد في تفسير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية^(١):

هذه قصة شعيب مع أصحاب الأيكة وهي غيبة تنبت ناعم الشجر بقرب مدین، نزل بها جماعة من الناس وأقاموا بها. فبعث الله إليهم شعيباً كما بعث إلى مدین. فكذبوا في دعوته، وبهذا كانوا منكرين لجميع الرسالات. - اذكر - يا محمد - لقومك وقت قول شعيب لأصحاب الأيكة: ألا تخافوا الله فتومنوا به؟ فبادروا بتکذیبه. إني لهدايتكم وإرشادكم مرسلاً من رب العالمين. أمين على توصيل رسالته إليكم. فاحذروا عقوبة الله. وأطیعوني باتباع أوامر الله وتخلیص أنفسكم من الآثام. وما أطلب منكم على إرشادي وتعلیمي أي أجر - ما جزائي الكامل في مقابل عملي إلا على رب العالمين.

جـ- التوفيق من الله:

لقد ظن قوم شعيب عليه السلام أن الرواج والإنتعاش التجاري الذي حققوه من خلال الحركة التجارية والإقتصادية القائمة على أساس نقص الكيل والميزان أو تطفيههما.. سيكون سبيلاً في سعادتهم بعد أن كذبوا شعيباً عليه السلام... ونسوا أن أي رواج أو انتعاش في تجارتهم لا يأتي إلا بتوفيق من عند الله وما حمله الله في شريعته لهم وأن لا سينزل عليهم العقاب بسبب تکذیبهم شعيب عليه السلام.. وقد ذكر في سورة هود:
﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربِّي ورزقني منه رزقاً حسناً

(١) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة - المنتخب سور الشعراة من آية ١٧٦ ص ٥٥٧.

وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ان أريد إلا الإصلاح ما استطعت
وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب».

الآية (٨٨)

وكما ذكر الله تعالى في سورة الشعراء:

﴿فَكُلُّهُمْ فَأَخْذُهُمْ عِذَابٌ يَوْمَ الظَّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عِذَابُ يَوْمِ عَظِيمٍ﴾ (١٨٩)
إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٩٠) وإن ربك لهو العزيز
الرحيم (١٩١) وإنه لتنزيل من رب العالمين (١٩٢).

ومن ذلك نتعلم في أنشطتنا المالية والإقتصادية، ومن خلال تلك
القصة أنه لبناء مجتمعنا الإسلامي على أساس من التشريع الإسلامي وأن
نجاح ورواج أنشطتنا المالية والتجارية لا تأتي إلا من عند الله وبتوفيقه
عز وجل لكل مسلم مؤمن مطبق لكتاب الله، ويأخذ تلك القصة مثلاً للأقوام
السابقين الذين عصوا أمر الله في أنشطتهم المالية والتجارية.

د - الأجر والثواب:

علمنا الله تعالى في كتابه العزيز أن المسلم المؤمن الذي يطبق
شريعة الله وسنة نبيه في نشاطه وتجارته لكسب المال الحلال ويعامل مع
الناس بما حلل الله ويتبع ما حرمه سيتحقق له الأجر والثواب من عند الله
في الدنيا وفي الآخرة.

ولقد علم شعيب عليه السلام قومه الطريق الصحيح لمزاولة نشاطهم
المالي والتجاري بما حلل الله لهم، وأن يتبعوا عن المحرمات التي
نهى الله عنها في تجارتهم وتعاملاتهم مع الناس في البيع والشراء من الغش
ونقص في الكيل والميزان والتحايل وكسب الأموال بالباطل عن طريق
ما حرمه الله في التجارة والمكاسب، وأن يعملوا صالحاً كي يفوزوا بالجنة
ويستحقوا الأجر والثواب لأنهم طبقوا شرع الله عز وجل... ولكن قوم
شعيب عليه السلام أبوا ذلك وكذبوا وكما بين الله تعالى في سورة الشعراء:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ أَلَا تَتَقَوَّنَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨)
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ (١٧٩) وَمَا أَسَلَّكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى رَبِّ
الْعَالَمِينَ (١٨٠).﴾

وفيما يلي بعض تفاسير أفضال العلماء حول الأجر والثواب من خلال قصة شعيب كما ذكرت سورة هود - الآية (٨٦) :-

﴿بَقِيَّتُ اللَّهَ خَيْرُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾.

قال الإمام الزمخشري^(١) :-

﴿بَقِيَّتِ اللَّهِ﴾ ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم.

﴿خَيْرُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بشرط أن تؤمنوا وإنما خوطبوا بترك التطفييف والبغس والفساد في الأرض وهم كفراً بشرط الإيمان.

ويجوز إذ: إن كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به إياكم . . .

ويجوز أن يراد: ما يبقى لكم من عند الله من الطاعات خير لكم، قوله - والباقيات الصالحة خير عند ربك - وإضافة البقية إلى الله من حيث أنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه، وأما الحرام فلا يضاف إلى الله ولا يسمى رزقاً، وإذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله: **﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾**، وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وإنما بعثت مبلغاً ومنها على الخير وناصحاً وقد أذررت حين أذررت.

وقال الإمام ابن كثير^(٢) :-

﴿بَقِيَّتِ اللَّهِ خَيْرُكُمْ﴾ أي رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس.

(١) الإمام الزمخشري الخوارزمي - الكشاف - سورة هود - الآية (٨٦) ص ٢٨٤ .

(٢) البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير - سورة هود - الآية (٨٦) ج ١ ص ١٨٧ .

وقال ابن جرير: ما فضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف. قال: وقد روى هذا عن ابن عباس وهذا الذي قاله وحکاه حسن وهو شبيه بقوله تعالى: ﴿فَلَا يُسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالْطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبْتَ كُثْرَةَ الْخَبِيثِ﴾، يعني أن القليل من الحلال خير لكم من الكثير من الحرام، فإن الحلال مبارك وإن قل، والحرام ممحوق وإن كثر، كما قال تعالى: ﴿يَمْحُقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيَرْبِّي الصَّدَقَاتِ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرِّبَا إِنْ كَثُرَ فَإِنْ مَصِيرُهُ إِلَى قُلْ»، رواه أحمد أي إلى قوله. قال النبي الله شعيب: ﴿بَقِيتَ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، قوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾، أي افعلوا ما أمركم به ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه لا لأراكم أنا وغيري.

وقال الشيخ المراغي^(١) -

﴿بَقِيتَ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحلال خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الحرام إن كنتم مؤمنين به حق الإيمان، فالإيمان يظهر النفس من رذيلة الطمع ويحليها بفضيلة السخاء والكرم. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾ أي وما أنا بالذي أستطيع أن أحفظكم من القبائح وإنما أنا ناصح مبلغ وقد أذررت إذا أندرت ولم آل جهداً في ذلك.

الحليم: ذو الأنأة والتزوی الذي لا يتتعجل بأمر قبل الثقة من فائدته، والرشيد: الذي لا يأمر إلا بما استبه له من الخير والرشد والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقة غير طريق الآخر في قوله أو فعله أو حاله، وأناب إلى الله: رجع إليه، وحرم الذنب أو المال: كسبه، ورحيم: عظيم الرحمة للمستغفرين، ودود: كثير اللطف والإحسان إليهم.

بعد أن ذكر أمر شعيب لقومه بعبادة الله وحده وعدم النقص في الكيل والميزان ذكر هنا ردهم على كلا الأمرتين، فردوا على الأول بأنهم إنما ساروا

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٨٦) ص ٥٠ م ٤.

على منهج آبائهم وأسلافهم في التدين والإيمان وردوا على الثاني بأنهم أحوار في أموالهم يتصرفون فيها بما يجلب لهم المصلحة فيها.

هـ - حمد الله : -

علمنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أحد المفاهيم والمصطلحات الإسلامية التي تعتبر من أساسيات الاقتصاد في أرزاقنا ومعايشنا، وهو أن نحمد الله على نعمته بالصلة والزكاة واتباع كتابه... وقد بين الله تعالى في سورة هود:

﴿بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِظٍ﴾.

آية (٨٦)

وقال الإمام ابن كثير^(١) :

﴿بَقِيَّتِ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس. وقال ابن جرير: ما فضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف. قال: وقد روي هذا عن ابن عباس وهذا الذي قاله وحکاه حسن وهو شبيه بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتُوِي الْخَبِيثُ وَالْطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبْتَ كُثْرَ الْخَبِيثِ﴾، يعني: أن القليل من الحلال خير لكم من الكثير من الحرام، فإن الحلال مبارك وإن قل، والحرام ممحوق وإن كثر، كما قال تعالى: ﴿بِمَحَقِّ اللَّهِ الرِّبَا وَيَرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرِّبَا وَإِنْ كَثِيرٌ فَإِنْ مَصِيرُهُ إِلَى قَلْ»، رواه أحمد أي إلى قوله. قال النبي الله شعيب: ﴿بَقِيَّتِ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِظٍ﴾، أي افعروا ما أمركم به ابتغاء وجه الله ورجاء ثوابه لا لأراكم أنا وغيري.

وكذلك كما ذكر الله تعالى في سورة هود:

(١) البداية والنهاية - الحافظ بن كثير - سورة هود - الآية (٨٦) ج ١ ص ١٨٧ .

﴿وَيَقُولُ لَا يَجِدُونَكُمْ شِقَاقٍ أَن يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودَ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٌ﴾.
آية (٨٩)

ثم نأتي إلى التفسير:

الإمام ابن كثير^(١) :

ثم حذرهم الله تعالى من خلال ترهيبهم فقال: «يا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيّبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط ببعيد»... أي تحملكم مخالفتي وبغضكم ما جئتكم به على الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم فيحل الله بكم من العذاب والنkal نظير ما أحله بنظرائكم وأشباهكم من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من المكذبين المخالفين. قوله: «وما قوم لوط منكم ببعيد»، قيل: معناه في الزمان أي ما بالعهد من قدم مما قد بلغكم ما أحل بهم على كفرهم وعتواهم، وقيل: معناه وما هم منكم ببعيد في المحلة والمكان. وقيل: في الصفات والأفعال المستقبحات من قطع الطريق وأخذ أموال الناس جهرة وخفية بأنواع الحيل والشبهات والجمع بين هذه الأقوال ممكن فإنهم لم يكونوا بعيدين منهم لا زماناً ولا مكاناً ولا صفات ثم مزج الترهيب بالترغيب.

ومن ذلك علمنا الله تعالى بأن نحمده ونشكره على نعمته وليس كما فعل قوم شعيب عليه السلام بنبيهم حيث أنهم لم يؤمنوا برسالته كما أصرروا على معصية أمر الله.

وهكذا تعلمنا من قصة قوم شعيب عليه السلام دروساً كثيرة تساعدنا على بناء اقتصادنا وتعاملنا في الأسواق وفي معيشتنا وصناعاتنا، فالإسلام يدعونا لأن نبني معاملاتنا على العدل والحق والبعد عما نهانا الله عنه.

(١) البداية والنهاية - الحافظ بن كثير - سورة هود - الآية (٨٩) ص ١٩١، ج ١.

و - مشيئه الله :

ومن الأفعال المشينة التي ارتكبها ملأ من قوم شعيب عليه السلام الاستكبار.. ثم تهديدهم بإخراجه عليه السلام من القرية..

ففي سورة الأعراف: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكَبُرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكُمْ يَا شَعِيبَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ مِنْ قَرِيْتَنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مَلَنَّا قَالَ أَولُو كَنَّا كَارِهِينَ﴾.

آلية (٨٨)

وتمادي قوم شعيب عليه السلام في ارتكاب المعاصي والذنوب.. رغم نصيحته عليه السلام وتحذيره لهم... ففي سورة الأعراف أيضاً: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

آلية (٩٣)

وهكذا... كان مصير قوم شعيب عليه السلام... الذين تحولوا إلى الخسران المبين فاستحقوا العقاب والعذاب... وكانت الرجفة أو الصيحة... فأصبحوا في ديارهم جاثمين... وتلك مشيئة الله عز وجل.

ومن قصة شعيب عليه السلام يتضح لنا... أن تصديق الرسل... والإيمان برسالاتهم... وعدم الإستكبار عليهم والبعد عن المعاصي والأثام التي ارتكبها قوم شعيب عليه السلام فهو خير طريق للنجاح والفلاح... بل إنه أقصر طريق لإقامة اقتصاد قوي سليم مبني على أسس شريعتنا الإسلامية السمحاء...

ز - البركات:

ورد في قصة شعيب عليه السلام أحد المفاهيم الإسلامية التي لا يؤمن بها إلا المسلم المؤمن بكلام الله وهي البركات... حيث أن الله تعالى أرشدنا إلى أن بركاته تأتي من السماء والأرض ويعم الخير للبشر لأمة

أو لقرية مؤمنة بكتاب الله، كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف:
﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾.

آية (٩٦)

وقد ورد في كتاب «سنن ابن ماجه»^(١) عن البركة في كيل الطعام
ما قاله الرسول ﷺ: -

٢٢٥١ - حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الجمسي،
قال: حدثنا بقية بن الويليد عن بجير بن سعدي، عن خالد بن معدان، عن
المقدام بن معد يكرب، عن أبي أيوب، عن النبي ﷺ قال: «كيلوا طعامكم
يُبارك لكم فيه».

وهكذا يبين لنا أن البركة تأتي من عند الله ومن فضله، وهذا درس
اقتصادي استفدناه من تلك القصة لبناء اقتصادنا العملي في أمتنا الإسلامية
حيث أن الله يعطي بركته في أموالنا وتجارتنا وأعمالنا ومكاسبنا لقوم يؤمنون
بكلام الله وسنة نبيه، وأن يتبعوا عن المعا�ي والمحظورات التي حرمتها الله
 علينا ليعطينا الله من برkatه في أرزاقنا وأولادنا وأمتنا الإسلامية.

ط - الشكر: -

هو واجب على كل مسلم مؤمن... فالإنسان الذي يشكر ربه ويحمده
على نعمه التي لا تعد ولا تحصى... له جزاء طيب عند الله عز وجل... ففي
سورة إبراهيم:

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾. آية (٧)،
في سورة الإسراء: «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ

(١) سنن ابن ماجه - الجزء الثاني - ص ٢٠ - ٢٢٥١ .

كان سعيهم مشكوراً» آية (١٩). وفي سورة القمر: «كذلك نجزي من شكره» آية (٣٥).

والشكر ضده الكفر كما بينت الآية (٧) من سورة إبراهيم، وقد سبق ذكرها... وقد أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام كيف كانت عاقبة قومه الذين كفروا ولم يتعظوا بمن سبّهم ولم يصدقوا النصيحة التي قدمها لهم شعيب عليه السلام... ففي سورة هود: «ويا قوم لا يجر منكم شفافي أن يصيّبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط ببعيد» آية (٨٩).

ومن ذلك نسترشد بقصة شعيب عليه السلام بأن الشكر هو خير ما يتصرف به المسلم... كي يبني حياته الاقتصادية على أسس إسلامية صحيحة... .

ي - سبيل الله وطاعته: -

علمنا الله تعالى أنه أرسل شعيباً عليه السلام إلى قومه لينير لهم طريق التعامل بإتمام الكيل والميزان والقسط والعدل، ولكن قومه كذبواه ولم يطّيعوه.. كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف... .

«أَلَّذِينَ كَذَّبُوا شَعِيبًا كَانُوا لَمْ يَعْنُوا فِيهَا أَلَّذِينَ كَذَّبُوا شَعِيبًا كَانُوا هُمْ أَخْسَرُونَ فَنَوَّلُوا عَنْهُمْ وَقَالَ يَقُولُ لَقَدْ أَنْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَّحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ إِذَا نَسِيَ عَلَى قَوْمٍ كُفَّارِينَ».

الآيتين (٩٢)، (٩٣) من سورة الأعراف

وقد أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أن قومه كانوا يقدعون على الطريق فيقطعونه ويصدون عن سبيل الله من آمن به رغم تحذيره لهم وحثّهم على ألا يفسدوا في أرض الله بالمعاصي ويفعلون أعمالاً حرمها الله... ولهذا دعاهم للإخلاص في معاملاتهم وبعبارة الله وحده لا شريك له وألا يصدوا عن سبيل الله من آمن به، كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: «وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تَوْعِدُونَ وَتَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا»

عواجاً واذكروا إذ كتم قليلاً فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴿﴾، آية (٨٦).

وفي سورة الشعراة: ﴿إذ قال لهم شعيب ألا ترون (١٧٧) إني لكم رسول أمين (١٧٨) فاتقوا الله وأطيعون﴾ (١٧٩).

وبهذا تعلمنا من خلال قصة شعيب عليه السلام ضرورة طاعة الله فيما أمر وعدم الصد عن سبيل الله . . . وذلك إذا أردنا بناء اقتصاد قوي تظلله رأية الإسلام والتوحيد وفق شريعة الله التي تؤكد الحق والعدل.

ك - العمل الصالح : -

بين الله لنا في قصة شعيب عليه السلام مع قومه أحد المصطلحات والمفاهيم الإسلامية في الاقتصاد وهو العمل الصالح . . . حيث علمنا الله من تلك القصة أساساً إسلامياً في حياتنا الاقتصادية في تعاملنا اليومي ببعضنا البعض في أرزاقنا ومعايشنا وفي تجارتنا وفي صناعتنا . . . كل هذا التعامل الاقتصادي لحياتنا اليومية يعيشها الإنسان بكامل تصرفاته وما يفعله من عمل سواء كان صالحاً من حق وعدل وتطبيق لشريعة الله أو عمل يخالف أمر الله من غش وتحايل وربا وفساد في الأرض . . كل هذه الأعمال تعلمناها من قصة شعيب عليه السلام عن العمل الصالح ودوره فيما يؤديه المسلم المؤمن كما ذكرت سورة فاطر الآية (١٠).

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلَلَّهُ الْعِزَّةُ جِبِيلًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلْمُ الطَّيْبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السُّيَّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُؤُ لَهُمْ هُوَ بُورٌ﴾.

وقد أوضح الله لنا في قصة شعيب عليه السلام أحد الدروس الإسلامية في الاقتصاد وهو أن يعمل المسلم المؤمن العمل الصالح حسب شريعة الله ، ومن تلك القصة نهتدى إلى ما يأتي لبناء اقتصاد إسلامي سليم : -

١ - كان شعيب عليه السلام يهدي قومه إلى العمل الصالح والطريق السليم والبعد عن المعاishi التي نهاها الله عنها من عدم الوفاء والبخس في الكيل والميزان والفساد في الأرض وندرس منها ما يرشدنا للتعریف

والمفاهيم الإسلامية في الاقتصاد للعمل الصالح.

ذكر الله تعالى في سورة هود: ﴿وَيَا قوم أُوفوا الْمَكْيَالَ وَالْمِيزَانَ
بِالْقَسْطِ وَلَا تَبْخِسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥)﴾
﴿بَقِيتَ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ (٨٦).﴾

وكذلك بين الله لنا في سورة الأعراف: ﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا
قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بِيَتْهُ مِنْ رَبِّكُمْ
أُوفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخِسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥)﴾.

٢ - ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَا تَنْقُudُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تَوْعِدُونَ
وَتَصْدِّلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ آمِنٍ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عَوْجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا
فَكُثُرْكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾. آية (٨٦).

من ذلك أرشدنا الله إلى أحد المفاهيم والتعريفات الإسلامية في حياتنا الاقتصادية أن قوم شعيب عليه السلام كانوا لا يعملون العمل الصالح كما أمرهم الله بل كل الفساد والظلم وإفساد نظام المجتمع وأكل أموال الناس بالباطل، وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الأموال بطريق الحيل... كل هذه الأعمال بينما الله لنا في قصة شعيب عليه السلام عن الأعمال التي كانوا يفعلونها لفساد مجتمعهم... ولهذا فإن حكمة الله من تلك القصة أن نتمسك بالعمل الصالح ونحرص على أدائه، وأن نبتعد عن كل المعاصي وما نهانا الله عنه من فساد لبناء اقتصاد وتجارة ورزق حسن حسب شريعة الله ويأعمالنا الصالحة.

٣ - ورد في سورة هود: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتَهُ مِنْ رَبِّي
وَرَزْقِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ
أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ وَإِلَيْهِ
أَنِيبٌ﴾... آية (٨٨).

ومن ذلك أوضح الله لنا أن شعيباً عليه السلام كان يهدي قومه إلى

العمل الصالح بالبعد عن عدم الوفاء في الكيل والميزان وأن يعطوا الناس حقوقهم وأن لا يخونوا الناس في أموالهم ويأخذوها على وجه البخس ونقص الكيل والميزان.

٤ - يتضح لنا أن شعيباً عليه السلام كان يرشدهم إلى الطريق السليم لبناء حياتهم على أساس سليمة تبني على العدل والحق وإقامة مجتمع اقتصادي سليم يبعد عن الكسب الحرام من الغش والغبن وأكل الأموال بالباطل . . .

كما كان يرشدهم إلى طريق العمل الصالح . . . كما ذكر الله تعالى في سورة هود - (الآية ٩٣) .

وَيَقُولُمِنْعَمَلُوا عَلَى مَا كَانُوكُمْ إِنْ عَمِلُمِسْوَفَ تَعْلَمُونَ
يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيَهُ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ .

قال الدكتور محمد فريز منفيخي ما يلي^(١) :-

وكمما يكون التطهيف في الكيل والميزان يكون في أشياء أخرى .

فمن استأجر عاملًا ووقف أمامه يراقبه ويطالبه بتجوييد عمله ثم إذا كان هو عاملًا أجيراً لم يراقب ربه في العمل ولم يقم به على الوجه الذي ينبغي أن يقوم به يكون واقفاً تحت طائلة هذا الوعيد مستوجباً لأليم العذاب مهما يكن عمله جل أو حقير، وإذا كان هذا الإنذار للمطهفين الراضحين بالقليل من السحت فما ظنك بأولئك الذين يأكلون أموال الناس بلا كيل ولا وزن بل يسلبونهم ما بآيديهم ويغلبونهم على ثمار أعمالهم فيحرمونهم التمتع بها اعتماداً على قوة الملك أو نفوذ السلطان أو باستعمال الحيل المختلفة، لا جرم أن هؤلاء لا يحسبون إلا في عداد الجاحدين المنكرين ليوم الدين وإن زعموا بأساتهم أنهم من المؤمنين المحبثين . وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول: أتقى الله تعالى وألوف الكيل فإن المطهفين يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى أن العرق ليلجمهم .

(١) الدكتور محمد فريز منفيخي - النظام الاقتصادي القرآني ص ١١٢٥ .

٢ - الأخلاقيات في المعاملات التجارية : -

علمنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام الكثير من الملامح الاقتصادية في الإسلام، وهي تدخل في كيان الإنسان وتصرفة الذي ينعكس على ما تعلمه من كتاب الله عز وجل بطبقها في حياته الدنيوية من أجل أن يفوز بالآخرة . . .

ومن هذا المنطلق تعلمنا الكثير من الدروس المستفادة التي نبني بها أنفسنا . . . وهناك مفاهيم اقتصادية وصفات وأفعال وأخلاقيات أوضحتها قصة شعيب عليه السلام ومنها : -

(الأمانة - الإستقامة - التقوى - الصدق - الحق - القلوب - الإستغفار -
التفاضل - المقارنة).

وفيما يلي تحليلًا مبسطًا لهذه المفاهيم الاقتصادية والصفات والأفعال والأخلاقيات : -

أ - الأمانة :

أوضحت قصة شعيب عليه السلام أن لكل من الموازين والمكاييل جانب هام وهو الأمانة . . . فالأمانة تعتبر أحد الأسس الإسلامية في الموازين والمكاييل سواء بين البائع والمشتري كما ذكر في سورة الأعراف . . .

﴿ وَإِنَّ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَقَدْ جَاءَنِّي بِكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَنْهَاوُ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ . الآية (٨٥) .

وكذلك في سورة هود: ﴿وَلَا تُنْقِصُوا الْمِكَافَلَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بَخِيرًا وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا يَوْمَ مَحِيطٍ﴾ (٨٤) ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثروا في الأرض مفسدين﴾ (٨٥).

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (١٨١) وزنوا بالقسطاس المستقيم (١٨٢). من ذلك نستخلص أهم النقاط الأساسية في المعاملات الاقتصادية التي أوضحتها لنا قصة شعيب عليه السلام وهي:-

١ - لقد حدد التشريع الإسلامي أن الأمانة هي أساس هام وضروري في التعامل بين البائع والمشتري من ناحية البضاعة حيث ينبغي أن تكون سليمة وليس فيها أي غش أو تلاعب.

٢ - كذلك نهى الشرع البائع أن يبيع بضاعة فاسدة إلى المشتري أو بها عيوب لم يبينها للمشتري فهذه التصرفات تدخل في نطاق عدم الأمانة في بيع البضاعة.

٣ - كذلك بين كتاب الله أن على البائع إيفاء الكيل والميزان وأن يكون أميناً عند بيع بضاعته للمشتري.

ولقد ذكر الله تعالى في قصص القرآن الكريم عن يوسف عليه السلام وأمانته... وقد علمتنا الدروس الكثيرة في قول الحق والصدق في المعاملة، وكذلك تفسيره للرؤيا وتحمله أمانة ربه إلى شعب مصر، وكذلك عندما رأى ملك مصر أمانة يوسف عليه السلام جعله الوزير والمسئول الأول في مصر كما ذكر الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ اثْنَوْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (٥٤) قال اجعلني على خزائن الأرض إنني حفيظ عليم﴾ (٥٥) سورة يوسف.

كذلك علمنا يوسف عليه السلام في أمانته تجاه المسئولية الملقاة على عاتقه وتجاه ملك مصر وشعبها أن فترة مسئوليته الإدارية في تلك الفترة

العصبية من الأربعة عشرة سنة في السبع سنين الأولى من الرخاء والسبعين سنين الثانية من سنين القحط... فقد أدى الأمانة والمسؤولية في علاقته مع شعب مصر وأمام ملكها وتبليل رسالة ربه، كما ذكر الله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَلَمَّا جَهَزْهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ اتَّنْتَنِي بِأُخْ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنِي أَنِي أَوْفِيَ الْكِيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمَنْزَلِينَ﴾ آية (٥٩).

وكذلك كما ذكر الله تعالى في سورة يوسف: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرَّ وَجَتَنَا بِبِضَاعَةٍ مِّنْ جَاهَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكِيلَ وَتَصْدِيقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْمُتَصْدِقِينَ﴾ آية (٨٨).

وبهذا تعلمنا من قصة يوسف عليه السلام الدروس الكثيرة عن أمانته في المعاملة وفي ثقة ملك مصر به، وكذلك أمانته تجاه ربها وتبليل الرسالة وأداء الأمانة تجاه شعب مصر.

وقد شرح الدكتور محمد فريز منفيخي في كتابه: «النظام الاقتصادي (١) القرآني» الأمانة في عدم التطفيق وعدم بخس الناس أشياءهم... فقال: -

أتموا الكيل إذا كلتم للناس أو اكتلتم عليهم لأنفسكم وأوفوا الميزان إذا وزتم لأنفسكم فيما تبتعون أو لغيركم فيما تبيعون فليكن كل ذلك وافياً تماماً بالعدل ولا تكونوا من أولئك المطغفين. إذ أن الإيفاء يكون من الجانبيين حين البيع وحين الشراء فيرضى المرء لغيره ما يرضاه لنفسه، وقوله: ﴿بِالْقُسْطِ﴾ يدل على تحري العدل في الكيل والميزان حال البيع والشراء بقدر المستطاع، وإن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا ما يسعها فعله بأن تأتيه بلا عسر ولا حرج فهو لا يكلف من يبيع أو يشتري الأقوات ونحوها أن يزنها أو يكيلها بحيث لا تزيد حبة ولا مثقالاً بل يكلفه أن يضبط الوزن والكيل له أو عليه سواء بحيث يعتقد أنه لم يظلم بزيادة ولا نقص يعتد بهما عرفاً، والقاعدة الشرعية أن التكليف إنما يكون بما في وسع المكلف بلا حرج ولا

(١) الدكتور محمد فريز منفيخي - النظام الاقتصادي القرآني ص ١١٢٢.

مشقة عليه ولو اتبع المسلمين هذه الوصية وعملوا بها لاستقامت أمور معاملاتهم وعظمت الثقة والأمانة بينهم.

ثني الله بالأمر بایفاء الكيل والميزان إذا باعوا، والنهي عن بخس الناس أشياءهم إذا اشتروا بعد أن أمرهم بتوحيد الله ، لأن ذلك كان فاشياً فيهم أكثر من سائر المعاشي ، ومن ثم تهتم به كما اهتم لوطن بنهي قومه عن الفاحشة التي كانت فاشية بهم، فقد كانوا من المطغفين الذين إذا اكتالوا على الناس أو وزنوا عليهم لأنفسهم ما يشترون من المكيلات والموزونات يستوفون حقهم أو يزيدون عليه، وإذا كالوهم أو وزنهم ما يبعون لهم يخسرون الكيل والميزان أي ينقصونه فيبخسونهم أشياءهم وينقصونهم حقوقهم.

ب - الحق:

أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أن إقامة الحق بين الناس وإعطاء كل ذي حق حقه هو ركن أساسي في العقيدة الإسلامية والتي بني عليها اقتصاد الأمة الإسلامية . . .

وقد كان قوم شعيب عليه السلام مفسدون في الأرض ولا يعطون كل ذي حق حقه . . . كما كانوا ينقصون حقوق الناس في أموالهم ويأخذونها على وجه البخس وعدم الوفاء في الكيل والميزان . . . كما اتقنوا العيل التجارية والتلاعب والغش والمساومة وظلم الناس . . .

والحق هو أحد المفاهيم الإسلامية في الاقتصاد . . . فإذا فسد المجتمع يتعرض للإنهيار السريع . . . والإنهلال الذي يقوسه من كافة أركانه . . .

وقد ذكر في سورة الأعراف . . .

**هُوَ إِلَىٰ مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُ دُولَةً مَا لَكُمْ
مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ وَقَدْ جَاءَتْكُمْ بِكِتْنَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ**

وَالْمِيزَانَ وَلَا تَحْسُوا أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ كُلِّهِمْ إِنْ كُثُرْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ». الآية (٨٥)

وكذلك كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف . . .

« قَدِ افْتَرَنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدَّا فِي مِلَيْكُمْ بَعْدَ إِذْ بَحَثَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا
يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسَعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ
تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ». الآية (٨٩)

وفي ذلك ما ورد في كتاب «سنن ابن ماجه»^(١) في سيرة الرسول العطرة عندما هاجر المسلمين من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وعن موازينهم وكيلهم ما يلي : -

٢٤٢ - حدثنا عبد الرحمن بن بشير بن الحكم، ومحمد بن عقيل بن خويبلد، قالا : حدثنا علي بن الحسين بن واقد، قال : حدثني أبي، قال : حدثني يزيد التحوي؛ أن عكرمة حدثه عن ابن عباس؛ قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً. فأنزل الله عزوجل : «وَيْلٌ لِلْمُطْفَفِينَ » فألحسنوا الكيل بعد ذلك.

ولهذا فإن إقامة الحق هو أساس معاملاتنا وتجارتنا وأسواقنا، وفي كل المعاملات الاقتصادية في المجتمع . . . فإن إقامة الحق هو أحد الأسس التي شرعها الله في المجتمع الإسلامي لعم العدالة الاقتصادية والتجارية والعادلة بين المتعاملين.

جـ- الإستقامة :

إن الإستقامة في المجتمع هي أقوى القواعد والمناهج الإسلامية لبناء اقتصاد سليم يعم فيه العدل والحق بموازينهم وكيلهم حيث أن الإستقامة في

(١) «سنن ابن ماجه» - الجزء الثاني - ص ٢٠ - ٢٤٢ .

المجتمع تعتبر الركيزة الأساسية في التشريع الإسلامي، والتي ذكرها الله تعالى برساله شعيباً لقومه، وكذلك بقية الأنبياء والرسل، كما تعلمنا من فصص القرآن الكريم . . .

وعن ذلك ما ورد في كتاب «سنن ابن ماجه»^(١) في سيرة الرسول العطرة عن الإستقامة في السلف في كيل وزن معلوم إلى أجل معلوم، ما يلي :-

٢٣٠٠ - حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن عبد الله بن كثير (١٨٣ ب)، عن أبي المنهال، عن ابن عباس؛ قال: قدم النبي ﷺ لهم يسلفون في الشمر، السنتين والثلاث. فقال: «من أسلف في تمر فليس في كيل معلوم وزن معلوم، إلى أجل معلوم».

٢٣٠١ - حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده عبد الله بن سلام؛ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «إنبني فلان أسلموا لقوم من اليهود وإنهم قد جاعوا. فأخاف أن يرتدوا». فقال النبي ﷺ: «من عنده؟»، قال رجل من اليهود: عندي كذا وكذا لشيء سماه أراه قال: ثلاثة دينار بسعر كذا وكذا من حافظبني فلان. فقال رسول الله ﷺ: «بسعر كذا وكذا إلى أجل كذا وكذا، وليس من حافظبني فلان».

٢٣٠٢ - حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي. قالا: حدثنا شعبة، قال يحيى: عن عبد الله بن أبي المجادل. وقال عبد الرحمن: عن ابن أبي المجادل، قال: امترى عبد الله بن شداد وأبو بردة في السلم. فأرسلوني إلى عبد الله بن أبي أوفى. فسألته فقال: كنا نسلم على عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وعمر في الحنطة والزبيب والشعير والتمر، عند قوم ما عندهم.

(١) «سنن ابن ماجه» - الجزء الثاني - ص ٣٢

فسألت ابن أبيزى . فقال: مثل ذلك.

ولهذا فإن بناء أمتنا الإسلامية في تجارتنا وأوزاننا وكيلنا لا يأتي إلا بالاستقامة سواء استقامة الإنسان المسلم المؤمن الذي يطبق شريعة الله وسنة نبيه أو يستقيم في معاملاته للناس بإقامة الحق والعدل في معاملاته .

د - الصدق:

الصدق هو أحد الصفات والأخلاقيات الإسلامية في الإنسان المسلم الذي يطبق شريعة الله وسنة نبيه ، وهو يعتبر الركيزة الأساسية في الاقتصاد وخاصة في المعاملات التجارية والمالية والبيع والشراء في الأسواق . . .

والتاجر الصادق مع الصديقين والشهداء . . . وقد حث الإسلام على الصدق لأنه يطهر النفس ويبعد المرء عن وسوسه الشيطان . . . فالإنسان الصادق مع نفسه ومع الآخرين يحقق الخير والعدل في كافة معاملاته . . .

وتؤكد لنا قصة شعيب عليه السلام أن النقص في الميزان أو الكيل أو الزيادة بهما ، وكذا التلاعب في الأعمال التجارية والمالية والتسليس والغش لها عواقب وخيمة وعذاب أليم في الدنيا والآخرة . . .

وعندما نرى ما كتبه المفسرون عن الآية الكريمة (١٩٠) من سورة الشعراء عن قوم شعيب ومدى تقبل المؤمن دعوة النبي من صدق وتكذيب الكافر لكلام الله تعالى :

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ .

قال الإمام ابن كثير^(١): -

أي العزيز في انتقامه من الكافرين ، الرحيم بعباده المؤمنين بقوله تعالى مخبراً عن الكتہاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ : ﴿وَانه﴾ أي القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله :

(١) الإمام ابن كثير - سورة الشعراء - الآية (١٩٠) ص ٣٤٩ .

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن الرَّحْمَنِ مَهْدُثٌ﴾.

كما جاء في قول الشيخ محمود حجازي^(١) -

﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾ يا كفار مكة لو كتمتم تعلمون، وما كان أكثر قوم شعيب بمؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الذي يعز أولياءه وينصرهم، ويمثل أعداءه ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وهو الرحيم بالخلق جميعاً إن عاقب أو أثاب، ولا يتغير قوله تعالى: **﴿إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانُوكُمْ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾** الآية، تكريراً لأنها سبقت عقب كل قصة، وفي كل قصة آية وعبرة: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصْصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾**.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

قال الإمام الطبرى^(٢) :-

يقول تعالى ذكره أن في تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلة بتكتذيبهم نبيهم شعيباً لآية لقومك يا محمد وعبرة لمن اعتبروا إن سنتنا فيهم بتكتذيبهم إياك سنتنا في أصحاب الأيكة وما كان أكثرهم مؤمنين في سابق علمنا فيهم وإن ربك يا محمد لهو العزيز في نقمته من انتقام منه من أعدائه الرحيم بمن تاب من خلقه وأناب إلى طاعته... .

وقال الإمام ابن كثير^(٣) :-

ي وإن ربك لهو العزيز في انتقامه من الكافرين الرحيم بعباده المؤمنين النائبين.

﴿وَإِنَّهُ لَذِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(١) الشيخ محمود حجازي - سورة الشعرا - الآية (١٩٠) ص ٧٣ ج ١٩ .

(٢) الإمام الطبرى - سورة الشعرا - الآية (١٩١) ص ٦٧ .

(٣) الإمام ابن كثير - سورة الشعرا - الآية (١٩١) .

قال الإمام الطبرى^(١) :-

القول في تأویل قوله تعالى : ﴿وَإِنْهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُّبِينًا﴾، يقول تعالى ذكره وإن هذا القرآن لتنزيل من رب العالمين.

وقال الإمام الرازى^(٢) :-

وذلك لأنه لفصاحته معجز فيكون ذلك من رب العالمين، أو لأنه أخبار عن القصص الماضية من غير تعلم البة، فلا يكون ذلك إلا بوحي من الله تعالى.

هـ - الإستغفار :-

هو من الأفعال والأخلاقيات التي طالب بها ودعا إليها معظم الرسل والأنبياء... وقد وعدنا الله تبارك وتعالى بالمتعاع الحسن والمغفرة... ففي سورة هود: وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متعاعاً حسناً... آية (٣)... وفي سورة المزمل: ﴿... وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آية (٢٠).

وقد دعا شعيب عليه السلام قومه إلى الإستغفار والتوبية معاً... ففي سورة هود: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّكَ رَحِيمٌ وَّدُودٌ﴾ آية (٩٠).

ولو أن قوم شعيب عليه السلام آمنوا برسالته وصدقوا لفازوا برحمه الله وتجنبوا العذاب الذي حل بهم... ولكنهم كذبوا... وكانوا قوماً خاسرين وأصبحوا في دارهم جاثمين....

وفي سورة النساء... ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ آية (٤٨).

(١) الإمام الطبرى - سورة الشعرا - الآية (١٩٢) ص ٦٨.

(٢) الإمام الرازى - سورة الشعرا - الآية (١٩٢) ص ١٦٥.

وقد دعا شعيب عليه السلام قومه بأن يستغفروا للواحد الأحد، وفيما يلي تفسير بعض أفضلي العلماء لما ذكرته سورة هود - الآية (٩٠) :-

﴿ وَأَسْتَغْفِرُ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾.

يقول الإمام الطبرى^(١) :

استغفروا ربكم أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التي أنتم عليها مقيمون من عبادة الآلهة والأصنام وبخس الناس حقوقهم في المكاييل والموازين .

وجاء في تفسير الإمام الرازى^(٢) :-

من الوجوه التي ذكرها شعيب عليه السلام قوله :-

واستغفروا ربكم من عبادة الأوثان ثم توبوا إليه عن البخس والنقصان إن ربى رحيم بأوليائه ودود . قال أبو بكر الأنباري الودود في أسماء الله تعالى المحب لعباده من قولهم وددت الرجل أوده . وقال الأزهري في كتابه شرح أسماء الله تعالى واعلم أن هذا الترتيب الذي راعاه شعيب عليه السلام في ذكر هذه الوجوه الخمسة ترتيب لطيف . وذلك لأنه بين أولًا أن ظهور البينة له وكثرة إنعام الله تعالى عليه في الظاهر والباطن يمنعه عن الخيانة ، وفي وحي الله تعالى ويصده عن التهاؤن في تكاليفه ، ثم بين ثانيةً أنه مواطن على العمل بهذه الدعوة ولو كانت باطلة لما اشتغل هو بها مع اعترافكم بكونه حليماً رشيداً ثم بين صحته بطريق آخر وهو أنه كان معروفاً بتحصيل موجبات الصلاح وإخفاء موجبات الفتنة .

فلو كانت هذه الدعوة باطلة لما اشتغل بها ثم لما بين صحة طريقة ، أشار إلى نفس المعارض ونفيه وقال : لا ينبغي أن تحملكم عداوتى على

(١) الإمام الطبرى - سورة هود - الآية (٩٠) ص ٦٣ م ٩ .

(٢) الإمام الرازى - سورة هود - الآية (٩٠) ص ٤٥ م ٦ ج ١٨ .

مذهب ودين تقعون بسببه في العداء الشديد من الله تعالى كما وقع فيه أقوام الأنبياء المتقدمين، ثم إنه لما صاحب مذهب نفسه بهذه الدلائل عاد إلى تقرير ما ذكره أولاً وهو التوحيد والمنع من البخس.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا^(١) :-

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾، أي اطلبوا منه المغفرة لما أنتم عليه من الشرك والمعاصي بتركهما ثم توبوا إليه كلما وقع منكم معصية، ﴿إِنَّ رَبَّيْ رَحِيمٌ وَّدُودٌ﴾ هذا تعليل لما قبله أي عظيم الرحمة للمستغفرين التائبين بمحضرته وعفوه كثير المودة لهم بإحسانه ونعمه، وهذا وعد قضى به على الوعيد الذي قبله وترك لهم الخيار فيما يرجحونه منها بعد إقامة الحجة عليهم، والأية دليل على أن الندم على فعل الفساد والظلم بالتوبة واستغفار رب تعالى من أسباب خير الدنيا والآخرة كما تقدم نظيره مكرراً في هذه السورة، وكذلك يقتضيان فعل العدل والإصلاح للذين هما سبب العمران والخير في الدنيا ومغفرة الله وموتيته في الآخرة، وقد عبر عنهم هنا بما يدل عليهما من صفاته تعالى وهي الرحمة والمودة.

وجاء في تفسير الشيخ المراغي^(٢) :-

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي واطلبوا من ربكم المغفرة مما أنتم عليه من عبادة الأوثان وبخس الناس حقوقهم في المكيال والميزان، ثم ارجعوا إلى طاعته والانتهاء إلى أمره ونهيه. بعد أن جادلوه أولاً بالتي هي أحسن ووعيت عليهم العلل وضاقت بهم الحيل، ولم يجدوا للمحاورة ثمرة - تحولوا إلى الإهانة والتهديد وجعلوا كلامه من الهذيان والتخلط الذي لا يفهم معناه ولا تدرك فحواه فقابلهم بالإذار بقرب الوعيد، ونزل العذاب الشديد.

(١) الشيخ محمد رشيد رضا - سورة هود - الآية (٩٠) ص ١٤٥ م ١٢ .

(٢) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٩٠) ص ٧٣ م ٤ .

و - القلوب:

لقد أرسل الله شعيباً إلى قومه ليهدي القلوب الضعيفة التي عصت أمر ربها بانتهاك المحرمات من النقص والبغض وعدم الوفاء بالكيل والميزان، وغير ذلك حيث نسترشد من قصة شعيب عليه السلام أن وسوسه . الشيطان تدخل في قلب كل إنسان، ولكن المسلم المؤمن لا ينقاد إلى وسوسة الشيطان لمعصية أمر الله .

وقد ورد عن الإمام القاسمي في تفسيره لآلية (١٩٠) من سورة الشعراء في قلب المؤمن والكافر بما ردد شعيب عليه السلام ما يلي :-

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً وَمَا كَانَ أَكْرَهُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

قال الإمام القاسمي^(١) :-

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةٌ﴾ أي على أخذ هذه العصابة بمقتضى أعمالهم: ﴿وَمَا كَانُواْ أَكْرَهُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُ الرَّحِيمُ﴾، إن الغالب على تعذيب من شاء بما شاء الرحيم ، بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ثلاثة يكون للناس على الله حجة .

قال الزمخشري : فإن قلت: كيف كرد في هذه السورة، في أول كل قصة وآخرها، ما كرر؟ قلت: كل قصة منها كتنزيل برأسه. وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها. فكانت كل واحدة منها تدلني بحق في أن تفتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بما اختتمت به .

ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتشبيتاً لها في الصدور. إلا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد بحفظه منها؟ وكلما زاد ترديد ما يراد بحفظه منها؟

وكلما زاد ترديده كان أمكنا له في القلب وأرسخ في الفهم، وأثبت للذكر وأبعد من النسيان. لأن هذه القصص طرقت بها أذان .

وأنه لبناء اقتصاد سليم على أسس إسلامية لا بد أن تكون أقوياء أمام

(١) الإمام القاسمي - سورة الشعراء - الآية (١٩٠) ص ٤٤ م ٣ .

رغبات الشيطان في الطمع والجشع في المال والتجارة وأن نقوى قلوبنا على هدى من كتاب الله وتعاليم سنة نبيه ولتبني مجتمعاً إسلامياً على العدل والحق.

ز - التفاضل : -

التفاضل هو أحد الأسس والقواعد الإسلامية في الاقتصاد وذلك كما ذكر الله تعالى في سورة هود: **﴿قَالُوا يَسْعِيهِ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَدَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمَنَكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾** قال يَنْقُومُ أَرْهَطِي أَعْزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَأَنْخَذْ شُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهَرِيَاءِ إِنَّ رَقِيَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ

من ذلك علمنا الله درساً عملياً كيف أن قوم شعيب رأوا أن شعيباً ضعيفاً عندما نصحهم وأرشدهم لكلام الله ولكن قوم شعيب لم يؤذوه بسبب رهطه أي جماعته وعشائرته.

وفيما يلي ما فسره بعض أفضلي العلماء من سورة هود - الآية (٩١) عن التفاضل : -

﴿قَالُوا يَسْعِيهِ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَدَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمَنَكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾.

قال الشيخ محمد رشيد رضا^(١) :

﴿قَالُوا يَا شَعِيبَ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مَا تَقُولُ﴾ إن الفقه في اللغة أخص من الفهم والعلم وهو الفهم الدقيق العميق المؤثر في النفس الباعث على العمل أي ما نفقه كثيراً مما ترمي مما وراء ظواهر أقوالك من مواطنها وتؤول إليها كبطلان عبادة آلهتنا وقبع حرية التصرف في أموالنا وعذاب محيط بيديننا وإصابتنا بمثل الأحداث الجوية التي نزلت بمن قبلنا كان أمرها بيديك

(١) الشيخ محمد رشيد رضا - سورة هود - الآية (٩١) ص ١٤٧ م ١٢ .

وتصرفك أو تصرف ربك يصيب بها من شاء أو يشاء لأجلك: «إنا لنراك فينا ضعيفاً» لا حول لك ولا قوة تمنع بها منا إن أردنا أن نبطش بك وأنت على ضعفك تنذرنا العذاب المحيط الذي لا يفلت منه أحد «ولولا رهطك» أي عشيرتك الأقربون - والرهط الجماعة من الثلاثة إلى السبعة أو العشرة «لرجمناك» لقتلناك شر قتلة وهي الرمي بالحجارة حتى تدفن فيها «وما أنت علينا بعزيز» أي بذي عزة ومنعة علينا تحول بيننا وبين رجمك، وإنما نعز رهطك ونكرمهم على قتلهم لأنهم منا وعلى ديننا الذي نبذته وراء ظهرك، وأهنته، ودعوتنا إلى تركه لبطلانه وفساده في زعمك.

وكذلك ما ذكر في الآية الكريمة من سورة هود: -

«قَالَ يَكْتُقُونِ أَرَهَطِيْ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَخْذَتُمُوهُ وَرَأَءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّيِّ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ». الآية (٩٢).

قال الشيخ المراغي^(١) :-

قال يا قوم أرهطي أعز عليكم وأكرم من الله حتى كان امتناعكم عن رجمي بسبب انتسابي إليهم وأنتم رهطي لا بسبب انتسابي إلى الله تعالى الذي أدعوكم إليه بأمره. «واتخذتموه وراءكم ظهرياً» أي واستخفتم بربكم فجعلتموه خلف ظهوركم لا تأترون لأمره ولا تخافون عقابه ولا تعظمونه حق التعظيم، وكان القوم يؤمنون بالله ويشركون به سواه، وأكثر الناس اليوم لا يرافقون الله في أقوالهم ولا في أعمالهم فيرجوهم إذا أساءوا ويتسابقون إلى الإحسان ابتغاء مرضاته. «إن ربى بما تعملون محيط» أي إن ربى محيط علمه بعملكم فلا يخفى عليه شيء منه وهو مجازيكم عليه وأما رهطي فلا يستطيعون لكم ضراً ولا نفعاً.

وفي الآية الكريمة يبين لنا الله فضله على قوم شعيب عليه السلام.

وكذلك ذكر الله في سورة الأعراف - الآية (٨٦).

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٩٢) ص ٧٥ م ٤ .

﴿وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.

قال الإمام ابن الجوزي^(١) : -

قوله تعالى : **﴿وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ﴾** قال الزجاج : جائز أن يكون المعنى : جعلكم أغنياء بعد أن كنتم فقراء ، وجائز أن يكون : كث عددكم بعد أن كنتم قليلاً ، وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة وأقدار ، فكثراهم . . . **﴿قَالُوا أَولُوا كَنَا كَارِهِينَ﴾** أي : أو تجبروننا على ملتكم إن كرهناها ؟

وقال الإمام ابن كثير^(٢) في كتابه البداية والنهاية عن ذلك : -

﴿وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ، ذكرهم بنعمة الله تعالى عليهم في تكثيرهم بعد القلة وحدتهم نعمة الله بهم إن خالفوا ما أرشدهم إليه ودلهم عليه .

من ذلك يتبيّن لنا أن الإنسان يبت في بعض تصرفاته الاقتصادية من معاملات تجارية ومالية حسب الظروف أو يعطي حساب لغني أو فقر الشخص أو نفوذه ومركزه الاجتماعي ، ولكن الله تعالى علمنا درساً في التفاضل أن المسلم يسير وفق كتاب الله في تصرفه وعمله أمام التعامل مع الآخرين .

ح - المقارنة : -

ذكر الله تعالى في سورة هود . . .

﴿وَيَقُولُ لَا يَجِدُ مِنَّكُمْ شَيْقًا فِي أَنْ يُصْبِيَكُمْ مِثْلًا مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَلْيَحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ يُبَعِّدُهُ﴾. الآية (٨٩).

وقد تحدث الله تعالى لنا عن الأقوام الذين حل بهم غضبه لأنهم

(١) الإمام ابن الجوزي - سورة الأعراف - الآية (٨٦) ص ٢٢٨ م ٣ .

(٢) البداية والنهاية - الحافظ بن كثير - سورة الأعراف - الآية (٨٦) ج ١ ، ص ١٨٢ .

عصوا أمره... وقد طالب شعيب عليه السلام قومه بـألا يصيروا مثلهم وذكرهم بـقوم نوح وهود وصالح عليهم السلام وما حدث لهم، وأن قوم لوط عليه السلام ليسوا بـبعيد أي أن الزمن في تلك الحقبة التاريخية كان قريباً... وقد أرشدنا الله إلى أن المقارنة التي بينها لقوم شعيب عن الأقوام الآخرين هي أحد الدروس والمفاهيم الإسلامية في الاقتصاد لأن قوم شعيب عليه السلام كانوا يعصون أمر الله في تجارتـهم وكسب أموالـهم وأن شعيباً عليه السلام كان يحذرـهم بـألا يكونـوا مثل الأقوام الأخرى حيث أصحابـهم الله بـجزائه مثل قوم نوح وهود وصالـح ولوط... .

وفيما يلي ما فسرـه أـفضل العلماء عـما ذكرـته سورة هـود - الآية

- (٨٩) -

يقول الإمام الطبرـي^(١) :

يقول تعالى مخبرـاً عن قول شعـيب لـقومـه: «وـيا قـوم لا يـجرـمـنـكـمـ شـقـاقـيـ»، يقول: لا يـحملـنـكـمـ عـداـوتـيـ وـيـغضـبـيـ وـفـرـاقـ الـدـينـ الـذـيـ آـنـاـ عـلـيـ عـلـىـ الإـصـرـارـ عـلـىـ مـاـ أـنـتـ عـلـيـ مـاـ الـكـفـرـ بـالـلـهـ وـعـبـادـةـ الـأـوـانـ وـبـخـسـ النـاسـ فـيـ الـمـكـيـالـ وـالـمـيزـانـ وـتـرـكـ الـإـنـابـةـ وـالـتـوـرـةـ فـيـصـيـكـمـ مـثـلـ مـاـ أـصـابـ قـومـ نـوـحـ مـنـ الغـرـقـ أـوـ قـومـ هـودـ مـنـ العـذـابـ أـوـ قـومـ صـالـحـ مـنـ الرـجـفـةـ، وـمـاـ قـومـ لـوـطـ الـذـينـ اـتـفـكـتـ بـهـمـ الـأـرـضـ مـنـكـمـ بـعـيـدـ هـلـاـكـهـمـ أـفـلـاـ تـعـظـونـ بـهـ وـتـعـتـبـرـونـ، يـقـولـ: فـاعـتـبـرـواـ بـهـؤـلـاءـ وـاحـذـرـواـ أـنـ يـصـيـكـمـ بـشـقـاقـيـ مـثـلـ الـذـينـ أـصـابـهـمـ.

وقـالـ الإمامـ الرـازـيـ^(٢) :

أـيـ لـاـ يـكـسـبـنـكـمـ شـقـاقـيـ إـصـابـةـ العـذـابـ. إـذـاـ عـرـفـتـ هـذـاـ فـنـقـولـ: الـمـرـادـ مـنـ الـآـيـةـ لـاـ تـكـسـبـنـكـمـ مـعـادـاتـكـمـ إـيـاـيـ أـنـ يـصـيـكـمـ عـذـابـ الـإـسـتـصـالـ فـيـ الـدـنـيـاـ مـثـلـ مـاـ حـصـلـ لـقـومـ نـوـحـ عـلـيـ السـلـامـ مـنـ الغـرـقـ وـلـقـومـ هـودـ مـنـ الـرـيـحـ الـعـقـيمـ. وـلـقـومـ صـالـحـ مـنـ الرـجـفـةـ وـلـقـومـ لـوـطـ مـنـ الـخـسـفـ.

(١) الإمام الطبرـيـ - سورة هـودـ - الآية (٨٩) ص ٦٣ م ١٢ .

(٢) الإمام الرـازـيـ - سورة هـودـ - الآية (٨٩) ص ٤٧ ج ٦ م ١٨ .

وأما قوله: ﴿مَا قوم لوط منكم ببعيد﴾ فيه وجهان:

الأول: أن المراد نفي البعد في المكان لأن بلاط قوم لوط عليه السلام قرية من «مدن».

والثاني: أن المراد نفي البعد في الزمان لأن إهلاك قوم لوط عليه السلام أقرب الإلحادات التي عرفها الناس في زمان شعيب عليه السلام. وعلى هذين التقديرتين فإن القرب في المكان وفي الزمان يفيد زيادة المعرفة وكمال الوقوف على الأحوال، فكأنه يقول: اعتبروا بأحوالهم واحذروا من مخالفلة الله تعالى ومنازعته حتى لا ينزل بكم مثل ذلك.

كما قال الإمام ابن كثير^(١):

ثم حذرهم الله تعالى من خلال ترهيدهم فقال: ﴿وَيَا قَوْمًا لَا يَجِدُونَكُمْ شَقَاقِي أَنْ يَصِيبُوكُمْ مِّثْلًا مَا أَصَابَ قَوْمًا نُوحًا أَوْ قَوْمًا هُودًا أَوْ قَوْمًا صَالِحًا وَمَا قَوْمًا لَوْطًا بَعِيْدَهُ﴾ ... أي نحملكم مخالفتي ويغضضكم ما جئتم به على الاستمرار على ضلالكم وجهلكم ومخالفتكم فيحل الله بكم من العذاب والنکال نظير ما أحله بمنظراتكم وأشباهكم من قوم نوح وقوم هود وقوم صالح من المكذبين المخالفين. وقوله: ﴿وَمَا قَوْمًا لَوْطًا بَعِيْدَهُ﴾، قبل: معناه في الزمان أي ما بالعهد من قدم مما قد بلغكم ما أحل بهم على كفراهم وعتواهم، وقيل: معناه وما هم منكم بعيد في المحلة والمكان. وقيل: في الصفات والأفعال المستقبلات من قطع الطريق وأخذ أموال الناس جهرة وخفية بأنواع الحيل والشبهات والجمع بين هذه الأقوال ممكن فإنهما لم يكونوا بعيدين منهم لا زماناً ولا مكاناً ولا صفات ثم مزج الترهيب بالترغيب.

وورد في تفسير الإمام الشوكاني^(٢):

قوله: ﴿وَيَا قَوْمًا لَا يَجِدُونَكُمْ شَقَاقِي﴾ قال الزجاج: معناه لا يكسبنكم

(١) البداية والنهاية - الحافظ بن كثير - سورة هود - الآية (٨٩) ص ١٩١ ج ١ .

(٢) الإمام الشوكاني - سورة هود - الآية (٨٩) ص ٥١٨ .

شقاقٍ أصابه العذاب إياكم كما أصاب من كان قبلكم، ويقال معنا: لا يحملنكم شقافي. والشقاق العداوة **﴿مثلاً ما أصاب قوم نوح﴾** من الغرق **﴿أو قوم هود﴾** من الريح **﴿أو قوم صالح﴾** من الصيحة، **﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾** يحتمل أن يريد ليس مكانهم بعيد من مكانكم أو ليس زمانهم بعيد من زمانكم أو ليسوا بعيد منكم في السبب الموجب لعقوتهم: وهو مطلق الكفر وإفراد لفظ **﴿بعيد﴾** لمثل ما سبق في **﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾** ثم بعد ترهيبهم بالعذاب أمرهم بالإستغفار والتوبة.

أما الشيخ المراغي^(١) فقال:

«وما قوم لا يجرمنكم شفاقتى أن يصييكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح»، أي لا نحملنكم عداوتى وبغضى وفراق الدين الذى أنا عليه على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله وعبادة الأولئان ويحس الناس في المكial والميزان فيصييكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من العذاب أو قوم صالح من الرجفة.

﴿وَمَا قُومٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بِيَعْيِدُ﴾ زَمَانًاً وَلَا مَكَانًاً أَيْ إِنْ لَمْ تَعْتَبِرُوا بِمِنْ ذَكْرِنَا قَبْلَ لَقْدِ عَهْدٍ أَوْ بَعْدِ مَكَانٍ فَاعْتَبِرُوا بِهَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ بِمَرَأَيِّنَكُمْ وَمُسْمَعٍ. وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى لِيُسَوِّا بِيَعْيِدِنَكُمْ فِي الْكُفْرِ وَالْمَسَاوِيِّ فَاحذَرُوا أَنْ يَحْلِ بِكُمْ مِثْلُ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ.

وقال الشيخ محمد حجازي (٢):

مثل ما أصاب قوم نوح بالغرق أو قوم هود بالرياح العاتية، أو قوم صالح بالصيحة الطاغية وما عذاب قوم لوط منكم ببعيد زماناً ولا مكاناً ولا أجراماً.

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٨٩) ص ٧٢ م ٤ .

^(٢) الشيخ محمود حجازي - سورة هود - الآية (٨٩) ص ٤٦ ج ١٢ .

كما فسر أفضال العلماء ما ذكرته سورة الأعراف - الآية (٨٧) بما يلي : -

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةً مِّنْكُمْ إِمَّا مَنَّا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةً لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا وَاحْتَدِي حَكْمُ اللَّهِ بِيَنْتَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ ﴾.

وقال الإمام ابن الجوزي^(١) في ذلك : -

أي : إن اختلافتم في رسالتي ، فصرتم فريقين ، مصدقين ومكذبين
﴿فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بِيَنْتَنَا﴾ بتعذيب المكذبين ، وإنجاء المصدقين ،
﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لأنه العدل الذي لا يجوز .

وقال الإمام الشوكاني^(٢) : -

هذا من باب التهديد والوعيد الشديد لهم . وليس هو من باب الأمر
بالصبر على الكفر . وحكم الله بين الفريقين هو نصر المحقين على
المبطلين .

(١) الإمام ابن الجوزي - سورة الأعراف - الآية (٨٧) - ص ٢٢٩ م ٣ .

(٢) الإمام الشوكاني - فتح القدير - سورة الأعراف - الآية (٨٧) ص ٢٢٣ م ٢٩ ج ٠ ٢٩ .

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في التجارة: -

لقد ذكر الله تعالى في سورة هود: ﴿وَيَا قَوْمَ أُوفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقَسْطِ وَلَا تَبْخِسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثِسُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ الآية (٨٥).

وكذلك بين الله تعالى في سورة هود: ﴿قَالَ يَكْفُورُ أَرْءَى شَمِّإِنْ كُثُّتْ عَلَى بَيْنَتِهِ مِنْ رَّبِّيْ وَرَزَقَنِيْ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ إِنْ أَخَالِفُكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيْتُكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا إِلَاصْلَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ آية (٨٨).

قال الإمام أبو السعود^(١) في ذلك: -

﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا إِلَاصْلَحَ﴾ أي ما أريد بالأمر والنهي إلا الإصلاح لكم ودفع الفساد في دينكم ومعاملاتكم، ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ ما بلغت إليه استطاعتي وتمكنت منه طاقتني.

﴿إِنْ أَرِيدُ﴾ أي ما أريد بما أباشره من الأمر والنهي ﴿إِلَّا إِلَاصْلَحَ﴾ إلا أن أصلحكم بالنصححة والموعظة، ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي مقدار ما استطاعته من الإصلاح والتقييد به لل الاحتراز عن الإكتفاء بالإصلاح في الجملة لا عن إرادة ما ليس في وسعه منه، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ أي كوني موفقاً لتحقيق ما أنتحشه من إصلاحكم، ﴿إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي بتائيده و معونته بل الإصلاح من حيث

(١) الإمام أبو السعود - سورة هود - الآية (٨٨) - ص ٢٣٤ م ٤.

الخلق مستند إليه سبحانه وإنما أنا من مباديه الظاهرة، قال عليه السلام تحقيقاً للحق وإزاحة لما عسى يوهنه إسناد الإستطاعة إليه بارادته من استبداده بذلك، **﴿عليه توكلت﴾** في ذلك معرضاً عما عداه، فإنه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محضر في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبة الإستعداد به والإستظهار **﴿وإليه أنيب﴾** أي أرجع فيما أنا بصدده.

وقد جاء في تفسير الإمام القرطبي^(١) :-

قوله تعالى: **﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربِّي﴾** تقدم، **﴿ورزقني منه رزقاً حسناً﴾** أي واسعاً حلالاً، وكان شعيب عليه السلام كثير المال، قاله ابن عباس وغيره. وقيل: أراد به الهدى والتوفيق، والعلم والمعرفة، أي أفلأ أنهاكم عن الضلال، وقيل المعنى: أرأيتم إن كنت على بينة من ربِّي **﴿أتبَعَ الضلال﴾**. وقيل: المعنى: أرأيتم إن كنت على بينة من ربِّي أتأمروني بالعصيان في البخس والتطفيق وقد أغناني الله (ما أريد أن أخالفكم)، **﴿إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾** أي ليس أنهاكم عن شيء وأرتكبه، كما لا أترك ما أمرتكم به. إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت. أي ما أريد إلا فعل الصلاح، أي إن تصلحوا دنياكم بالعدل وآخرتكم، أي إن أريد إلا الإصلاح جهدي واستطاعتي. **﴿وَمَا تُوفِّيَتِي﴾** أي رشدي والتوفيق الرشد. **﴿إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ﴾**. **﴿وَإِلَيْهِ أَنِيب﴾** أي أرجع فيما ينزل بي من جميع التواب. وقيل: إليه أرجع في الآخرة. وقيل: إن الإنابة الدعاء ومعناه قوله ادعوا.

كما قال الشيخ مصطفى المراغي^(٢) :-

أي ولا تقدعوا بكل طريق تخوفون من آمن بالقتل، وقد روي عن ابن عباس أن بلادهم كانت خصبة وكان الناس يمتارون منهم، فكانوا يقدعون

(١) الإمام القرطبي: سورة سود، آية (٨٨) - من ٣٣١٥ حتى ٣٣٢١.

(٢) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الأعراف - الآية (٨٦) ص ٢٠٦ ج ٩.

على الطريق ويغفون الناس أن يأتوا شعيباً ويقولون لهم إنه كذاب فلا يفتلكم عن دينكم.

وقد رتب سبحانه هذه الأوامر والنواهي بحسب الترتيب الزمني، فوجّهت الدعوة أولاً إلى أقرب الناس في بلده، ثم إلى الأقرب فالأقرب من الذين يزورون أرضهم، وقد كان الأقربون داراً هم الأبعدون استجابة له، وحين رأوا غيرهم يقبل دعوته وبهتدى بها شرعاً يصدون الناس عنه فلا يدعون طريقاً توصل إليه إلا قعد بها من يتبعون سالكيها إليه، ويصدونهم عن سبيل الله التي يدعوهم إليها، ويطلبون بالتمويه والتضليل أن يجعلوا استقامتها عوجاً، وهذاها ضلالاً.

﴿وَذَكِرُوا إِذْ كَنْتُمْ قَلِيلًا فَكُثُرْتُمْ﴾ أي وذكروا الزمن الذي كنتم فيه قليلاً العدد فكثركم الله بما بارك في نسلكم، واشكروا له ذلك بعبادته وحده، واتباع وصاياه في الحق، والإعراض عن الفساد في الأرض. وقد روى أن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها البركة والنماء فكثروا.

وقد يكون المعنى - إذ كنتم مقلين فقراء فجعلكم مكثرين موسرين - أو المراد: إذ كنتم أذلة قليلاً العدد فأعزكم بكثرة العدد والعدد.

﴿وَانظروا كيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ من الأمم والشعوب المجاورة لكم كقوم نوح وعاد وثمود، وكيف أهلكهم الله بفسادهم ويعنيهم في الأرض، فاعتبروا بما حل بهم، واحذرؤا أن يصيّركم مثل ما أصابهم.

التحليل الاقتصادي : -

وقد ذكر الشيخ مصطفى المراغي⁽¹⁾ ما نهى الله عنه قوم شعيب وينحصر فيما يلي : -

(1) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الأعراف - الآية (٨٦) - ص ٢٠٦ ج ٢ .

١ - قعود قوم شعيب عليه السلام على الطرقات التي توصل إليه مخوفين من يجيئه ليرجع عنه قبل أن يراه ويسمع دعوته.

٢ - صدتهم من وصل إليه وأمن به بصرفه عن الثبات على الإيمان والإستقامة على الطريق الموصلة إلى سعادة الدارين.

٣ - ابتغاؤهم جعل سبيل الله المستقيمة معوجة بالطعن وإلقاء الشبهات المشككة فيها أو المشوهة لها، وهم بعملهم هذا ارتكبوا ضلالتين: التقليد والعصبية للأباء والأجداد، وضلاله الغلو في الحرية الشخصية التي أباحت لهم الطعن في الأديان حتى بلغوا في ذلك حد الطغيان.

ومن ذلك يتضح لنا بعد شرح تفاسير أفضال العلماء بأن الله تعالى علمنا في قصة شعيب عليه السلام أنه أرسل إلى قومه ليأمر بالمعروف وينهى عن كل فساد وعصية لأمر الله حيث كان شعيب عليه السلام يعظهم ويرشدهم ويأمرهم بعدم الفساد في الأرض وطاعة الله، ويحذرهم من الغش والخداع في الكيل والميزان وقطع الطريق وكل ما حرمه الله ...

ومن ذلك نتعلم درساً ينفعنا في حياتنا الاقتصادية وفي أسواقنا وتجارتنا، وقد حذرنا الله تبارك وتعالى بأن نبتعد عن المحرمات والمنهيات في معاملاتنا، وأن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر والفساد في مجتمعنا وأمتنا الإسلامية لبناء اتصاباد إسلامي على أساس شريعة الله.

أ - الإيمان : -

يرتبط الإيمان ارتباطاً وثيقاً بأخلاقيات وسلوكيات المسلم... وأركان الإيمان كما جاء في الحديث النبوى الشريف والذي رواه الإمام مسلم عن عمر رضي الله عنه هي : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره...»، ولا يمكنني في هذه العجلة أن أتحدث عن الإيمان من كافة جوانبه... والنفس البشرية أمارة بالسوء... إلا ما رحم

ربى... وتحتختلف نفوس البشر بعضها عن بعض.. فهناك النفس المطمئنة... والنفس المضطربة.. غير المؤمنة... مثل قوم شعيب عليه السلام.. الذين دعاهم إلى الإيمان بالله وحده فكذبواه.. وصدوا عن دينه فأصبحوا كافرين.. ودعاهم إلى الحق واتباع العدل في معاملاتهم وعدم بخس الناس أشياءهم.. وأن يوفوا الكيل والميزان فلم يصدقوه.. ومن الآيات الكثيرة التي ذكرت في القرآن الكريم هذه الآية من سورة الأعراف: «وَإِنْ كَانَ طَائِفَةً مِّنْكُمْ آمَنَتْ بِالَّذِي أَرْسَلْتَ بِهِ وَطَائِفَةً لَمْ يُؤْمِنْ بِاَصْبَرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» آية (٨٧). وفي نفس سورة الأعراف: «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخْذَنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَسْرِّعُونَ» آية (٩٤). وفي سورة هود: «وَلَمَّا جَاءَ أَمْرَنَا نَجَّيْنَا شَعِيبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنْنَا وَأَخْذَنَا الَّذِينَ ظَلَّمُوا الصِّحَّةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ»، آية (٩٤).

وهكذا تؤكد كلمات الله عز وجل أن قوم شعيب عليه السلام تعرضوا للصيحة وهي العقاب الإلهي... وأن الذين آمنوا بشعيب عليه السلام نجاهم الله تبارك وتعالى.

ومثل هذه الصورة المضيئة ينبغي أن يدركها ويتفهمها كل مسلم مؤمن... فإن حياتنا الاقتصادية تحتاج إلى السلوكات الصحيحة والأخلاق الكريمة.. لأن اتباع الحق والعدل هو أحسن الطرق والوسائل للإقتصاد السليم... الذي يبني على أساس من المفاهيم والأسس الإسلامية بعيداً عن وساوس الشيطان الذي يعتبر العدو اللدود لبني البشر.

وفيما يتعلق بتهديد الفتنة الضالة من قوم شعيب عليه السلام له ولمن آمن معه، فقد جاء في تفسير بعض أفضل العلماء للآية (٨٨) من سورة الأعراف ما يلي: -

«قَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ آسْتَكَبُرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَيْبَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِبَتِنَا أَوْ لَتَعْوَدُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلُو كَنَّا كَرِهِينَ».

قال الإمام الطبرى^(١) :-

يقول تعالى ذكره: **﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾** يعني بالملأ الجماعة من الرجال ويعني بالذين استكبروا والذين تكبروا عن الإيمان بأس الله والإنتهاء إلى أمره واتباع رسوله شعيب لما حذرهم شعيب بأن الله على خلافهم أمر ربهم وكفرهم به لنخرجنك يا شعيب ومن تبعك وصدقك وآمن بك وبما جئت به معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا^١، يقول: لترجعن أنت وهم في ديننا وما نحن عليه، قال شعيب مجبياً لهم **﴿أَوْ لَوْ كَنَا كَارِهِينَ﴾** ومعنى الكلام أن شعيباً قال لقومه: أنخرجوننا من قريتكم وتصدونا عن سبيل الله ولو كنا كارهين لذلك.

وقال الإمام القرطبي^(٢) :-

معنى: **﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مُلْتَنَا﴾** أي لتصيرن إلى ملتنا. وقيل: كان أتباع شعيب قبل الإيمان به على الكفر، أي لتعودن إلينا كما كنتم من قبل. أي لحقني ذلك منه. فقال لهم شعيب: **﴿أَوْ لَوْ كَنَا كَارِهِينَ﴾** أي ولو كنا كارهين تجبروننا عليه، أي على الخروج من الوطن أو العود في ملتكم. أي إن فعلتم هذا أتيتم عظيماً.

كما ورد في قول الإمام ابن كثير^(٣) :-

وقوله: **﴿أَوْ لَوْ كَنَا كَارِهِينَ﴾** يقول: أو أنتم فاعلوا ذلك ولو كنا كارهين ما تدعونا إليه فإننا إن رجعنا إلى ملتكم ودخلنا معكم فيما أنتم فيه فقد أعظمنا الفرية على الله في جعل الشركاء معه أنداداً وهذا تنفيز منه على اتباعهم.

(١) الإمام الطبرى - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ص ٦٧ م ٤ .

(٢) الإمام القرطبي - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ص ٢٦٨٤ م ٩ .

(٣) الإمام ابن كثير - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ص ٢٣٢ .

وقال الإمام القاسمي^(١):

﴿قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي عن الإيمان ﴿لَنْخُرْجَنَّكَ يَا شَعِيبَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِيْتَنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ أي إلى ترك دعوى الرسالة والإقرار بها، داخلين ﴿فِي مَلْتَنَا﴾ أي ملة المشركين.

﴿قَالَ﴾ أي شعيب ﴿أَوْلُو كَنَا كَارِهِينَ﴾ أي: أُتْجِبرُونَا عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ كَنَا كَارِهِينَ لَهُ؟ مَعَ أَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِي الإِكْرَاهِ، لَأَنَّ دِينَكُمْ إِنْ كَانَ حَقًّا، لَمْ نَكُنْ بِالإِكْرَاهِ مُنْقَادِينَ لَهُ، وَلَمْ كَانْ بِطَاطِلًا، لَمْ نَكُنْ بِالإِكْرَاهِ مُتَصَفِّينَ بِهِ، لَأَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ صَفَّةُ الْقَلْبِ، وَلَا يُسْرِي إِكْرَاهُكُمْ إِلَيْهِ. وَكَيْفَ لَا نَكْرِهُهُ وَهُوَ يَسْتَلِزُمُ غَايَةَ الْقَبْحِ وَالظُّلْمِ.

وقالُ الشِّيخُ مُحَمَّدُ حِجازِي^(٢) مَا يَلِي : -

قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا - وَهُمْ عَيْوَنُ مَدِينَ وَأَشْرَافُهُمْ - قَالُوا: لِلْمُسْتَضْعِفِينَ الْمُؤْمِنِينَ: تَالَّهُ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شَعِيبًا وَآمَنْتُمْ بِهِ إِنْكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ شَرْفَكُمْ حَيْثُ تَرَكْتُمْ دِينَ آبَائِكُمْ إِلَى دِينِ لَمْ تَعْرُفُوهُ وَلَمْ تَأْلُفُوهُ، وَخَاسِرُونَ دُنْيَاكُمْ حَيْثُ تَرَكْتُمْ مَا بِهِ يَنْمُو مَالَكُمْ وَيُزِيدُ مِنَ التَّطْفِيفِ فِي الْكِيلِ، وَأَكْلُ أَمْوَالِ النَّاسِ.

ولقد كان وصفهم بالإستكبار أولاً لمناسبة التهديد بالإخراج من الديار، ووصفهم هنا بالكفر يناسب الصلال والصد عن سبيل الله، أما جزاؤهم فأخذتهم الرجفة وعمتهم الصيحة، وزلزلوا زلزاً شديداً، حتى أصبحوا جثثاً هامدة، جاثمين في مكانهم لا حراك لهم.

ب - التقوى: -

هي من الصفات الحميدة التي يجب على كل مسلم مؤمن أن يتحلى بها... وفي قصة شعيب عليه السلام دروس وعظات ينبغي علينا الإستفادة

(١) الإمام القاسمي - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ٢٠٨ م .

(٢) الشيخ محمد حجازي - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ص ٨٧ م ٩ .

بها... فقد جاء ليهدي قومه إلى التقوى والإبعاد عن المعاصي والمفاسد التي يرتكبها بسلوكياتهم وتصرفاتهم المعوجة... وذكرت سورة الشعراة: «إذ قال لهم شعيب ألا تتقون (١٧٧) إني لكم رسول أمين (١٧٨)». وفي نفس سورة الشعراة: «واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين» آية (١٨٤).

ومن ذلك يجب علينا الإستفادة من هذه الدروس كي نبني اقتصاداً قوياً بعيداً عن المفاسد والمحرمات التي ارتكبها قوم شعيب عليه السلام... الذين أكلوا حقوق الناس وأفسدوا المجتمع. ولهذا فإن بعد عن مثل هذه المحرمات هو خير طريق لبناء الاقتصاد السليم متمسكين بديننا العجيب وفقاً للشريعة السماوية السمحاء... وأن نتقي الله عز وجل فإن تقوى الله لها أجر عظيم، وهي مفتاح الفوز بالجنة والنجاة من النار... .

وقد فسر أفالصل العلماء - الآية (١٨٤) من سورة الشعراة بما يلي : -

«**وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبَلَةَ الْأُولَئِنَّ**».

قال الإمام الطبرى^(١) :-

يقول تعالى ذكره: واتقوا أيها القوم عقاب ربكم الذي خلقكم وخلق الجبلة الأولى يعني بالجبلة الخلق الأولين.

حدثنى يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد في قوله: والجبلة الأولين قال الخلق الأولين... الجبلة الخلق.

وقال الإمام ابن كثير^(٢) :-

يخوفهم شعيب عليه السلام بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الأوائل، كما قال موسى عليه السلام: «ربكم ورب آبائكم الأولين» قال

(١) الإمام الطبرى - سورة الشعراة - الآية (١٨٤) ص ١٦٥.

(٢) الإمام ابن كثير - سورة الشعراة - الآية (١٨٤) ص ٣٤٦.

ابن عباس ومجاحد والسدوي وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم:
﴿والجلة الأولين﴾، يقول: خلق الأولين يخبر تعالى عن جواب قومه له
بمثل ما أجاب به ثمود لرسولها تشابهت قلوبهم.

كما ورد في قول الشيخ مصطفى المراغي^(١) :

أي وخافوا أمر الله الذي خلقكم من العدم للإصلاح في الأرض،
وخلق من قبلكم ممن كانوا أشد منكم قوة وأكثر مالاً. كقوم هود الذين
قالوا: من أشد منا قوة، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.. وقد تم الخوض هذا
النصح عن شيئين: القدر في رسالته أولاً، واستصغر الوعيد ثانياً.

جـ- التوبة: -

هي من الأبواب التي فتحها الله عز وجل على عباده ودعا إليها معظم
الأنبياء والرسل... ففي سورة النور: ﴿وتوبوا إلى الله جمِيعاً أيها المؤمنون
لعلكم تفلحون﴾ الآية (٣١).

وفي سورة هود:

﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود﴾ آية (٩٠).
وقد دعا شعيب عليه السلام قومه إلى أن يتوبوا ويقلعوا عن ارتكاب
المعاصي والمحرمات التي استمروا في استخدامها مثل بخس الناس
أشياءهم.. وعدم إيفاء الكيل والميزان.. وقال تعالى في سورة طه: ﴿وإني
لفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ الآية (٨٢)... ولو أن قوم
شعيب عليه السلام آمنوا برسالته.. وتابوا عن المعاصي.. لفازوا بمغفرة
الحق سبحانه وتعالى... .

وهكذا.. أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أهمية التوبة
للإنسان... وكيف نبني اقتصاداً إسلامياً قوياً... علينا أن نترك المحرمات

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعرا - الآية (١٨٤) ص ٩٨ ج ١٢

وألا نرتكب المعاصي والآثام مثل تلك التي سبقنا إليها قوم شعيب عليه السلام أو غيرها... وأن نتعظ مما حذر لهم من عذاب لأنهم لم يتوبوا ولم يقلعوا عن هذه المحرمات...

وقد فسر ذلك أفضل العلماء - الآية (٩٠) من سورة هود بما يلي : -

﴿وَاسْتَغْفِرُ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

يقول الإمام الطبرى (١) : -

﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ يقول: ثم ارجعوا إلى طاعته والإنتهاء إلى أمره ونهيه: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ يقول: هو رحيم عن تاب وأناب إليه أن يعذبه بعد التوبة ﴿وَدُودٌ﴾ يقول: ذو محبة لمن أتاب وتاب إليه يوده ويحبه.

وقال الإمام الرazi (٢) : -

﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ بين لهم أن سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغي أن يمنعهم من الإيمان والطاعة لأنه تعالى رحيم ودود يقبل الإيمان والطاعة والتوبة من الكافر والفاشق لأن رحمته لعباده وحبه لهم يوجب ذلك وهذا التقرير في غاية الكمال.

اعلم أنه عليه السلام لما بالغ في التقرير والبيان أجابوه بكلمات فاسدة.

كما قال الإمام ابن كثir (٣) في البداية والنهاية : -

وتوبوا إلى ربكم الرحيم الودود فإنه من تاب إليه تاب عليه فإنه رحيم بعباده أرحم بهم من والدتها بولدتها، ودود وهو الحبيب ولو بعد التوبة على عبده ولو من الموبقات العظام.

(١) الإمام الطبرى - سورة هود - الآية (٩٠) ص ٦٣ م ٩.

(٢) الإمام الرazi - سورة هود - الآية (٩٠) ص ٤٥ م ٦ ج ١٨.

(٣) الإمام ابن كثir في البداية والنهاية - سورة هود - الآية (٩٠) ص ١٩١ ج ١.

د - الحسنة والسيئة والقوة والضعف : -

ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: «ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةِ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَ آبَاءُنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخْذَنَاهُمْ بِفَتْنَةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» آية (٩٥).

من ذلك علمنا الله أن شعيباً عليه السلام كان يهدى ويعظ الناس لترك ما حرم الله من سيئات وبدلها لهم حسنات بعد أن يبتعدوا عن معصية الله في تجاراتهم من عدم الوفاء والبغض بالميزان وغير ذلك . . .

ومن هذا نتعلم لبناء اقتصاد إسلامي يبني على قواعد متينة، يتبعني أن نترك كل المعاصي والمفاسد السيئة التي نهانا وحدننا منها الله وأن نبدلها بتصرف إسلامي سليم يبني على كتاب الله وسنة نبيه، وبهذا نصل إلى الهدف الذي ذكره الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أنه بدل مكان السيئة بالحسنة في تصرف وأعمال قومه.

٤ - العدل في المعاملات الاقتصادية : -

يعتبر العدل من المناهج الرئيسية والأساسية في العقيدة الإسلامية، وقد ذكر العدل في كثير من القصص القرآنية، ونلاحظ من خلال التاريخ الاقتصادي للأمم العقوبات التي لحقت بها لأنها لم تتمسك بالعدل ولم تطبقه في حياتها الاقتصادية.. قصة شعيب عليه السلام والتي نحن بصددها.. أوضحت لنا أن قومه لم يعدلوا في ميزانهم أو كيلهم.. بل بخسوا الناس أشياءهم وفسدوا في الأرض بالغش والحيل التجارية السيئة.. ورغم تحذيرات شعيب عليه السلام لهم فإنهم أصرروا على عنادهم وتكتيبيهم لما جاء به.. وكان العقاب الإلهي الصارم حيث أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين...

وقد أرسل الله تعالى شعيباً إلى قومه لإقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه في التجارة، وبالبيع والشراء وعدم إفساد المجتمع بل إصلاحه... كما ذكر الله تعالى في سورة هود: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ آية (٨٨).

ولهذا فإننا نتعلم من قصة شعيب عليه السلام درساً اقتصادياً لحياتنا الاقتصادية العملية في أسواقنا وفي تجارتنا وأعمالنا بأن الاقتصاد الإسلامي المتيقن ينبغي أن يبني على العدل أولاً سواء من الجهة التشريعية أو من جهة المسلم المؤمن بكتاب الله، ومن التاجر والمسئول الذي يزاول عملاً عاماً أو

خاصاً أو في البنوك الإسلامية، وفي الصناعة أو أي دائرة حكومية...
وذلك كما ذكر الله تعالى في سورة الشعرا... .

﴿أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ
﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَ هُنَّا وَلَا تَعْثُوْفُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ .

الآيات من (١٨١) حتى (١٨٣)

وجاء في كتاب ابن ماجه^(*) حول بعض الأحاديث النبوية الشريفة عن
«الرجحان في الوزن»... ما يلي:-

٢٢٣٩ - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وعلي بن محمد، ومحمد بن إسماعيل، قالوا: حدثنا وكيع، قال: حدثنا سفيان عن سماك بن حرب، عن سويد بن قيس؛ قال: جلبت أنا ومحرقه العبدى بزا من هجر. فجاءنا رسول الله ﷺ. فساومنا سراويل. وعندها وزان يزن بالأجر. فقال له النبي ﷺ: «يا وزان! زن وارجح».

٢٢٤٠ - حدثنا محمد بن بشار، ومحمد بن الوليد، قالا: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب. قال: سمعت مالكاً أبا صفوان بن عميرة؛ قال: بعث من رسول الله ﷺ رجل سراويل قبل الهجرة. فوزن لي، فارجح لي.

٢٢٤١ - حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا عبد الصمد، قال: حدثنا شعبة عن محارب بن دثار، عن جابر بن عبد الله؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وزنتم فارجحوا».

أ - التصرف:

ذكر الله تعالى في سورة هود:

﴿قَالُوا يَسْعَىْ بِمَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ا وَإِنَّا لَنَرَيْ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا

(*) سنن ابن ماجه - الجزء الثاني - ص ١٩.

**رَهْطَكَ لِرَجَمَنَكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَكُوْمُ أَرَهْطَى أَعْزَ عَلَيْكُمْ
مِّنَ اللَّهِ وَأَخْذَ شَمُوْهُ وَرَاءَ كُمْ ظَهَرِيًّا إِنَّ رَبِّيِّ إِيمَانَ عَمَلُونَ تُحِيطُ
الآياتان (٩١)، (٩٢).**

ومن ذلك بين الله لنا أحد التعريفات الإسلامية وهو التصرف الذي يمس حياته وإيمانه بالله عن قرب حيث أرشدنا الله تعالى أن قوم شعيب عليه السلام كانوا يرغبون في رجمه ولكنهم تركوا شعيباً عليه السلام من أجل رسالته ولكن من أجل رهطه (جماعته وعشيرته) وماليه... وإزاء هذا التصرف كان رد شعيب عليه السلام على هؤلاء القوم بأن الله عز وجل خبير عليهم بكل تصرفاتهم ...

وفي ذلك نأتي إلى تفسير الآية (٩١) من سورة هود:
**﴿قَالُوا يَسْعَىْ بِمَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَيْكَ فِينَا ضَعِيفًا
وَلَوْلَا رَهْطَكَ لِرَجَمَنَكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾.**

جاء في تفسير الإمام الطبرى (١) :-

يقول تعالى ذكره: قال قوم شعيب لشعيب: يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول، أي ما نعلم حقيقة كثيرة مما تقول ومخيرنا به وإنما لنراك فيما ضعيفاً ذكر أنه كان ضريراً فلذلك قالوا له: إنما لنراك فيما ضعيفاً.

وقوله: وما أنت علينا بعزيز، يعنون ما أنت من يكرم علينا فيعظم علينا إذلاله وهو علينا هين.

وقال الإمام الزمخشري (٢) :-

﴿مَا نَفَقَهُ﴾ ما نفهم، **﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ لأنهم كانوا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهة له كقوله - وجعلنا على قلوبهم أكتة أن يفهوه - أو**

(١) الإمام الطبرى - سورة هود - الآية (٩١) ص ٦٤ - ٩ م.

(٢) الإمام الزمخشري - سورة هود - الآية (٩١) ص ٢٨٩.

كانوا يفهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفهوه أو قالوا ذلك على وجه الإستهانة به .

«**فينا ضعيفاً**» لا قوة لك ولا عز فيما بيننا ، فلا تقدر على الإمتناع منا إن أردنا بك مكرورها .

«**لرجمناك**» لقتلناك شر قتلة ، «**وما أنت علينا بعزيز**» أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم ، وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا كأنه : قيل : وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزاء علينا .

وقال الإمام الشوكاني^(١) :-

إنك يا شعيب تأتينا بما لا عهد لنا به من الأخبار بالأمور الغيبة كالبعث والنشور ، ولا نفقه ذلك : أي تفهمه كما نفهم الأمور الحاضرة المشاهدة فيكون نفي الفقه على هذا حقيقة لا مجازاً ، وقيل : قالوا ذلك اعراضاً على سمعه واحتقار الكلام مع كونه مفهوماً لديهم معلوماً عندهم فلا يكون نفي الفقه حقيقة بل مجازاً . «**ولولا رهطك لرجمناك**» أي لا قوة لك تقدر بها على أن تمنع نفسك منا وتتمكن بها من مخالفتنا ، وقيل : المراد أنه ضعيف في بدنـه ، قاله علي بن عيسى ، وقيل : إنه كان مصاباً ببصره . «**ولولا رهطك لرجمناك**» ورهط الرجل عشيرته الذين يستند إليهم ويتقىـ بهـ ، ومنه الرامـط لـحـرـ الـيـرـبـوـعـ لأنـهـ يـتوـقـ بـهـ وـيـخـيـءـ فـيـهـ ولـدـهـ . والرهـطـ يـقـعـ عـلـىـ الثـلـاثـةـ إـلـىـ الـعـشـرـةـ ، وإنـماـ جـعـلـواـ رـهـطـهـ مـانـعاـ مـنـ إـنـزاـلـ الـضـرـرـ بـهـ مـعـ كـوـنـهـ فـيـ قـلـةـ وـالـكـفـارـ أـلـوـفـ مـؤـلـفـةـ لأنـهـ كـانـواـ عـلـىـ دـيـنـهـ فـتـرـكـوهـ اـحـتـرـاماـ لـهـمـ لـأـخـوـفـاـ مـنـهـ ، ثـمـ أـكـدـواـ مـاـ وـصـفـوهـ بـهـ مـنـ الضـعـفـ بـقـولـهـمـ : «**ومـاـ أـنـتـ عـلـىـ بـعـيـزـ**» حتى تـكـفـ عـنـكـ لأنـكـ لـأـجـلـ عـزـتـكـ عـنـدـنـاـ ، بل تـرـكـناـ رـجـمـكـ لـعـزـةـ رـهـطـكـ عـلـىـنـاـ ، وـمـعـنـىـ لـرـجـمـنـاـكـ لـقـتـلـنـاـ بـالـرـجـمـ ، وـكـانـواـ إـذـاـ قـتـلـواـ إـنـسـانـاـ رـجـمـوـهـ بـالـحـجـارـةـ ، وـقـيلـ : مـعـنـىـ لـرـجـمـنـاـكـ لـشـتـمـنـاـكـ . وـيـطـلـعـ الـرـجـمـ عـلـىـ اللـعـنـ . وـمـنـهـ الشـيـطـانـ الرـجـيمـ وجـيلـهـ .

(١) الإمام الشوكاني - سورة هود - الآية (٩١) ص ٥١٩ .

وقال الشيخ محمد رشيد رضا^(١) :-

﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول﴾، إن الفقه في اللغة أخص من الفهم والعلم، وهو الفهم الدقيق العميق المؤثر في النفس الباعث على العمل، أي ما نفقه كثيراً مما ترمي مما وراء ظواهر أقوالك من مواطنها وتؤولها كبطلان عبادة آلهتنا وقع حرية التصرف في أموالنا وعذاب محظوظ بيدنا، وإصابتنا بمثل الأحداث الجوية التي نزلت بمن قبلنا كان أمرها بيديك وتصرفك أو تصرف ربك يصيب بها من تشاء أو يشاء لأجلك: ﴿إنا لنراك فيما ضعيفاً﴾ لا حول لك ولا قوة تمنع بها من إن أردنا أن نبطش بك وأنت على صعفك تنذرنا العذاب المحظوظ الذي لا يفلت منه أحد، ﴿ولولا رهطك﴾ أي عشيرتك الأقربون - والرهط الجماعة من الثلاثة إلى السبعة أو العشرة ﴿لرجمناك﴾ لقتلناك شر قتلة وهي الرمي بالحجارة حتى تدفن فيها، ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ أي بذى عزة ومنعة علينا تحول بيننا وبين رجمك، وإنما نزع رهطك ونكرهم على قتلهم لأنهم منا وعلى ديننا الذي نبذته وراء ظهرك، وأهنته، ودعوتنا إلى تركه لبطلانه وفساده في زعمك.

وجاء في تفسير الشيخ المراغي^(٢) :-

﴿قالوا: يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول﴾ أي ما نعلم حقيقة كثير مما تقول وتخبرنا به، من بطلان عبادة آلهتنا وقع حرية التصرف في أموالنا ومجيء عذابه يحيط بنا، وإصابتنا بمثل الأحداث التي أصابت من قبلنا لأن أمرها بيديك يصيب بها ربك من يشاء لأجلك. ﴿ولولا نراك فيما ضعيفاً﴾ لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع ولا تستطيع أن تمنع من إن أردنا أن نبطش بك. ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ أي ولولا عشيرتك الأقربون لقتلناك بالحجارة حتى تدفن فيها. ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ أي وما أنت بذى عزة ومنعة تحول بيننا وبين رجمك، وإنما نزع رهطك على قتلهم:

(١) الشيخ محمد رشيد رضا - سورة هود - الآية (٩١) ص ١٤٧ م ١٢ .

(٢) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٩١) ص ١٤٨ م ١٢ .

وكذلك ثأني إلى تفسير الآية (٩٢) من سورة هود حيث

قال الإمام ابن كثير^(١) :-

قال أبو روق يعنون ذليلاً لأن عشيرتك ليسوا على دينك: «ولولا
رهطك لرجمناك» أي قومك لولا معزتهم علينا لرجمناك، قيل: بالحجارة،
وقيل لسبيناك، «وما أنت علينا بعزيز» أي ليس عندنا لك معزة، «قال
يا قوم أرهطي أعز عليك من الله»، يقول: أتركوني لأجل قومي ولا تتركوني
إعظاماً لجناب الرب تبارك وتعالى أن نتالوا نبيه بمساءة وقد اتخذتم كتاب الله
«وراءكم ظهرياً» أي نبذتموه خلفكم لا تطيعونه ولا تعظمونه «إن ربى بما
تعملون محيط» أي: هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم.

وكذلك ما قاله شعيب عليه السلام وتصرفه مع قومه في الآية الكريمة
(٨٤) من سورة هود . . .

«قَالَ يَنْقُوِرُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، وَلَا تَنْقُصُوا
الْمَكَائِلَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرِيدُكُمْ مُحْيِرِينَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ مُحِيطٍ» .

وقد جاء في تفسير الإمام الطبرى^(٢) :-

إنه قال لقومه وذلك قوله: إنني أراكم بخير، يعني بخير الدنيا، وقد
يدخل في خير الدنيا المال وزينة الحياة الدنيا، وإنما قال ذلك شعيب لأن
قومه كانوا في سعة من عيشهم ورخص من أسعارهم كثيرة أموالهم، فقال
لهם: لا تنقصوا الناس حقوقهم في مكاييلكم وموازينكم فقد وسع الله عليكم
رزقكم وإنني أخاف عليكم بمخالفتكم أمر الله وبخسكم الناس أموالهم في
مكاييلكم وموازينكم عذاب يوم محيط، يقول: أن ينزل بكم عذاب يوم
محيط بكم عذابه.

(١) الإمام ابن كثير - سورة هود - الآية (٩٢) ص ٤٥٧ .

(٢) الإمام الطبرى - سورة هود - الآية (٨٤) ص ٦٠ م ٩ .

ومن تلك القصة بين الله لنا أن تصرف الإنسان في حياته وأعماله وتجارته وفي أسرته ومجتمعه يحاسب عليها أمام الله، وأنه مرتبط برباطوثيق وهو شريعة الله وسنة نبيه... وعلى ضوء ذلك ينبغي أن يطابق تصرفاته أحكام الله تبارك وتعالى في حياتنا الاقتصادية وأعمالنا التي نزاولها وأن نبتعد في تصرفاتنا عما حرم الله في تجارتنا وأعمالنا من الغش في التجارة..

جـ- الأرث في الأرض:

ذكر الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿أَوَلَمْ يَهِدِ لِلّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنَّ لَوْنَشَاءَ أَصْبَنَتْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطَّبَ عَلَيْهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ . الآية (١٠٠).

علمنا الله تعالى أحد القواعد الإسلامية في الاقتصاد في أعمالنا وتصرفاتنا في الحياة الدنيا أن الإنسان ليس مخلداً في الأرض وأنه مسئول أمام الله لا يفده قربه من أبيه وقومه ولا أمواله وتجارته وأعماله، فإن الله يجزي كل شخص بعمله.

لهذا فقد علمنا شعيب عليه السلام عندما نصح قومه بالبعد عن معصيته أوامر الله في عدم الرفاء والبغس في الكيل والميزان وأكل الناس بالباطل وقطع الطريق، والإنسان لا يتبع ما يورث إليه من عادات وتقالييد ومعصية أمر الله بل إن الإنسان يتبع في حياته الاقتصادية ومعاملاته المالية والتجارية الحق والعدل وإقامة شريعة الله.

جـ- الزهد والقناعة:

لا شك أن الزهد والقناعة من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم... والزهد في الدنيا مطلوب من كل مسلم مؤمن، واعتبار أنها دار ممر وليس دار مقر.. أما القناعة والرضا بما قسمه الله فهو يريح النفس.. . ويعينها عن كل سوء...

وقد أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام موقف قومه من رسالته وعدم رضاهم وحبهم وتشبّهم بمحابي الدنيا وزيفها المصطنع بما حققوه من ربح حرام بعد تطفيفهم للميزان والكيل وإفسادهم في الأرض... وفي سورة الأعراف: ﴿فَوَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرِهِ قَدْ جَاءَتُكُمْ بَيْنَ أَيْمَانِ رِبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخِسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كَتَمْتُمْ مُؤْمِنِين﴾ الآية (٨٥).

وفي سورة هود الآية (٩١) :-

﴿قَالُوا يَا شَعِيبَ مَا نَفْقَهُكَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾.

جاء في تفسير الإمام الطبرى^(١) :-

يقول تعالى ذكره: قال قوم شعيب لشعيب: يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول، أي ما نعلم حقيقة كثيرة مما تقول ومخينا به وإننا لنراك فيما ضعيفاً، ذكر أنه كان ضريراً فلذلك قالوا له: إنا لنراك فيما ضعيفاً.

وقوله: وما أنت علينا بعزيز، يعني ما أنت من يكرم علينا فيعظم علينا إذلاله وهو علينا هين.

وقال الإمام الزمخشري^(٢) :-

﴿مَا نَفْقَهُكَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ لأنهم كانوا يلقون إليه أذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله - وجعلنا على قلوبهم أكتة أن يفقهوه - أو كانوا يفهونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفهوه أو قالوا ذلك على وجه الإستهانة به.

﴿فِينَا ضَعِيفًا﴾ لا قوة لك ولا عز فيما بيننا، فلا تقدر على الإمتناع منا إن أردنا بك مكرورها.

(١) الإمام الطبرى - سورة هود - الآية (٩١) ص ٦٤ - ٩ م.

(٢) الإمام الزمخشري - سورة هود - الآية (٩١) ص ٢٨٩.

﴿لِرَجْمَنَك﴾ لقتلناك شر قتلة، **﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾** أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم، وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا كأنه قيل: **وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ بَلْ رَهْطُك هُمُ الْأَعْزَةُ عَلَيْنَا.**

وجاء في تفسير الشيخ المراغي^(١):

﴿قَالُوا يَا شَعِيبَ مَا نَفْعَلُ كَثِيرًا مَا تَقُولُ﴾ أي ما نعلم حقيقة كثير مما تقول وتخبرنا به، من بطidan عبادة آلهتنا وقبح حرية التصرف في أموالنا ومجيء عذابه يحيط بنا، وإصابتنا بمثل الأحداث التي أصابت من قبلنا كأن أمرها بيديك يصيب بها ربك من يشاء لأجلك. **﴿وَإِنَا لِنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾** لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع، ولا تستطيع أن تمنع منا إن أردنا أن نطش بك. **﴿وَلَوْلَا رَهْطُك لِرَجْمَنَك﴾** أي: ولولا عشيرتك الأقربون لقتلناك بالحجارة حتى تدفن فيها. **﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾** أي وما أنت بذى عزة ومنعة تحول بيننا وبين رجمك، وإنما نعز رهطك على قلتكم: لأنهم منا وعلى ديننا الذي نبذته وراء ظهرك وأهنته، ودعوتنا إلى تركه لبطلانه في زعمك، فوبخهم شعيب على سفاهتهم كم حكى سبحانه عنه.

وكذلك في سورة هود الآية (٩٢).

﴿قَالَ يَكُوْمُ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَأَنْخَذْتُمُوهُ وَرَأَءَكُمْ ظَهَرِيًّا إِنَّكُمْ رَّبِّيْمَانَ عَمَلُوْنَ مُحِيطُ﴾.

وجاء في تفسير الشيخ محمد رشيد رضا^(٢):

قال: يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله؟ هذا استفهام إنكارى، أي: أرهطي أعز وأكرم عليكم من الله الذى أدعوكم إليه بأمره: **﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾**

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٩١) ص ١٤٨ م ١٢ .

(٢) الشيخ محمد رشيد رضا - سورة هود - الآية (٩٢) ص ١٤٧ م ١٢ .

وراءكم ظهرياً أي أشركتم به وجعلتموه كالشيء اللقا الذي ينذر وراء الظهر لهوانه على نابذه وعدم حاجته إليه فينسى حتى لا يحسب له حساب. وكان القوم يؤمنون بالله ويشركون به، ولا عجب من حالهم هذه فإنه شأن أكثر الناس اليوم، لا يراقبون الله في أقوالهم ولا في أعمالهم فيرجوه إذا أحسنا ويخافوه إذا أساءوا أو فيمتنعوا عن الإساءة ويتسابقون إلى الإحسان ابتغاء مرضاته: ﴿إِنَّ رَبِّيَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً فهو يحصيه عليكم ويجزيكم به وأما رهطي فلا يستطيعون لكم ضرًا ولا نفعاً.

وفي الحديث النبوي الذي رواه ابن ماجه عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.. قال: « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس : فقال: «اذهب في الدنيا يحبك الله، وأزهد فيما عند الناس يحبك الناس» .

د - الصبر:

بين الله لنا أحد الدروس والمفاهيم الإسلامية التي يحتاجها ويترسّد بها كل مسلم مؤمن بكتاب الله وسنة نبيه ويعمل في الحياة الدنيا لطلب الرزق في معاشه ألا وهو الصبر.. فقد بين الله لنا أن شعيب عليه السلام كان صبوراً في تبليغ رسالة ربه إلى قومه، كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ كَانَ طَائِفَةً مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أَرْسَلْتَ بِهِ وَطَائِفَةً لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرْ وَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ آية (٨٧).

وبهذا علمنا الله من قصة شعيب أحد المفاهيم والتعرifات الإسلامية لبناء اقتصادنا، وفي أعمالنا وتجارتنا بأن نتبع كتاب الله والإيمان به والصلة والزكاة وأن نبتعد عن كل المعاصي والمنهيات التي حرمتها الله علينا من الربا والغش والخداع والبخس في الكيل والميزان، وأن نصبر على ما قسمه الله لنا لأن صبر المسلم المؤمن هو سلاحه للفوز بالجنة.

وقد جاءت دعوة شعيب عليه السلام لقومه بالصبر في سورة الأعراف - الآية (٨٧) .. وقد فسر ذلك بعض أفضل العلماء بما يلي : -

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ أَمْنَوْا بِالَّذِي أَرْسَلْتُ إِلَيْهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بِمَا بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ﴾.

قال الإمام الرazi^(١):

المقصود منه تسلية قلوب المؤمنين وذكر من لم يؤمن، لأن قوله: **﴿فَاصْبِرُوا﴾** تهديد، وكذلك قوله: **﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بِمَا بَيْنَنَا﴾**، والمراد إعلاء درجات المؤمنين، وإظهار هوان الكافرين، وهذه الحالة قد تظهر في الدنيا فإن لم تظهر في الدنيا فلا بد من ظهورها في الآخرة.

ثم قال: **﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾** يعني أنه حاكم مenze عن الجور والميل والحييف فلا بد وأن يخص المؤمن التقى بالدرجات العالية، والكافر الشقي بأنواع العقوبات ونظيره قوله: **﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾**.

وقال الإمام ابن كثير^(٢):

أي قد اختلفتم على **﴿فَاصْبِرُوا﴾** أي انتظروا، **﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بِمَا بَيْنَنَا﴾** وبينكم أي يفصل، **﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾** فإنه سيجعل العاقبة للمتقين، والدماء على الكافرين.

هذا خبر من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبيه شعيباً ومن معه من المؤمنين في توعدهم إياه ومن معه بالتفوي عن القرية أو الإكراه على الرجوع في ملتهم والدخول معهم فيما هم فيه، وهذا خطاب من الرسول، والمراد أتباعه الذين كانوا معه على الملة.

(١) الإمام الرazi - سورة الأعراف - الآية (٨٧) - ص ١٧٢ م ١٢ .

(٢) الإمام ابن كثير - سورة الأعراف - الآية (٨٧) - ص ٢٣١ .

وقال الشيخ المراغي^(١):

إن كان جماعة منكم صدقوا بالذى أرسلت به من إخلاص العبادة لله وترك معاصيه من ظلم الناس وبخسهم في المكاييل والموازين، واتبعوني في كل ذلك، وجماعة أخرى لم يصدقونى وأصرروا على شركهم وإفسادهم، فاصبروا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم، وهو خير من يفصل وأعدل من يقضي، لتنزهه عن الباطل والجور، وليعتبر كفاركم بعاقبة من قبلهم وسيحل بهم ما حل بأولئك بحسب السنن التي قدرها العليم الحكيم، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

هذه الآيات من تتمة قصص شعيب ذكر فيها جواب الملا من قومه عما أمرهم به من عبادة الله وحده، وإيفاء الكيل والميزان، وعدم الفساد في الأرض وعما ختم به حديثه من التهديد والإندار بقوله: فاصبروا حتى يحكم الله بيننا.

وتولى الرد عليه أشراف قومه كما هو الشأن في بحث كبريات المسائل ومهام الأمور.

كما قال الشيخ محمود حجازي^(٢):

إن كان هذا فاصبروا أيها المؤمنون حتى يحكم الله ويقضي بيننا، وهو الحكم العدل، وقد حكم بنصرة عباده المؤمنين وهلاك الظالمين المفسدين، وهو خير الحاكمين.

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الأعراف - الآية (٨٧) - ص ٢٠٧ ج ٩.

(٢) الشيخ محمود حجازي - سورة الأعراف - الآية (٨٧) - ص ٧٧ م ٩.

ثالثاً - المحرمات الإسلامية في الاقتصاد للماوازين والمكاييل

علمنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أنه أرسل إلى قومه محذراً ومنذراً ليقيموا الحق والعدل والوفاء في الكيل والميزان، وعدم الإفساد في الأرض بل إصلاحها بالعمل الطيب وإقامة تشريع الله بما أمرهم به وما نهاهم عنه من البخس، النقص، الغش، الغبن، الخسارة.. كل هذه المنهيات والمحظورات الإسلامية التي ذكرها شعيب عليه السلام لقومه تتعلق بالكيل والميزان وعندما نحللها نأتي إلى ما يلي :-

١ - في مجال التعامل التجاري والاقتصادي :-

البخس، النقص، الغش، الغبن، المحسرين، الكذب، المكر والخداع.

٢ - المنهيات في المعاملات التجارية :-

الاعوجاج، الإثم، المعاشي، السينات، الكفر، الاستكبار، الظلم، الفسق.

١ - في مجال التعامل التجاري والاقتصادي :-

أ - النقص :-

علمنا الله تعالى من خلال قصة شعيب عليه السلام، أحد المنهيات الإسلامية التي نهانا الله عنها في المماوازين والمكاييل... حيث أن النقص

هو مدلول تشريعي اقتصادي يختص بتقليل ونقص حقوق الناس سواء في التلاعب أو عدم الوفاء بالوزن والمكيال.

ولهذا فإن الإنسان عندما يرى أن حقوقه قد أهدرت ونقصت أمامه ظلمه في التجارة فإنه يشعر بفقدان أمواله الخاصة وتهديد حياته الاقتصادية.. وقد بين الله تعالى لنا أن مجتمع قوم شعيب عليه السلام كان فاسداً لأنه ينقص حقوق الناس في الكيل والميزان ويرتكب المعاصي... وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بأن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر في بناء مجتمع إسلامي يسوده الحق والعدل وترك المعاصي والفساد في الأرض، وبأن لا يظلم الناس في حقوقهم... وأن نعطي كل ذي حق حقه ولا نقص حقوق الناس في أموالهم، وفي بياعنا بأسواقنا، وكما ذكر الله تعالى في سورة الشعراء: «فاتقوا الله وأطيعون» آية (١٧٩)، وفي سورة هود: «ولا تنقصوا المكيال والميزان إنني أراكم بخیر وإنی أخاف علیکم عذاب يوم محیط» آية (٨٤).

وقد ورد في معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور(*) عن النقص فقال:

النقص: الخسران في الحظ، والنقصان يكون مصدراً ويكون قدر الشيء الذاهب من المنقوص. نقص الشيء ينقص نقصاً ونقصاناً ونقصه ونقصه هو، يتعدى ولا يتعدى. وانتقص الشيء: نقص، واستنتقص المشتري الثمن أي استحط وتقول نقصانه كذا وكذا هذا قدر الذاهب.

ب - الغش:

إن قصة شعيب عليه السلام هي من القصص القرآنية التي علمتنا الله منها دوراً وعظات جمة لبيان اقتصادنا على منهج إسلامي مستمد من كتاب الله حيث بين شعيب عليه السلام أنه كان يعظ قومه بالبعد عن الأفعال

(*) معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور - (المجلد الثالث - ص ٧٠٤).

والمفاسد التي يرتكبونها، كانتزاع الأموال بطريق العيل والغش التجاري بعدم الوفاء بالميزان، وكذلك المخادعة بنقص وبخس في الميزان والبضاعة التي يبيعونها بأن تكون غير سليمة، ولهذا فإن الله تعالى حذرنا ونهانا عن أمور هامة اقتصادية في عالمنا الإسلامي في بيعنا ومزاولتنا أعمال التجارة والصناعة، وبكل أنواع العمليات التي تدخل فيها البيع والشراء ومنها العش التجاري - الغش في البضاعة والسلطة المراد بيعها - الغش والتحايل في عدم الوفاء بالميزان والكيل - أكل حقوق الناس عن طريق الغش والتحايل - الألاغيب التجارية في الخفاء والت disillusion - عدم الوفاء بالكيل والميزان بالنقص والبخس.

كل هذه المنهيات حذرنا الله عنها ونهانا من التعامل بها في اقتصادنا الإسلامي وداخل أسواقنا وتجارتنا وصناعتنا، بل نبني اقتصادنا على أساس إسلامية مستمدة من كتاب الله وسنة نبيه، وكما ذكر الله تعالى في سورة هود: ﴿يَا قوم أوفوا اليمكىال والميزان بالقسط ولا تخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ آية (٨٥).

وقد ورد في معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور^(١) عن الغش فقال:

الغش نقىض النصح وهو مأخوذ من الغش المشرب الكدر - قال: ومن هذا الغش في البياعات. وفي الحديث: أن النبي ﷺ قال: ليس منا من غشنا، قال أبو عبيدة: معناه: ليس من أخلاقنا الغش وهذا شبيه بالحديث الآخر: المؤمن يطبع على كل شيء إلا الخيانة. وفي رواية من غشنا فليس من أي ليس من أخلاقنا ولا على ستتنا. وفي حديث أم زرع: ولا تملأ بيتنا تغشيشاً، قال ابن الأثير: هكذا جاء في رواية وهو من الغش، وقيل: هو من النمية.

وفيما يختص بالنهي عن الغش فقد جاء في كتاب سنن ابن ماجه^(٢) الحديثين الشريفين التاليين: -

(١) معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور - (المجلد الثاني - ص ٩٩٠).

(٢) سنن ابن ماجة - الجزء الثاني - ص ٢٠.

٢٤٣ - حَدَثَنَا هِشَامُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: حَدَثَنَا سَفِيَّانُ عَنِ الْغَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ، قَالَ: مِنْ النَّبِيِّ بِرِجْلٍ يَبْيَعُ طَعَاماً. فَادْخُلْ بِدْهُ فِيهِ، فَإِذَا هُوَ مَغْشُوشٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَيْسَ مَنَا مِنْ غَشٍّ».

٢٤٤ - حَدَثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَثَنَا أَبُو نُعَيْمٌ، قَالَ: حَدَثَنَا يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ دَاؤِدَ، عَنْ أَبِي الْحَمْرَاءِ؛ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ بِرِجْلٍ مِّنْ بَجْنَابَاتِ رَجُلٍ عِنْدَهُ طَعَامٌ فِي وَعَاءٍ. فَادْخُلْ بِدْهُ فِيهِ. فَقَالَ: «لَعْلَكَ غَشَّيْتَهُ. مِنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مَنَا».

جـ - الغبن : -

إن الغبن أحد التعريفات الاقتصادية التي نهانا الله عنها في كتابه العزيز.. وكان قوم شعيب عليه السلام يغبنون حقوق الناس في أموالهم وبضاعتهم بعدم الوفاء في الكيل والميزان... ولهذا فإن الغبن من الأمور التي حرمتها الله في تجارتنا ونشاطاتنا الاقتصادية، وأن نبتعد عنها، وأن لا نستعملها بأن نغبن حقوق الناس في أموالهم وبضاعتهم نظير ربح ومكسب يحرمه الله علينا، وكما قال الله تعالى لقوم شعيب في سورة هود: ﴿وَيَا قَوْمَ أَوْفُوا الْمَكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقَسْطِ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾، آية (٨٥)، وكذلك في سورة الأعراف: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ آية (٨٥)، وكذلك في سورة اشعياء: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ آية (١٨١) وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴿١٨٢﴾.

وقد ورد في معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور^(١) عن الغبن:

الغبن، بالتسكين، في البيع، والغبن، بالتحريك، في الرأي، والغبن في البيع والشراء: الوكس، غبته يغبنه غبناً هذا الأكثر أي خدعه، وقد غبن

(١) معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور - (المجلد الثاني - ص ٩٥٦، ٩٥٧).

فهو مغبون. وغابت في البيع غبناً إذا غفلت عنه، بيعاً كان أو شراء - والتابون: أن يغبن القوم بعضهم بعضاً. ويوم التغابن: يوم البعث، من ذلك، وقيل: سمي بذلك لأن أهل الجنة يغبن أهل النار بما يصير إليه أهل الجنة من النعيم ويلقي فيه أهل النار من العذاب، وضرب الله ذلك مثلاً للشراء والبيع كما قال تعالى :

﴿هَلْ أَدْلَكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تَنْجِيْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

د - المخسرين -

علمنا شعيب عليه السلام أن قومه كانوا يبخسون وينقصون في الكيل والميزان ويفسدون في الأرض بالظلم، ونظام مجتمعهم وأكل أموال الناس بالباطل وارتكاب الإثم، ويصلدون عن سبيل الله ويتخذون الفساد وسيلة للكسب الحرام... كل هذه المفاسد جعلت قوم شعيب من المخسرين في الأرض فخسروا حياتهم الدنيوية والأخروية نظير الكسب المادي الحرام عن طريق إفساد مجتمعهم... ولهذا فإننا نتعلم من قصة شعيب عليه السلام مع قومه بأن المجتمع الإسلامي ينبغي أن يبني على أسس وقواعد إسلامية مستمدة من شريعة الله وسنة نبيه، ومن خلال قصص القرآن الكريم هي بمثابة النور الذي ينير لنا حياتنا الدنيوية والأخروية وأن لا تخسرها كقوم شعيب عليه السلام.

وورد في معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور^(١) عن المخسرين:

الخسأ والخسارة والخيسي: الضلال والهلاك. وفي التزيل العزيز:

(١) معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور...
(المجلد الأول - ص ٨٢٩، ٨٢٠).

«والعصر إن الإنسان لفي خسر»، الفراء: لفي عقوبة بذنبه وأن يخسر أهله ومنزله في الجنة. وقال عز وجل: «خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ ذَلِكُ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ». وخسر التاجر: وضع في تجارتة أو غيره. والخَسْرُ والخَسْرَانُ: النقص. وخَسَرَ الوزن والكيل خسراً وأخسره: نقصه. ويقال: كُلْتُه ووزنته فأخسرته أي نقصته. قال الله تعالى: «وَإِذَا كَالَّوْهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ»، الزجاج: أي ينقصون في الكيل والوزن. أبو عمرو: الخاسر الذي ينقص المكيال والميزان إذا أعطى، ويستزيد إذا أخذ. ابن الأعرابي: خسر إذا نقص ميزاناً أو غيره، وخسر إذا هلك. أبو عبيد: خَسَرَتُ الميزان وأخْسَرَتُه أي نقصته... الليث: الخاسر الذي وضع في تجارتة. قوله عز وجل: «وَخَسَرَ هَنَالِكَ الْمُبْطَلُونَ... وَخَسَرَ هَنَالِكَ الْكَافِرُونَ»، المعنى: تبين لهم خسارتهم لما رأوا العذاب وإلا فهم كانوا خاسرين في كل وقت.

هـ- الكذب:

أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أن قومه كذبوه ولم يصدقوا ما جاء به من دروس وعظات ومحظورات ومنهيات ليسروا في الطريق الاقتصادي السليم الذي ينير لهم طريق الحق ويعدهم بما حرمهم الله كالكذب... كما ذكر الله تعالى في سورة العنكبوت: «فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَتْهُمُ الرُّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ» آية (٣٧).

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: «الَّذِينَ كَذَّبُوا شَعِيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شَعِيْبًا كَأَنَّهُمْ هُمُ الْخَاسِرُونَ» آية (٩٢).

كما قال الله تعالى في سورة الشعراء: «كَذَّبَ أَصْحَابَ لَيْكَةَ الْمَرْسِلِينَ» آية (١٧٦). وكذلك كما بين الله تعالى لنا في سورة الشعراء: «وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا إِنَّ نَظِنَكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ» آية (١٨٦). وذكرت سورة الشعراء: «فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظِّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ» آية (١٨٩).

ومن هذا أكدت لنا قصة شعيب عليه السلام تكذيب قومه لرسالته

وما آتاه من أنظمة اقتصادية في الإسلام وكان عقاب الله عز وجل لقوم شعيب أليماً شديداً.

وقد فسر أفضضل العلماء الآية (١٨٥) من سورة الشعراe بما يلي : -

﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحَرِينَ ﴾ .

قال الإمام الطبرى^(١) : -

قالوا: إنما أنت يا شعيب معلل تعل بالطعام والشراب كما نعلل بهما نحن ولست ملكاً.

وقال الإمام ابن كثير^(٢) : -

أي يعنون من الممسحورين.

كما قال الشيخ مصطفى المراغي^(٣) : -

أي ما أنت إلا ممن سحر عقله مرة بعد أخرى، فصار كلامه جزافاً لا يعبر عن حقائقه، ولا يصيّب هدف الحق.

﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنْكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

الآية (١٨٦) من سورة الشعراe

قال الإمام الطبرى^(٤) : -

وما أنت إلا بشر مثلنا تأكل وتشرب وإن نظنك لمن الكاذبين...
يقول: وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا إليه إلا ممن يكذب فيما يقول: فإن كنت صادقاً فيما تقول بأنك رسول الله كما تزعم.

(١) الإمام الطبرى - سورة الشعراe - الآية (١٨٥) ص ٦٥ .

(٢) الإمام ابن كثير - سورة الشعراe - الآية (١٨٥) ص ٣٤٧ .

(٣) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعراe - الآية (١٨٥) ص ١٠٠ ج ١٢ .

(٤) الإمام الطبرى - سورة الشعراe - الآية (١٨٦) ص ٦٥٠ .

وقال الإمام ابن كثير^(١) :-

﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مُّثْلُنَا وَإِنْ نَظَنْكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي تتعمد الكذب فيما تقوله لا أن الله أرسلك إلينا.

كما قال الشيخ محمود حجازي^(٢) :-

قالوا: إنما أنت رجل سحرت مراراً حتى فسد عقلك، وضاع لك على أنك بشر مثلك، فكيف تأتك الرسالة دوننا، ونحن لا نظنك إلا من الكاذبين وإن كنت صادقاً حقاً، وأننا سنعذب لو لم نطبعك فأسقط علينا قطعة من السماء تكون دليلاً على أنك رسول من قبل الله، ولكن الله يعلم ما عندهم، وقد حكاه بقوله: ﴿وَإِنْ يَرُوا كَسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقْطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ الآية (٤٤) من سورة الطور وقد طمأن شعيب نفسه.
﴿فَأَسْقَطْتُ عَلَيْنَا كَسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

الآية (١٨٧) من سورة الشعرا

قال الإمام الرazi^(٣) :-

﴿فَأَسْقَطْتُ عَلَيْنَا كَسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وهي القطعة والسماء السحاب أو الظلة، وهم إنما طلبوا ذلك لاستبعادهم وقوعه فظنوا أنه إذا لم يقع ظهر كذبه فعنه.

كما قال الإمام القرطبي^(٤) :-

أي جانباً من السماء وقطعة منه، فنظر إليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَرُوا كَسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقْطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾. وفيه: أرادوا أنزلا علينا العذاب وهو مبالغة في التكذيب.

(١) الإمام ابن كثير - سورة الشعرا - الآية (١٨٦) ص ٣٤٨ .

(٢) الشيخ محمود حجازي - سورة الشعرا - الآية (١٨٦) ص ٧٣ ج ١٢ .

(٣) الإمام الرazi - سورة الشعرا - الآية (١٨٧) . ص ١٦٣ .

(٤) الإمام القرطبي - سورة الشعرا - الآية (١٨٧) ص ٤٨٥٢ .

وجاء في قول الشيخ مصطفى المراغي^(١) :-

أي فإن كنت صادقاً في دعوتك الرسالة فأنزل علينا من السحاب قطعاً يكون فيها العذاب لنا. وهذا شبيه بما قالته قريش لنبيهم فيما حكى الله عنهم بقوله: «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبعاً... إلى أن قالوا... أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفأً أو تأتي بالله والملائكة قبلاً»، وقوله: «وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم».

فأجابهم شعيب:

﴿قَالَ رَبِّيْ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. الآية (١٨٨) من سورة الشعراة.

قال الإمام الطبرى^(٢) :-

يقول تعالى ذكره، قال شعيب لقومه: ربى أعلم بما تعملون، يقول: بأعمالهم هو بها محيط لا يخفى عليه منها شيء وهو مجازيكم بها جراءكم.

كما قال الإمام القرطبي^(٣) :-

تهديد، أي إنما على التبليغ وليس العذاب الذي سألكم إلى وهو
مجازيكم.

وقال الشيخ مصطفى المراغي^(٤) :-

فيجازيكم به، فإن شاء عجل لكم العذاب، وإن شاء أخره إلى أجل

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعراة - الآية (١٨٧) ص ١٠٠ ج ١٢ .

(٢) الإمام الطبرى - سورة الشعراة - الآية (١٨٨) ص ٦٦ .

(٣) الإمام القرطبي - سورة الشعراة - الآية (١٨٨) ص ٤٨٥٢ م ٦ .

(٤) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعراة - الآية (١٨٨) ص ١٠٠ م ١٢ .

معلوم، وما على إلا البلاغ، وأنا مأمور به، فلم أنذركم من تلقاء نفسي،
ولا أدعى القدرة على عذابكم.

وقال الشيخ محمود حجازي^(١) :

قال: لست مكلفاً بإدخال الإيمان في قلوبكم، ولست مكلفاً
بحسابكم على أعمالكم، إن على إلا البلاغ وربكم يعلم ما تفعلون،
 وسيجازيكم على أعمالكم.

وقال أئمة التفسير للأية (١٨٩) من سورة الشعرا ما يلي :

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظَّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

قال الإمام الرazi^(٢) :

فلما استمرروا على التكذيب أنزل الله عليهم العذاب على ما اقترحوا
من عذاب يوم الظلة إن أرادوا بالسماء السحاب، وإن أرادوا الظلة فقد
خالف بهم عن مقترحهم، يروى أنه حبس عنهم الريح سبعاً وسلط عليهم
الرمل فأخذ بأنفسهم، لا ينفعهم ظل ولا ماء فاضطروا إلى أن خرجوا إلى
البرية فأظللتهم سحابة وجدوا لها بردأ ونسيناً فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم
ناراً فاحتربوا، وروى أن شعياً بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب
الأيكة فأهلكت مدين بصيحة جبريل عليه السلام، وأصحاب الأيكة بعد العذاب
يوم الظلة، وه هنا آخر الكلام في هذه القصص السبع التي ذكرها الله تعالى
في هذه السورة تسلية لمحمد صلوات الله عليه فيما ناله من الغم الشديد.

(١) الشيخ محمود حجازي - سورة الشعرا - الآية (١٨٨) ص ٧٢ ج ١٩ .

(٢) الإمام الرazi - سورة الشعرا - الآية (١٨٩) ص ١٦٤ .

وقال الإمام القرطبي^(١) :-

قال ابن عباس: أصابهم حر شديد فأرسل الله سبحانه فهربوا إليها ليستظلو بها، فلما صاروا تحتها صبح بهم فهلكوا. وقيل: أقامها الله فوق رؤوسهم وألهبها حراً حتى ماتوا من الرمد. وكان من أعظم يوم في الدنيا عذاباً. وقيل: بعث الله عليهم سموماً فخرجو إلى الأيكة يستظلون بها فأضرموا الله عليهم ناراً فاحتربوا. وعن ابن عباس أيضاً وغيره: إن الله تعالى فتح عليهم باباً من أبواب جهنم، وأرسل عليهم حرًا شديداً فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأنضجهم الحر، فخرجو هرباً إلى البرية، فبعث الله عزوجل سحابة فأظلتهم فوجدوا لها بردأ وروحاً وريحاً طيبة، فنادى بعضهم بعضاً، فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله تعالى عليهم ناراً، ورجفت بهم الأرض فاحتربوا كما يحترق الجراد في المقلع، فصاروا رماداً فذلك قوله: «فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغزوا فيها»، وقوله: «فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم»، وقيل: إن الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة أيام، وسلط عليهم الحر حتى أخذ بأنفاسهم، ولم ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الأسراي ليتبردوا فيها فيجدوها أشد حراً من الظاهر، فهربوا إلى البرية، فأظللتهم سحابة وهي الظلة، فوجدوا لها بردأ ونسيناً، فامطرت عليهم ناراً فاحتربوا.

كما قال الإمام القاسمي^(٢) :-

«فكذبوا» أي فاستمرروا على تكذيبه ولم يتوبوا «فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم»، أي لحلول العقاب فيهم، من جنس مسألته من إسقاط السماء قطعاً عليهم. فقد أظللتهم سحابة أطبقت عليهم. وأظلمت الجو فوقهم، وغشיהם العذاب وأحاط بهم.

قال الحافظ بن كثير: ذكر تعالى صفة إهلاكم في ثلاثة مواطن. كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق. ففي (الأعراف) ذكر أنهم: «فأخذتهم الرجفة

(١) الإمام القرطبي - سورة الشعرا - الآية (١٨٩) ص ٤٨٥٣ م ٦ .

(٢) الإمام القاسمي - سورة الشعرا - الآية (١٨٩) ص ٤٣ م ٣ .

فأصبحوا في دارهم جاثمين»، وذلك لأنهم قالوا: «لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا»، فأرجعوا نبي الله ومن اتباهه «فأخذتهم الرجفة»، وفي سورة هود قال: «وأخذت الذين ظلموا الصيحة» ذلك لأنهم استهزعوا ببني الله في قولهم: «... أصلاتك تأمرك أن ترك ما يعبد آباؤنا أو أن ن فعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد»، قالوا: ذلك على سبيل التهكم والإزدراء. فناسب أن تأتهم صيحة تسكتهم فقال: «وأخذت الذين ظلموا الصيحة»، وهنها قالوا: «فأسقط علينا كسفًا من السماء» الآية على وجه التعتن والعناد فناسب أن يتحقق عليهم ما استبعدوا وقوعه: «فأخذهم عذاب يوم الظلة».

و - المكر والخداع : -

بين الله تعالى لنا في قوم شعيب أنهم كانوا لا يطبقون تعاليم الله تعالى ولا يوفون الكيل والميزان ويخسون حقوق الناس في تجارتهم وتعاملهم مع الغير بالمكر والخداع، ولذلك أرسل الله شعيباً عليه السلام ليهدىهم إلى الحق وإلى الطريق السليم، كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» آية (١٩٩).

وبهذا نهانا الله عن التعامل بالمكر والخداع والغبن والسرقة ليبين لنا الطريق السليم لبناء اقتصاد سليم خالٍ من المحرمات.

٢ - المنهيات في المعاملات التجارية : -

وقد أوضحنا في السابق العديد من المحظورات والمنهيات التي حرمها الله تعالى وحدرنا مما ارتكبه قوم شعيب عليه السلام من المعاصي والكذب والأثام والمكر والخداع والحيل بالبخس ونقص في الميزان وظلم الناس والكفر بكلام الله وتکذيب شعيب عليه السلام وقطع الطريق وسد الناس عن سبيل الله من آمن بشعيب ...

كل هذه المحرمات أرشدنا شعيب عليه السلام إليها ليعطينا درساً وعظة

لبناء اقتصاد إسلامي على أسس متينة مستمدۃ من کلام الله وسنة نبیه وأن
نبتعد عن كل المحرمات التي نهانا الله عنها.

أ - الإعوجاج :

دعا شعيب عليه السلام قومه إلى سلوك الطريق السليم في تعاملهم
في التجارة والمال حيث ذكر الله تعالى في سورة الأعراف...
ولا تقدعوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به
وتبغونها عوجا.... ﴿٨٦﴾.

الآية (٨٦)

من ذلك أرشدنا الله تعالى إلى أن شعيباً بعثه الله برسالته ليهدي قومه
إلى الطريق السليم في تعاملهم ويعهم وإيفاء الكيل والميزان، وألا يهددون
ويتوعدون وأن يؤمنوا بكلام الله ويأمروا بالمعروف.. لأن الله أرسل شعيباً
عليه السلام لكي يصحح الإعوجاج في سلوكهم وتصرفاتهم في المال
والتجارة وعدم الإيمان بالله... . ويعتبر ذلك درساً نستفيد منه في اقتصادنا
العملي وفي معاملاتنا في المال والتجارة حسب شريعة الله وسنة نبیه...
فهي الطريق السليم لتجنب المحظورات وتصحيح الاعوجاج في حياتنا...

ب - المعصية :

ورد في معجم لسان العرب^(١) للعلامة ابن منظور قال: العصيان
خلاف الطاعة. عصى العبد ربه إذا خالف أمره، وعصى فلان أميره يعصيه
عصياً وعصياناً ومعصية إذا لم يطعه، فهو عاصي وعصيّ.

ويقال للجماعة إذا خرجت عن طاعة السلطان: قد استعصت عليه.
وفي الحديث: لو لا أن نعصي الله ما عصانا أي لم يتمتنع عن إجابتنا إذا

(١) معجم لسان العرب - للعلامة ابن منظور. (المجلد الثاني - ص ٨٠٢).

دعوناه فجعل العجواب بمنزلة الخطاب فسماه عصياناً كقوله تعالى: **﴿وَمَكْرُوا وَمَكْرُ اللَّهِ﴾**.

وفي الحديث أنه غير اسم العاصي، إنما غيره لأن شعار المؤمن الطاعة والعصيان ضدها. والذي ورد في الحديث: أن رجلاً قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال له النبي ﷺ: «بئس الخطيب أنت»! قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى.

وفيما يتعلق بقصة شعيب عليه السلام، فقد حذر قومه من العذاب الذي أصاب من سبّهم من قوم نوح أو هود أو صالح عليهم السلام... كما نهاهم عن معصية الله تبارك وتعالى وطلب منهم أن يستغفروا الله تعالى ويتبوا إليه... إلا أن قوم شعيب عليه السلام لم يستمعوا لهذه النصيحة... واستمروا في عنادهم وتکذيبهم.

ج- الإثم:

بين لنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أن كل عمل مخالف ل تعاليم كتاب الله وأنبيائه ورسله يعتبر إثماً... فقد كان قوم شعيب عليه السلام يبخسوا الناس أشياءهم... فلم يوفوا حقوق الناس في الكيل والميزان، وقد توعدوا المؤمنين بالقتل والصد عن سبيل الله... وهكذا فإن مثل هذه التصرفات تعتبر من الإثم الذي حرمته الله تبارك وتعالى وحذرتنا منه.

د- المعاصي:

أوضح لنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أن نتجنب المعاصي... فقد ارتكب قوم شعيب عليه السلام المعاصي من خلال النقص في حقوق الناس في الكيل والميزان خفية... وقد نصحهم شعيب عليه السلام ألا يرتكبوا المعاصي في أرض الله... وبهذا أرشدنا الله تعالى إلى درس اقتصادي عن المحظورات والمنهييات في الإسلام وخاصة فيما يتعلق بالمعاصي لقوم شعيب عليه السلام... فكان عذاب الله تعالى... وكانت الصيحة التي أصبحوا بعدها جاثمين في ديارهم...

وقد ذكرت سورة هود - الآيات (٨٩ حتى ٩٤) :-

﴿ وَيَقُولُ لَا يَجِدُ مِنْكُمْ شَقَاقًا أَن يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمًا فُوحِيَ أَوْ قَوْمًا هُودًا أَوْ قَوْمًا صَالِحًّا وَمَا قَوْمٌ لُوطٌ مِنْكُمْ يُبَعِيدُهُ ١١ وَاسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ ١٢ قَالُوا يَسْعِيهُ مَنْفَقَةً كَثِيرًا مِمَّا نَقْوُلُ وَإِنَّا لَنَرَدَكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَكَ وَمَا أَنَّ عَلَيْنَا يُعَزِّزُنَا ١٣ قَالَ يَسْعِيهُ أَعْزَزُ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَخْذَ شُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهَرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ١٤ وَيَقُولُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِيلٌ سَوْقَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُو إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ١٥ وَلَمَاجَاهَ أَمْرُنَا بِخَيْرِنَا شَعِيبًا وَالَّذِينَ أَمْنَوْا مَعَهُ دِرْحَمَةً مَتَّا وَأَخْذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحَ حَوْافِ دِيَرَهُمْ جِئْشَيْنَ ١٦﴾.

هـ - السَّيَّئَاتُ :

أوضحنا سابقاً عن المحظورات والمنهيات التي نهاها الله عنها في قصة شعيب عليه السلام لقومه عن ظلم الناس في حقوقهم والنقص في الكيل والميزان وقطع الطريق والصد عن سبيل الله . . .

كل هذه المعاishi التي حرمتها الله تعتبر من السيئات التي فعلها قوم شعيب عليه السلام فهي درس إسلامي اقتصادي في كيفية التعامل بين الناس في مجال المال والاقتصاد والتجارة وأن يتبع عن كل عمل ينهانا الله عنه .

وـ الْكُفَّارُ :

بين الله تعالى لنا في قصة شعيب عليه السلام العقاب الذي استحقه

القوم الذين لم يسمعوا ويطيعوا شعيب عليه السلام حيث كان يرشدهم إلى الطريق الصحيح ويهديهم إلى النور والبعد عن ارتكاب المعاصي، وما حرمه الله بل إن هؤلاء القوم بعصيانهم لشعيب عليه السلام وما نهاهم الله عنه فإن أفعالهم تعتبر كفراً وعصياناً لعدم اتباعهم النصيحة... كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف... .

﴿وَقَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَبَعْتُمْ شَعِيبًا إِلَّا تَكُونُوا ذَلِكُمْ خَسِيرُونَ﴾ .
الأية (٩٠) .

ومن الدروس المستفادة أننا نطبق كتاب الله ونبعد عن المعاصي وظلم الناس والوفاء بحقوقهم وعدم البخس في الكيل والميزان... .

ز - الإستكبار : -

بين الله تعالى لنا أن فئة من قوم شعيب عليه السلام لم تستجب لتحذيراته ونصائحه، وهي في الأصل من كلام الله عز وجل بل استكبروا وكذبوا شعيباً على ما ذكره من كلام الله... . وقد ذكر الله تعالى في سورة الأعراف... .

﴿قَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ أَسْتَكَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِكَ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَيْنَا قَالَ أَوْلَوْ كَانُوكُرِهِنَ ﴿٢٨﴾ قَدْ أَفْتَرَنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَذَنَا فِي مِلَيْنِكُمْ بَعْدًا إِذْ جَهَنَّمَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبِّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا إِنَّا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾
الآياتان (٨٨) ، (٨٩) .

وبهذا يتضح لنا من قصة شعيب أن الله أرسله للنصيحة والهداي واتباع الحق بين الناس ، ولكن فئة من قومه استكبروا وعصوا وكذبوا فاستحقوا العذاب . وورد في تفسير بعض العلماء الأفضل ل الآية (٨٨) من سورة الأعراف ، ما يلي : -

قال الإمام الرazi (١) : -

اعلم أن شعيباً لما قرر تلك الكلمات قال: **﴿الذين استكبروا﴾** وأنفوا من تصديقه وقبول قوله لا بد من أحد أمرين: إما أن نخرجك ونخرج أتباعك من هذه القرية... وإما أن تعود إلى ملتنا، والإشكال فيه أن يقال: إن قولهم: **﴿أو لتعودن في ملتنا﴾** يدل على أنه عليه السلام كان على ملتنا التي هي الكفر، فهذا يقتضي أنه عليه السلام كان كافراً قبل ذلك.

وقال الإمام الشوكاني (٢) : -

﴿قال الملا الدين استكبروا من قومه﴾ أي قال الأشراف المستكروون **﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك﴾**، لم يكتفوا بترك الإيمان والتمرد عن الإجابة إلى ما دعاهم إليه، بل جاؤوا ذلك بغياً وبطراً وأسراً إلى توعد نبيهم ومن آمن به بالإخراج من قريتهم.

كما جاء في قول الإمام محمد رشيد رضا (٣) : -

أي قال أشراف قومه وأكابرهم الذين استكروا عن الإيمان له وعترا عما أمرهم به ونهاهم عنه اتباعاً لأهوائهم - وقد استضعفوه - نقسم لنخرجنك يا شعيب أنت والذين معك من قريتنا الجامعة أو من بلادنا كلها - فلفظ القرية والبلد يطلق أحياناً على القطر أو المملكة - أو لتعودن وترجعن إلى ملتنا وما ندين به من تقاليدنا الموروثة عن آبائنا، فتكون ملة لكم ومحيطة بكم معنا.

(١) الإمام الرazi - سورة الأعراف - الآية (٨٨) ص ١٧٣ م ١٢ .

(٢) الإمام الشوكاني - فتح القيدير - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ص ٢٢٣ م ٢ ج ٢٩ .

(٣) الإمام محمد رشيد رضا - المنار - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ص ٥٢٤ ، م ٩ .

والمعنى : نقسم ليكونن أحد هذين الأمرين : إخراجكم أو عودتكم في الملة فاختاروا لأنفسكم ، قيل : إن التعبير بالعود يقتضي أنهم كانوا على ملتهم ثم خرجوا منها ، وهو يصدق بالمجموع فلا ينافي القول بعصمة الأنبياء من الكفر حتى قبل النبوة ، على أن شعيباً عليه السلام لم يكن قبل النبوة على ملة أخرى غير ملة قومه فيمنعهم ذلك من التعبير في شأنه بالعودة ، وكونه لم يشاركهم في شركهم ولا في بخس الناس أشياءهم وهضم حقوقهم أمر سلبي لا يتلفت إليه جمهورهم ، ولا يدعونه به خارجاً عنهم ، وقال الراغب : العود الرجوع إلى الشيء بعد الإنصراف عنه إما انصرافاً بالذات أو بالقول والعزيمة أو منه ذمة والدعوة إلى غيره ولا يقتضي هذا المعنى سبق الكون فيه ولا عدمه ، فلا حاجة إذن إلى تصحيح التعبير بما قيل من تفسير العود بالمصير ، وفيه من التكلف ما ليس في القول بالتعليل ، ولا سيما في جوابه عليه السلام .

﴿قال أولو كنا كارهين﴾ يعني العود في ملتكم على كل حال من الأحوال حتى حال الكراهة لها الناشئة عن اعتقاد بطلانها وقبحها وما يترتب عليها من الفساد في الدنيا والعذاب في الآخرة؟ فالإستفهام للإنكار و﴿لو﴾ للغاية ، أو أتأمروننا أن نعود فيها وتهددوننا بالنفي من وطننا والإخراج من ديارنا إن لم نفعل ولو كنا كارهين لكل من الأمرين؟ .

وقال الشيخ المراغي^(١) :

﴿قال الملا الذين استكروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ ، أي قال أشراف قومه الذين استكروا عن الإيمان وعن اتباع ما أمرهم به وما نهاهم عنه : قسماً لنخرجنك يا شعيب أنت ومن آمن معك - من بلادنا كلها - بغضباً لكم ودفعاً لفتتكم ، أو لترجعن إلى ديننا ومعتقداتنا التي ورثناها عن آبائنا ، وتدخلن في زمرةنا وتندمجن في غمارنا .

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ص ٢١٢ ج ٩ .

والخلاصة: ليكونن أحد الأمرين: إخراجكم من البلاد، أو عودتكم في الملة، فاختاروا لأنفسكم ما ترونه أرقى بكم وأوفق لكم.

وشعيب عليه السلام لم يكن قبل النبوة على ملة أخرى غير ملة قومه، فساغ لهم أن يطالبوه بالعود إلى ملتهم، وكونه لم يشاركهم في شركهم ولا بخس الناس أشياءهم - أمر سلبي لا يعده به جمهورهم خروجاً عنهم - فلا منافاة بين هذا وعصمة الأنبياء عن الكفر.

﴿قال ألو كنا كارهين﴾ أي أتأمرؤننا أن نعود في ملتكم وتهددوننا بالنفي من أوطاننا، والإخراج من ديارنا إن لم نفعل ولو كنا كارهين لكل من الأمرين؟

وقال الشيخ محمود حجازي^(١):

أمر شعيب قومه بعبادة الله وحده، والوفاء بالكيل والميزان وعدم الفساد في الأرض، فما كان من أشراف قومه الذين استكبروا عن الإيمان بالله ورسله وعاثوا في الأرض الفساد، إلا أن قالوا: تالله لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من بلادنا حتى تسكن الفتنة، وتهدا الثورة التي أثرتموها باتخاذكم ديناً غير دين الآباء والأجداد.

ح - الظلم:

بين لنا الله تعالى درساً من الدروس الإسلامية في الاقتصاد وهو ظلم الناس لبعضهم البعض... وكما أشارت قصة شعيب أن قومه ظلموا بعضهم البعض في حقوقهم بالبخس وعدم الوفاء في الكيل والميزان، وكذلك خيانتهم في الأموال وأخذها بغير حق عن طريق البخس في الميزان، فهذا ظلم واعتداء على حقوق المشتررين وفي ظلم الباعة من الغش والجحيل التي تنتقص بها حقوق الناس، كما ذكر الله تعالى في سورة هود: ﴿ولما جاء

(١) الشيخ محمود حجازي - سورة الأعراف - الآية (٨٨) - ص ٨٧، ٩ م.

أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴿ الآية (٩٤)﴾.

وبهذا تعلمنا درساً اقتصادياً في التعامل بين البائع والمشتري أو بين الحق والباطل فيما بين الناس.

ط - الظلم التجاري :

جاء في معجم لسان العرب^(١) للعلامة ابن منظور عن الظلم.. فقال:
ظلم: الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، قال الأصمعي: ما ظلم أي ما وضع الشبه في غير موضعه وأصل الظلم الجحود ومجاوزة الحد - والظلم: الميل عن القصد، والعرب تقول: الزم هذا الصوب ولا تظلم عنه أي لا تجر عنه. قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لِظُلْمٍ عَظِيمٍ﴾، يعني: إن الله تعالى هو المحبي المميت الرزاق المنعم وحده لا شريك له، فإذا أشرك به غيره، فذلك أعظم الظلم، لأنه جعل النعمة لغير ربها.

والظلمة: المانعون أهل الحقوق حقوقهم، يقال: ما ظلمك عن كذا، أي ما منعك، وقيل: الظلمة في المعاملة.

وقوله عز وجل: ﴿أَتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً، أَيْ لَمْ تَنْقُصْ مِنْهُ شَيْئاً، وَقَالَ الْفَرَاءُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلَمُونَ﴾، قال: مانقصونا شيئاً بما فعلوا ولكن نقصوا أنفسهم.

والظلم من المحظورات التي نها الله تبارك وتعالى عن ارتكابها... وقد دعا آدم عليه السلام وزوجته حواء الله عز وجل... عندما وسوس لهم الشيطان فذاقا الشجرة وقالا... ﴿قَالَا رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنْ كُونَنَا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

والأيات القرآنية التي حذررت بني آدم من الظلم كثيرة... وعلى سبيل

(١) معجم لسان العرب - للعلامة ابن منظور، (المجلد الثاني - ص ٦٤٩، ٦٥٠).

المثال لا الحصر... ذكرت الآية (١) من سورة الطلاق: -

﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾

وفي سورة الشعراء ذكرت الآية الكريمة (٢٢٧): -

﴿بَعْدَ مَا ظَلَمُوا وَسِعَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىٰ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ .

اما في سورة الزخرف فقد ذكرت الآية (٦٥) : -

﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَنِيهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

وفيما يختص بقوم شعيب... فقد ذكرت سورة هود الآية (٩٤) : -

﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ .

وهكذا نجد أن العقاب الإلهي للظالم شديد وأليم... فإن جميع الآيات القرآنية توضح أن الظالم يذوق العذاب في الدنيا والآخرة... فلا يشعر بنجاح... أو فلاح... لأن الله تبارك وتعالى لا يهدي القوم الظالمين... والظلم اقترن بالشرك بالله... .

ففي سورة لقمان الآية (١٣) : -

﴿وَإِذَا قَالَ لَقْمَنُ لِأَبْنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنُى لَا شَرِيكَ بِاللَّهِ﴾

وقد حرم الله تبارك وتعالى الظلم على نفسه... فقال في سورة يونس الآية (٤٤) : -

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ .

وفي سورة الكهف الآية (٤٩) : -

﴿وَوُضِعَ الْكِتَبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مُمَاقِيْهِ وَيَقُولُونَ يُؤَيْلَنَا...﴾ .

وقاتا الله تبارك وتعالى شر الظلم والظالمين وجعلنا من المتقين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه... .

ي - الفسق: -

أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أن الله أرسله إلى قومه لأنهم

فسدوا وفسقوا في الأرض وارتكبوا المعاشي والآثام التي حرمها الله تعالى من نقص حقوق الناس في أموالهم بأخذها على وجه البخس ونقص المكيال والميزان خفية، والصد عن سبيل الله من آمن به وأخذ الرشوة وقطع الطريق وظلم الناس بالبعي والعداوان، كل هذه المسببات كانت إفساداً وفسقاً لمجتمعهم وبهذا حرم الله علينا الفسق.

ولبناء مجتمع إسلامي ينبغي علينا أن نطبق شريعة الله وسنة نبيه بالحق والعدل وعدم إفساد مجتمعنا الإسلامي من بيع المحرامات كالخمور ولحم الخنزير أو فساد المجتمع بالرشوة والظلم، وعدم إقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه، وغير ذلك من الفسق التي حرمها الله علينا وعلى من سبقونا، كما ذكر الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام في سورة الأعراف: ﴿وَمَا وجدنا لأكثربن من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ آية (١٠٢).

المبحث الرابع

الاقتصاد التطبيقي للموازين والمكاييل

أولاً - الإستقرار الاقتصادي للموازين والمكاييل : -

أوضح الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام فرعاً من فروع الاقتصاد وهو النظام الإسلامي في استقرار معايشنا في الأرض.

فقد ذكرت سورة الأعراف :

﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشَكُّرُونَ ﴾
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ مِّمَّ صَوَرْنَاكُمْ فَلَنَا الْمَلِكِ كُوَّا سَجَدُوا لِلأَدَمَ فَسَجَدُوا
إِلَّا إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ . الآياتان (١٠ ، ١١) .

وفيما يلي تحليلنا لهذه الأسس الاقتصادية للإستقرار الاقتصادي للموازين والمكاييل : -

يدرك علم الاقتصاد الحديث أن العناصر الأساسية للإستقرار الاقتصادي هي السياسة النقدية والسياسة المالية . . . وبدراسة التاريخ الاقتصادي من خلال قصة شعيب عليه السلام نجد أنه جاء برسالة الله تعالى وحدوده في إيفاء الكيل والميزان وعدم الفساد والعنوز في الأرض والإصلاح، وقد نبه قومه بعدم مخالفته حدود الله وأن مصيرهم العقاب نظير أفعالهم . . . ومن الإصطلاحات الاقتصادية لدعوة شعيب عليه السلام قومه لترك بخس الميزان ومكسه والتغليف وعدم الوفاء والقسط والعدل في الميزان، كل هذه

المسايبات تعطينا مفهوماً اقتصادياً للموازين والمكاييل باستقرار الميزان وحدوده واستقرار الأسعار النقدية.

ومن تلك المفاهيم الاقتصادية الهامة في مجال الاستقرار الاقتصادي تحديد الوزن والكيل للسلعة وإعطائها الصبغة الرسمية... حيث أن الدورة الاقتصادية والتجارية التي تحدث لهذه السلع من رواج أو كساد وتقلب في الأسعار وزيادة أو نقصان... فمثل هذه العمليات من التقلبات الاقتصادية تعتمد على تخطيطات اقتصادية للسلعة نفسها والإستقرار في الاقتصاد التطبيقي، ومعرفة حدود الوزن والكيل، وهذا هو مفهوم الاستقرار الاقتصادي الذي نادى به شعيب عليه السلام قوله، والذي يعتبر أساس استقرار معايشنا وحياتنا الدنيوية الاقتصادية فيعكس على الوضع الاقتصادي في الأسواق حيث أن الإستقرار يؤثر على حياتنا المعيشية في الأسواق وإقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه بإيفاء الميزان والكيل، وبالتالي سيتحدد السعر الحقيقي بما شرعه الله من مكاسب حقيقة، كما يؤثر ذلك على الدخل القومي للفرد وتحديد السلعة بقيمتها الحقيقة، وسيؤثر ذلك على الأسواق التجارية وكسب سمعتها في الإستقرار والطمأنينة للموازين والأسعار، وبذلك يستقر الوضع الاقتصادي المحلي والدولي بثبات الأسعار وعدم الغش والتحليل، وسيعود هذا الإستقرار على الفرد، وبالتالي على المجتمع، وتتحقق الحكمة الإلهية من رسالة شعيب عليه السلام الاقتصادية بالإستقرار الاقتصادي والطمأنينة الاقتصادي في معايشنا... .

١ - إيفاء الكيل والميزان : -

يعتبر إيفاء الكيل والميزان بمعنى إتمامه - بأن يكون كاملاً غير ناقص - من الصفات التي أوضحتها قصة شعيب عليه السلام... وقد ذكرت سورة هود: ﴿وَيَا قَوْمَ أُوفُوا الْمَكِيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ آية (٨٥)، وكذلك في سورة الأعراف: ﴿قَدْ جَاءَتُكُمْ بِيَنَةً مِّنْ رَبِّكُمْ فَأُوفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ﴾ آية (٨٥). وكذلك بين الله تعالى في سورة الشعراة: ﴿أُوفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنْ

المخسرين» آية (١٨١). وكما ذكر الله تعالى في سورة المطففين: «وَيُولِّ
لِلْمَطْفَفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفِنُونَ» آية (١)، (٢).

من ذلك علمنا الله تبارك وتعالى درساً في الاقتصاد التطبيقي عن وفاء
البائع إلى المشتري في الكيل والميزان بإيفائه لهما وتسليمها البضاعة كاملة
غير منقوصة.

فإيفاء الوزن والكيل هو أحد الأسس والمناهج الرئيسية في عقيدتنا
الإسلامية في الاقتصاد... وذلك لتحقيق العدالة التجارية الاقتصادية في
مجتمعنا وأمتنا الإسلامية... وعندما نحلل ذلك اقتصادياً فإن مدلول الوفاء
له أهداف اقتصادية نوجزها فيما يلي:

- ١ - إن الوفاء في الكيل والميزان هو إقامة العدل والحق بين ما يبيعه التاجر
وأخذ الحق للمشتري من السلعة المراد بيعها.
- ٢ - إن التلاعب في التجارة والمال والإقتصاد سواء بالغش أو الغبن أو
التحايل يؤدي إلى فساد المجتمع، وهذا ما نهانا الله عنه في كتابه
العزيز لإقامة الوفاء والقسط في الكيل والميزان.
- ٣ - إن أسس العقيدة الإسلامية من شروطها الوفاء في الكيل والميزان لأن
كل مسلم يعمل بالتجارة أو الصناعة أو بالمال لا بد أن يفي ويعطي
الحق لصاحب الحق.

وقد علمنا الله تعالى في كتابه العزيز عن الوفاء في الكيل والميزان
في قصة يوسف عليه السلام حيث ذكر الله تعالى في سورة يوسف:
«وَلَمَّا جَهَزُوهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَئْتُونِي بِأَخْ لَكُمْ مَمَّا أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي
أَوْفِيَ الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمَنْزَلِينَ» آية (٥٩).

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة يوسف: «فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا
أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجَنَّا بِيَضَاعَةً مَزْجَاهُ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ
وَتَصَدِّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْمُتَصَدِّقِينَ» آية (٨٨).

كما علمنا الله تعالى من خلال قصة شعيب عليه السلام أحد الأسس

الإسلامية في اقتصادنا وهو الأمانة سواء كانت أمانة الشخص نحو طاعة ربه وعدم معصيته أو تعامله في عمله وتجارته، وفي أقواله بأن يأخذ الطريق السليم نحو بناء مجتمع إسلامي يقيم العدل والحق ويقر الأمانة حيث أوضح لنا شعيباً عليه السلام أنه كان أميناً صادقاً في رسالته ربه إلى قومه، يقيم العدل ويتمسك بالحق ويبتعد عما حرمها الله كما ذكر الله تعالى :

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شَعِيبٌ أَلَا تَتَقَوَّنَ (١٧٧) إِنِّي لِكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩)﴾.

سورة الشعراء

٤ - كذلك نهى الله تبارك وتعالى البائع بـألا يبخس الميزان وأن يعطي للمشتري حقوقاً مستوفاة من ناحية السلعة المراد بيعها.

٥ - كما بين الله تبارك وتعالى ما ينبغي على البائع والمشتري القيام به، وأن يكونوا أمناء في معاملتهم وخاصة ما يتعلق بعملية البيع والشراء، وأن لا يتحايل ولا يغش ولا يغبن أي منهما الآخر.

٦ - وهناك قاعدة أساسية في الإسلام ينبعي أن يتبعها المسلم... وقد ذكر في سورة الشعراء ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ آية (١٧٩).

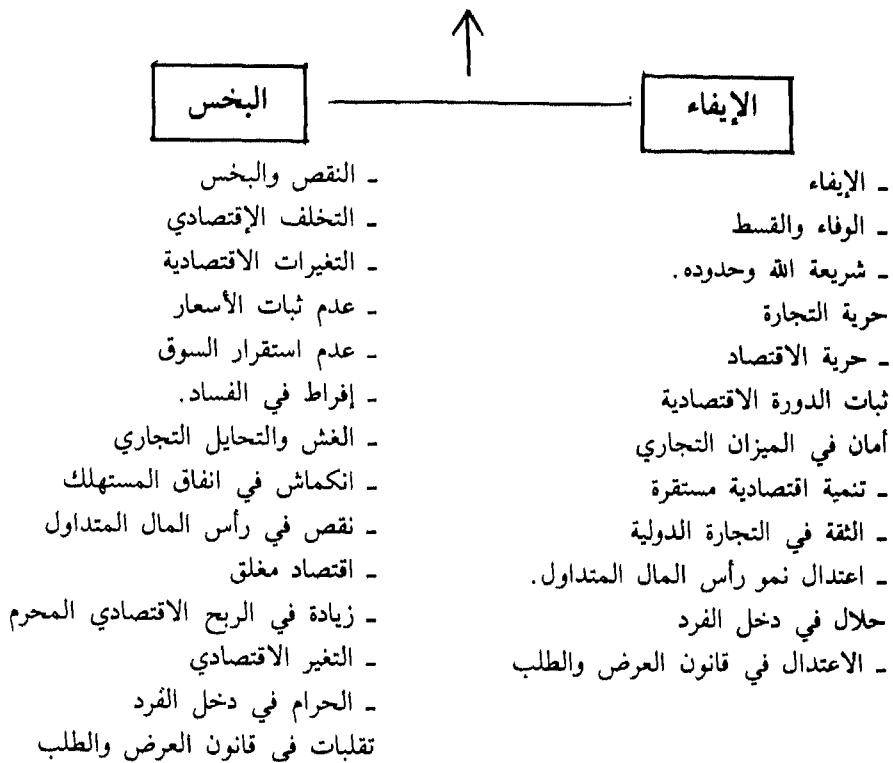
٧ - وفيما يتعلق بالإقتصاد التطبيقي في التجارة الدولية فإن تبادل المنتجات بين الدول يلعب دوراً رئيسياً في هذا المجال... فتقوم بعض الدول بمقاييسه منتجاتها وتبيع الدول الأخرى بضائعها بعد تقدير أوزانها وأسعارها ومن ثم معرفة قيمتها... وهكذا تنشأ العلاقات التجارية الدولية وتتشعّش التجارة بين الدول من خلال التمسك بإيفاء الكيل والميزان وتطبيق منهج الله تعالى وتوخي العدل والحق... .

٨ - لقد أثبت إيفاء الكيل والميزان... أنه يساعد على النمو الاقتصادي في البلد... كما يحقق الإنعاش الاقتصادي المطلوب، وكذلك يضمن زيادة المعدلات الحالية للنمو في مختلف القطاعات الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة... وذلك كله بفضل التمسك بالشريعة الإسلامية السمحاء، التي تعتمد أساساً على العدل والحق واتباع المنهج التطبيقي للإقتصاد الإسلامي... .

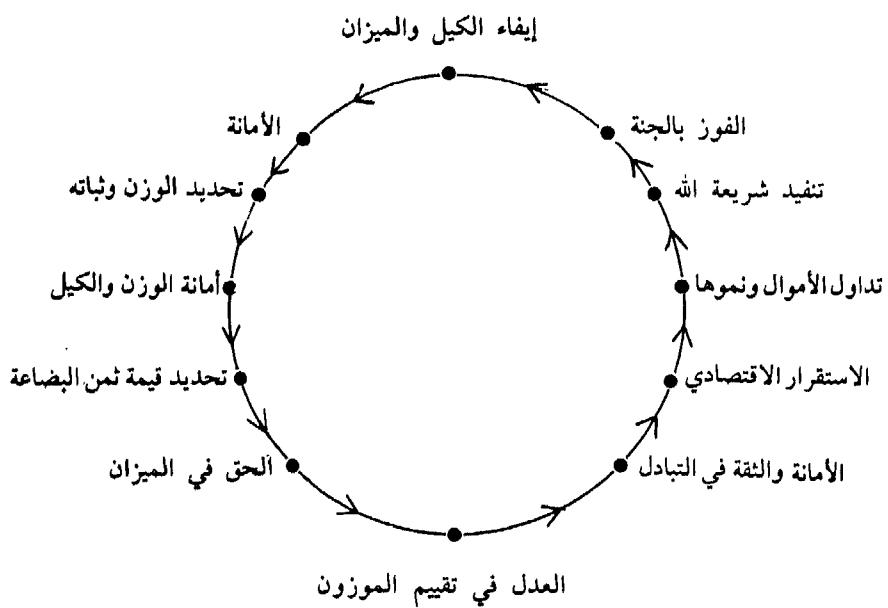
وعندما نلقي بعض الضوء على ما يفعله قوم شعيب من مفاسد بجانب البعض ونقص الميزان نجد أن المفهوم الاقتصادي في مجتمعهم مصدره السرقة والرشوة وقطع الطريق وابتزاز الأموال من الغرباء بالإستيلاء على دراهمهم عن طريق التحايل، وكان هذا المفهوم الاقتصادي ينعكس ويتؤثر على فئات المجتمع مالياً واقتصادياً في حركة النشاط الاقتصادي والسبب المباشر لهذا كله هو عدم قناعتهم بما يرزقهم الله من فضله.

تحليل الإستقرار الاقتصادي في الموازين والمكاييل

حركة النشاط الاقتصادي
- مراحل النمو الاقتصادي -



التحليل الاقتصادي لإيفاء الكيل والميزان والدورة الاقتصادية



البخس

هو أحد المنهيات والمحظورات التي علمها شعيب عليه السلام لقومه، فقد دعاهم إلى عدم البخس أي نقص حقوق الناس في أموالهم، ونقص المكيال والميزان خفية وتديسًا... ويقال: بخسه حقه أي نقصه وقلله أيام في الوزن وظلمه في حقيقته... ولقد كان البخس وتقليل الوزن متفشياً في قوم شعيب عليه السلام، ويعتبر من المفاسد والمعاصي التي حرمتها الله علينا... والبخس أعم وأشمل من نقص المكيال والموزون حيث يشتمل البخس في المساوية والغش التجاري والتلاعب والحيل التي تنتقص بها حقوق المشتري من البضاعة.

ولهذا، فإن البخس هو أحد المفاسد، ولهذا أرسل الله تعالى شعيباً لإقامة الحق والعدل في الكيل والميزان بين قومه، كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: «قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين» آية (٨٥).

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة هود: «ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين». آية (٨٥).

وقد ذكر الله تعالى في سورة الشعراء: «ولا تخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين». آية (١٨٣).

وقد ورد في معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور عن البخس

ما يلي :-

البخس: النقص، بخسه حقه، يبخسه بخساً إذا نقصه، أبو العباس: باخس بمعنى ظالم. ولا تبخسوا الناس: لا تظلموهم. والبخس من الظلم أن يبخس أخاك حقه فتنقصه كما يبخس الكيال مكياله فينقصه... قوله عز وجل: ﴿فَلَا يَخَافُ بخساً وَلَا رهقاً﴾ أي لا ينقص من ثواب عمله، ولا رهقاً أي ظلماً.

﴿وَشَرُوهُ بِشْمَنْ بخس﴾ أي ناقص دون ثمنه، والبخس: الخسيس الذي يخس به البائع... قال الزجاج: بخس أي ظلم لأن الإنسان الموجود لا يحل بيعه، ويبخس الميزان: نقصه. وتبخس القوم: تغابنوا.

(*) معجم لسان العرب للعلامة ابن منظور - (المجلد الأول - ص ١٦٨).

«آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن البخس»

الآية	السورة
<p style="text-align: center;">يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَانَتْمُ بِدِينِكُمْ إِنَّ أَجْلَكُ مُسْكَنَ فَاقْتُلُوهُ وَلَيَكُنْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكُتبَ كَمَا عَلِمَهُ اللَّهُ فَلَيَكُنْ تَحْكِيمُ الَّذِي عَلَيْهِ الْحُقْقُ وَلَيَسْتَقِعَ اللَّهُ رَبُّهُ وَلَا يَبْحَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحُقْقُ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِعُ أَنْ يُعْلَمَ هُوَ فَلَيُمْلِلَ وَلِيُهُدَى بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشِدُ وَأَشْهِدُ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رِجَالٌ فَرَجُلٌ وَأَمْرًا كَانَ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضْعِلَ إِحْدَاهُمَا فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءِ إِذَا مَدُعُوا وَلَا سَمُونُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِنَّ أَجْلَهُمْ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَدَةِ وَأَدْنَى الْأَتْرَابُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرِيَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيَسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَأْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَأَتَقْوَا اللَّهَ وَيُعْلَمُ كُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ يُكْلِ شَيْءٍ عَلَيْهِ</p>	البقرة

الرقم	الآية	السورة
١٥	<p style="text-align: center;">١٥</p> <p>مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الَّذِي أَوْزَيْنَاهَا نُوقٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَلُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَخْسِنُونَ</p>	هود
٨٥	<p style="text-align: center;">٨٥</p> <p>وَإِنْ مَدِينَتْ أَخَاهُمْ شُعِيبًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بِكِتَابٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ</p>	الأعراف
٨٨	<p style="text-align: center;">٨٨</p> <p>وَيَنْقُومُ أَوْفُوا الْمِكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا إِنَّ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوْفُ الْأَرْضَ مُفْسِدِينَ</p>	هود
١٨٣	<p style="text-align: center;">١٨٣</p> <p>وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوْفُ الْأَرْضَ مُفْسِدِينَ</p>	الشعراء

الرقم	الأية	السورة
١٣	<p>وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى عَامَنَا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهْقًا</p>	الجن
١٤	<p>وَشَرُودٌ شَمَنٌ بَخْسٌ دَرَاهِمٌ مَعْدُودَةٌ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَاهِدِينَ</p>	يوسف

وقال شيخ الإسلام رحمه الله^(١)

عنمن يبخس المكيال والميزان

أما بخس المكيال والميزان، فهو من الأعمال التي أهلك الله بها قوم شعيب، وقص علينا قصتهم في غير موضع من القرآن لتعتبر بذلك. والإصرار على ذلك من أعظم الكبائر، وصاحبها مستوجب تغليظ العقوبة، وينبغي أن يؤخذ منه ما بخسه من أموال المسلمين على طول الزمان، ويصرف في صالح المسلمين، إذا لم يمكن إعادةه إلى أصحابه.

والكيل والوزان الذي يبخس الغير: هو ضامن محروم، مأثوم، وهو من أخسر الناس صفة، إذ باع آخرته بدنيا غيره. ولا يحل أن يجعل بين الناس كيالاً أو وزاناً يبخس أو يحابي، كما لا يحل أن يكون بينهم مقوم يحابي، بحيث يكيل أو يزن أو يقوم لمن يرجوه أو يخاف من شره، أو يكون له جاه ونحوه؛ بخلاف ما يكيل أو يزن أو يقوم لغيرهم، أو يظلم من يبغضه، ويزيد من يحبه.

قال الله تعالى: ﴿وَأُوفوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ، لَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وَسَعَهَا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا كَوَافِرُهُمْ بِالْقِسْطِ، شَهَدَ اللَّهُ عَلَى أَنفُسِهِمْ، أَوِ الْوَالِدَيْنَ وَالْأَقْرَبِينَ، إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا، فَلَا تَتَبَعُوا الْهَوْيَ إِنْ تَعْدِلُوا، وَإِنْ تَلُوْرُوا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾. والله أعلم.

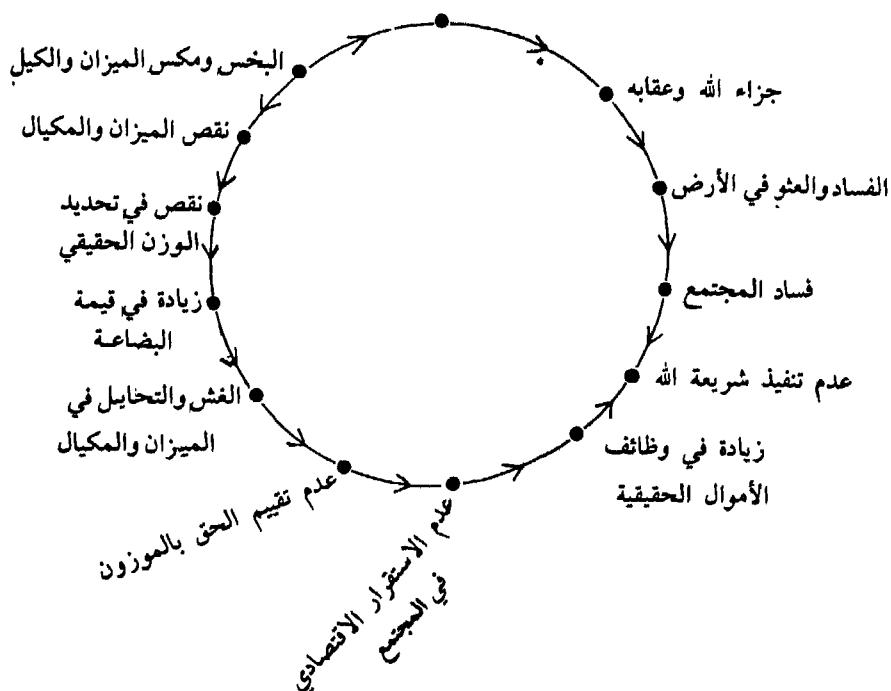
(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . . .

(جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد) م ٢٩ - ص ٤٧٤

التحليل الاقتصادي للبخس في الميزان والمكيال

والدور الاقتصادية

بخس الميزان والمكيال



ذكرت قصة شعيب آيات كريمة تبحث عن البخس، وكما أوردنا سابقاً بعض ما فسره أفال العلماء... ويعتبر البخس اصطلاح اقتصادي من المحظورات التي حرمها الله تعالى علينا.

وقد دعا إليه شعيب عليه السلام قومه، وجاء في تفسير بعض أفال العلماء للآية (٨٥) من سورة هود ما يلي : -

﴿ وَيَقُولُ أَوْفُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾

قال الإمام الرazi^(١) : عن البخس هو النقص في كل الأشياء.

أما الإمام القرطبي^(٢) فقد قال عن ذلك: أى لا تنقصوهم مما استحقوه شيئاً.

كما ذكرت الآية (٨٥) من سورة الأعراف، ما يلي : -

﴿ وَلَا تَبْخَسُوا أَنَاسًا أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا ﴾

قال الإمام الطبرى^(٣) : -

حدثنا بشربن معاذ، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة: **﴿ وَلَا تَبْخَسُوا أَنَاسًا أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا ﴾** قال: لا تظلموا الناس أشياءهم.

وقال الإمام ابن الجوزي^(٤) في ذلك . . .

البخس هو النقص والقلة.

أما الإمام الرazi^(٥) فقد قال : -

(١) الإمام الرazi - سورة هود - الآية (٨٥) ص ٣٩ م ٦ ج ١٨ .

(٢) الإمام القرطبي - سورة هود - الآية (٨٥) ص ٣٣١٣ .

(٣) الإمام الطبرى - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ١٦٦ م ٥ .

(٤) الإمام ابن الجوزي - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ٢٢٨ م ٣ .

(٥) الإمام الرazi - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ١٧٥ م ١٢ .

قوله: ﴿وَلَا تُبْخِسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم﴾، والمراد: أنه لما منع قومه من البخس في الكيل والوزن منهم بعد ذلك من البخس والتنقيص بجميع الوجوه، ويدخل فيه المنع من الغصب والسرقة، وأخذ الرشوة، وقطع الطريق، وانتزاع الأموال بطريق العين.

كما قال الإمام ابن كثير

أي لا يخونوا الناس في أموالهم ويأخذوها على وجه البخس وهو نقص المكيال والميزان خفية وتدلساً، كما قال تعالى: ﴿وَوْلِيَ لِلْمَطْفَفِينَ - إِلَى قَوْلِهِ - لَرَبِ الْعَالَمِينَ﴾، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد نسأل الله العافية منه، ثم قال تعالى إخباراً عن شعيب الذي يقال له خطيب الأنبياء لفصاحة عبارته وجزالة موعظته.

وقال الإمام الشوكاني^(١):-

قوله: ﴿وَلَا تُبْخِسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم﴾، البخس: النقص وهو يكون بالتعييب للسلعة أو الترهيد فيها أو المخادعة لصاحبها والاحتيال عليه، وكل ذلك من أكل أموال الناس بالباطل، وظاهر قوله: ﴿أَشْيَاءَهُم﴾ أنهم كانوا يبخسون الناس في كل الأشياء.

وقال الإمام القاسمي^(٢):-

وأنخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْخِسُوا...﴾ الآية.. قال: أي لا تسموا لهم شيئاً، وتعطوا لهم غير ذلك.

(١) الإمام ابن كثير - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص (٨٥) ص ٢٣١ .

(٢) الإمام الشوكاني - فتح القدير - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ٢٢٣ م ٢ ج ٢٩ .

(٣) الإمام القاسمي - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ٢٠٢ م ٧ .

وقال الشيخ محمد رشيد^(١) رضا: -

وجملة: «ولا تبخسوا الناس أشياءهم» تشعر بأنهم كانوا يتواطأون على هضم الغريب وبخسه، وإن كانت تشمل بخس الأفراد بعضهم أشياء بعض، وهضم الشعب في جملته أشياء الغرباء الذين يعاملونهم، فقد روى أنهم كانوا إذا دخل الغريب يأخذون دراهمه ويقولون هذه زيف، فيقطعونها ثم يشترونها منه بالبخس يعني النقصان.

وقال الشيخ المراغي^(٢) : -

والبخس يشمل نقص المكيل والموزون وغيرهما من المبيعات كالماشى والأشياء المعدودة، ويشمل البخس في المساومة والغش والحيل التي ينتقص بها الحقوق وفي الحقوق المعنوية كالعلوم والفضائل..

وقد فشا كل من هذين النوعين في هذا العصر، فكثير من التجار باخسون مطهفون في ما يبيعون وما يشترون، وكثير من المستغلين بالعلوم والآداب والسياسة باخسون لحقوق بني جلدتهم، مدعون للتتفوق عليهم، منكرون لما خص الله به سواهم من المزايا والخصائص حسداً عليهم وبغيًا.

وقد روى أن قوم شعيب كانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه ويقولون: هذه زيف فيقطعونها ثم يشترونها منه بالبخس أي بالنقصان.

وقد شرح الدكتور محمد فريز منفيхи^(٣) في كتابه «النظام الاقتصادي القرآني» معنى التطهيف وعدم بخس الناس أشياءهم... فقال: -

أمر الله عباده المؤمنين بعدم الإتصاف بهاتين الصفتين عدم التطهيف (الوفاء بالكيل والميزان) وعدم بخس الناس أشياءهم، على مر العصور لأن

(١) المنار - الشيخ محمد رشيد رضا - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ٥٢٣ م ٩.

(٢) الشيخ المراغي - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ٢٠٥ ج ٩.

(٣) الدكتور محمد فريز منفيхи - النظام الاقتصادي القرآني - ص ١١٢١.

فيهما تعطيلاً للحركة التجارية أن تتم على صورتها الحقة وسيادة خلق النصب والسرقة وأخذ أموال الناس بالباطل، يقوم النظام الاقتصادي الإسلامي على الحق والهدي والرشاد وأن لا يظلم أحد من الناس ولو كان ضعيفاً.

وأضاف الدكتور فريز منفيخي يقول : -

سنرى معانى هذه الآيات الكريمة من خلال تفسير المراغي :

وأتموا الكيل إذا كلتم للناس أو اكتلتم عليهم لأنفسكم ، وأوفوا الميزان إذا وزنتم لأنفسكم فيما تباعون أو لغيركم فيما تبيعون فليكن كل ذلك وافياً تماماً بالعدل ولا تكونوا من أولئك المطففين . إذ أن الإيفاء يكون من الجانبيين حين البيع وحين الشراء فيرضى المرء لغيره ما يرضاه لنفسه ، قوله : **«بالقسط»** يدل على تحري العدل في الكيل والميزان حال البيع والشراء بقدر المستطاع ، وإن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا ما يسعها فعله ، بأن تأتيه بلا عسر ولا حرج فهو لا يكلف من يبيع أو يشتري الأقوات ونحوها أن يزنها أو يكيلها بحيث لا تزيد حبة ولا مثقالاً بل يكلفه أن يضبط الوزن والكيل له أو عليه سواء بحيث يعتقد أنه لم يظلم بزيادة ولا نقص يعتد بهما عرفاً ، والقاعدة الشرعية أن التكليف إنما يكون بما في وسع المكلف بلا حرج ولا مشقة عليه ولو اتبع المسلمين هذه الوصية وعملوا بها لاستقامت أمور معاملاتهم وعظمت الثقة والأمانة بينهم .

ثني الله بالأمر بإيفاء الكيل والميزان إذا باعوا ، والنهي عن بخس الناس أشياءهم إذا اشتروا بعد أن أمرهم بتتوحيد الله ، لأن ذلك كان فاشياً فيهم أكثر من سائر المعاishi ، ومن ثم تهتم به كما اهتم لوطن بنهي قومه عن الفاحشة التي كانت فاشية بهم ، فقد كانوا من المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس أو وزنوا عليهم لأنفسهم ما يشترون من المكيالت والموزونات يستوفون حقهم أو يزيدون عليه ، وإذا كالوهם أو وزنوه ما يباعون لهم يخسرون الكيل والميزان أي ينقصونه فيبخسونهم أشياءهم وينقصونهم حقوقهم .

والبخس يشمل نقص المكيل والموزون وغيرهما من المبيعات كالمواشي والأشياء المعدودة، ويشمل: البخس في المساومة والغش والحيل التي تنتقص بها الحقوق، وفي الحقوق المعنوية كالعلوم والفضائل، وقد فشا كل من هذين النوعين في هذا العصر، فكثير من التجار باخسون مطهفون فيما يبيعون وما يشترون، وكثير من المستغلين بالعلوم والأداب والسياسة بخاسون لحقوقبني جلدتهم مدعون للتفوق عليهم، منكرون لما خص الله به سواهم من المزايا والخصائص حسداً عليهم وبغيأ، وقد روى أن قوم شعيب كانوا إذا دخل عليهم الغريب يأخذون دراهمه ويقولون: هذه زيف فيقطعنها ثم يشترونها منه بالبخس أي بالنقصان.

﴿وَلَا تُبْخِسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم﴾ البخس: النقص في كل الأشياء، يقال: بخسه ماله وبخسه علمه وفضله أي لا ظلموا الناس أشياءهم وذلك يشمل ما للأفراد وما للجماعات من مكيل وموزون ومعدود ومحدود بحدود حسية وحقوق مادية أو معنوية.

﴿وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِين﴾، الإفساد تعطيل يشمل مصالح الدنيا وأمور الدين وأخلاق النفس وصفاتها، وكل ذلك فاشٍ في مجتمعنا، أي: لا تفسدوا في الأرض وأنتم تتعمدون الإفساد، وإنما اشتهرت في النهي تعمد الإفساد لأن بعض ما هو إفساد في الظاهر قد يراد به الإصلاح أو دفع أخف الضررين كما يقع في الحرب في قطع الأشجار.

ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحال خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الحرام إن كنتم مؤمنين به حق الإيمان، فالإيمان يظهر النفس من رذيلة الطمع ويجملها بفضيلة السخاء والكرم.

وأنموا الكيل للناس ولا تخسروهم إذا كلتم لهم حقوقهم قبلك، فإن كلامك لأنفسك فلا جناح عليكم إن نقصتم عن حقوكم ولم تفوا بالكيل وزنوا بالميزان العدل دون شيء من الجور أو الجيف، لأن جميع الناس محتاجون إلى المفاوضات والبيع والشراء، ومن ثم بالغ الشارع في المنع من التطفيف والنقصان سعيأ في إبقاء الأموال لأربابها، ثم بين عاقبة هذه الأوامر وحسن

مالها، فقال: ذلك خير أي إيفاؤكم بالعهد وإيفاؤكم من تكيلون له، وزنكم بالعدل أمن توفون له خير لكم في الدنيا من نكشم وبخسكم في الكيل والوزن لأن ذلك مما يرحب الناس في معاملتكم وحب الثناء عليكم، وذلك أجمل عاقبة لما يترتب على ذلك من الشواب في الآخرة والخلاص من العقاب الأليم، وكثير من الفقراء الذين اشتهروا بالأمانة والبعد عن الخيانة أقبلت عليهم الدنيا وحصل لهم الثروة والغنى وكان ذلك سبب سعادتهم فيها.

إذا بعتم للناس فكيلوا لهم الكيل كاملاً ولا تبخسون حقوقهم فتعطوه ناقصاً، وإذا اشتريتم فخذلوا كما لو كان البيع لكم وزنوا بالميزان السوي العدل، ثم عم النهي عن البخس في كل حق فقال: ولا تنقصوا الناس أشياءهم وحقهم في كيل أو وزن أو غيرهما كالمزروعات والمعدودات كأخذ بيض كبير وإعطاء بيض صغير وإعطاء رغيف صغير وأخذ رغيف كبير، وهكذا ثم نهاهم عن جرم أعظم شأنًا وأشد خطراً وهو الفساد في الأرض تجميع ضروريه وأشكاله فقال: لا تکثروا في الأرض الفساد بالقتل والغارة وقطع الطريق والسلب والنهب وغيرها، وبعد أن نهاهم عن ذلك خوفهم سطوة العجبار الذي خلقهم وخلق من قبلهم ممن كانوا أشد منهم بطشاً وعتواً.

وقد فسر العلماء الآية (١٨٣) من سورة الشعراء كما يلي : -

﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾. الآية (١٨٣) سورة الشعراء.

قال الإمام الطبرى^(١) : -

﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن.

(١) الإمام الطبرى - سورة الشعراء - الآية (١٨٣) ص ١٦٥ .

وقال الإمام الرazi^(١) :-

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْخِسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم﴾ يقال: بخسه حقه إذا نقصه إيه، وهذا عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم، وفي كل ملك أن لا يغصب مالكه ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفاً شرعاً.

كما قال الإمام القاسمي^(٢) :-

﴿وَلَا تُبْخِسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم﴾ أي تنقصوهم حقوقهم. قال الزمخشري: هو عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم، وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكه، ولا يتحيف منه، ولا يتصرف منه إلا بإذنه شرعاً.

وقال الشيخ المراغي^(٣) :-

أي ولا تنقصوا الناس حقهم في كيل أو وزن أو غيرهما كالمزروعات والمعدودات كأخذ بيض كبير وإعطاء بيض صغير، وإعطاء رغيف صغير وأخذ رغيف كبير وهكذا.

٢ - عدم الفساد في الأرض :-

أرسل الله عز وجل محمدأ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة للعالمين، وكانت معجزته القرآن الكريم... كما أرسل جميع أنبيائه ورسله لإصلاح وهداية البشر الذين يعيشون في الأرض، وذلك لكثرتهم أمراضهم الاجتماعية... وقد أرسل كل رسول ونبي إلى قوم أو قرية معينة، وأوضح لنا التاريخ الاقتصادي لقصص القرآن الكريم كثيراً من العظات وال عبر... وعندما نحلل فساد قوم شعيب عليه السلام في الأرض نأتي إلى ما يلي :-

(١) الإمام الرazi - سورة الشعرا - الآية (١٨٣) ص ١٦٢.

(٢) الإمام القاسمي - سورة الشعرا - الآية (١٨٣) ص ٤٢.

(٣) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعرا - الآية (١٨٣) ص ٩٨ م ١٢.

أ : ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَإِلَى مُذِينَ أَخْاْهِمْ شَعِيبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكِيلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخِسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين﴾ آية (٨٥).

وقد بين الله تعالى أن قوم شعيب فسدوا في الأرض بعدم الوفاء بالكيل والميزان وبيخس حقوق الناس وخيانتهم للناس في أموالهم بأخذها بغير حل، وهو نقص المكيال والميزان مكرأً وخفية، أي أن الصفات والأخلاقيات التي حرمتها الإسلام كانت من طبيعة قوم شعيب عليه السلام بالغش والحيل التي تتغتصب بحقوق الناس أي انتزاع الأموال بطرق ملتوية غير شرعية أو الكسب غير المشروع.

ب : ذكر الله تعالى في سورة هود: ﴿قَالَ يَا قَوْمَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾. الآية (٨٨).

أوضح الله تبارك وتعالي لنا من الآية الكريمة أن قوم شعيب كانوا ينتصرون وبيخسون في الكيل والميزان أي يربحون الأموال ويأخذونها على وجه البخس وهو نقص المكيال والميزان.. وهذه الأموال كسبوها بواسطة الغش التجاري والحيل والألاعيب التجارية التي نهى الله عنها وحرمتها ووصفها بالفساد في الأرض.

كما أوضحت لنا الآية الكريمة من قصة شعيب عليه السلام إن الله يرزق الرزق للعباد وأنه يوجد ما حلله الله من الرزق، وهو كما دلت عليه الآية الكريمة الرزق الحسن أي كسب الأموال بالطريقة الشرعية، وأن قوم شعيب عليه السلام رزقهم الله، ولكن مكسبهم كان حراماً عليهم لأنهم كسبوه بالبخس بالكيل والميزان، وهذا فساد في الأرض لأنظامة الله وشرعيته.

ج : ذكر الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَلَا نَقْعُدُ وَإِنَّ كُلَّ صِرَاطٍ ثُوَّدُونَ وَتَصْدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ أَمَنَ بِهِ، وَتَبْغُونَهَا عَوْجًا وَآذَكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عِقْبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ الآية (٨٦).

أوضح الله تعالى لنا من الآية الكريمة أن قوم شعيب كانوا يفسدون في الأرض وذلك بالكفر والظلم وأكل أموال الناس بالباطل والبغى والعدوان على الأنفس والقعود في الطرق والصد عن الطريق وأخذ المال بالقوة والجبر بدون أن يفعلوا شيئاً، وإفساد المجتمع بشيوع الإنحلال الخلقي، ويريدون الفساد في الأرض باعوجاجها ويصدون عن سبيل الله من آمن به . . . كل هذه المفاسد بيتها الآية الكريمة لقوم شعيب عليه السلام وقد نهانا الله عنها.

د : وكما أوضحنا سابقاً أن قوم شعيب عليه السلام أفسدوا في الأرض وسبيل بناء اقتصاد يقوم على أسس إسلامية سليمة لمعايشنا في الأرض لا يكون إلا بتطبيق شريعة الله وسنة نبيه وبعد عن جميع المفاسد التي حرمها الله علينا من غش وتلاعب في المكاييل والموازين والتجارة والأموال .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله^(١) . . .

وقوله تعالى : **﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾** ، قال أكثر المفسرين : لا تفسدوا فيها بالمعاصي ، والداعي إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إليها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله [فسد] ، فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم الفساد في الأرض ، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو الشرك بالله ، ومخالفة أمره . قال الله تعالى : **﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسْبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾** قال عطية في الآية : ولا تعصوا في الأرض فيما يمسك الله المطر ، وبهلك الحرف

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . . .
جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد المجلد ١٥ ص ٢٤ .

بمعاصيكم. وقال غير واحد من السلف: إذا قحط المطر فالدوااب تلعن عصاة بني آدم، فتقول: اللهم العنهم فبسببيهم أجدبت الأرض، وقحط المطر.

و «بالجملة» فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره، أو مطاع متبع غير الرسول ﷺ، هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره، والطاعة والإتباع لرسول الله ﷺ وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإن أمر بمعصيته فلا سمع ولا طاعة: فإن الله أصلح الأرض برسوله ﷺ ودينه، وبالأمر بالتوحيد، ونهى عن فسادها بالشرك به، ومخالفة رسوله ﷺ.

ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض، فسببه توحيد الله وعبادته، وطاعة رسوله ﷺ، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وبحث وتسليط عدو وغير ذلك: فسببه الرسول ﷺ والدعوة إلى غير الله، ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه، وفي غيره عموماً وخصوصاً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وورد في تفسير أفضلي العلماء للآية (٨٦) من سورة الأعراف، ما

يليه: - ﴿ وَلَا نَقْعُدُ وَأِكْلِ صِرَاطِي ثُوِّعُدُونَ ﴾.

قال الإمام ابن الجوزي^(١) -

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ ثُوِّعُدُونَ ﴾ أي: بكل طريق ﴿ توعدون﴾ من آمن بشعيب بالشر، وتحفونهم بالعذاب والقتل.

قوله تعالى: ﴿ وَتَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ أي: تصرفون عن دين الله من آمن به.

(١) الإمام ابن الجوزي - سورة الأعراف - الآية (٨٦) ص ٢٢٨ م ٣ .

وقال الإمام ابن كثير^(١) في كتابه البداية والنهاية عن ذلك: -

﴿ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ولا تقدعوا بكل صراط﴾ أي طريق ﴿توعدون﴾ أي تتوعدون الناس بأخذ أموالهم من مكوس وغير ذلك وتخيفون السبل، قال السدي في تفسيره عن الصحابة: ﴿ولا تقدعوا بكل صراط توعدون﴾، أنهم كانوا يأخذون العشور من أموال المارة... ﴿يحسون الناس﴾ يعني يعشرونهم وكانتوا أول من سن ذلك ﴿وتصدون﴾ عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً فنهاهم عن قطع الطريق الحسي الدنيوية والمعنوية الدينية.

وقال الإمام القاسمي^(٢) : -

﴿ولا تقدعوا بكل صراط توعدون﴾ نهى عن قطع الطريق الحسي. أي: لا تجلسوا على كل طريق فيه ممر الناس الغرباء، تضربونهم وتخوفونهم، وتأخذون ثيابهم، وتتوعدونهم بالقتل، إن لم يعطوكم أموالهم. قال مجاهد: كانوا عشرين - أخرجه أبو الشيخ. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي مثله. وعن ابن عباس وغير واحد أي تتوعدون المؤمنين الآتين إلى شعيب ليتبعوه.

واستطرد القاسمي فقال: جاء عن ابن كثير ﴿وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً﴾ أي: تصرفون عن دين الله وطاعته من آمن به وتبغونها عوجاً أي: تصرفون عن دين الله وطاعته من آمن بشعيب، وتطلبون لها عوجاً بإلقاء الشبه، ووصفها بما ينقصها لتغييرها ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ بالعدد والعدد، فاشكروا نعمة الله عليكم في ذلك: ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ أي: من الأمم الخالية والقرون الماضية، وما حل بهم من العذاب والنکال باجترائهم على معاصي الله وتکذیب رسله.

(١) البداية والنهاية - الحافظ بن كثير - سورة الأعراف - الآية (٨٦) ص ١٨٢ ، ج ١ .

(٢) الإمام القاسمي - سورة الأعراف - الآية (٨٦) ص ٢٠٣ م ٧ .

عدم العثو في الأرض: -

أوضح الله تعالى لنا أن قوم شعيب عليه السلام عثوا في الأرض فساداً، وقد فسر فضيلة الشيخ حسن بن محمد مخلوف، لا تعثوا أي لا تقدسوا أشد الإفساد، فالإنسان خلقه الله ليعيش في الأرض ويتبعد وليؤمن بالله الواحد الأحد ويطبق شريعة الله ويتصرف حسب ما بين الله لنا من أحكام وشرائع في القرآن الكريم . . .

ولهذا فإن تصرف قوم شعيب عليه السلام وفسادهم في الأرض يعتبر من الأشياء التي حرمتها الله علينا . . . وقد ذكر الله تعالى في ذلك من الآيات التي أوضحت فساد وعثو قوم شعيب في الأرض وهي كالتالي : -

في سورة العنكبوت :

﴿فَقَالَ يَقُولُونَ أَعْبَدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثُوْنَ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ . الآية (٣٦).

وفي سورة هود: ﴿وَيَقُولُونَ أَزْفُوا الْمِئَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوْنَ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ . الآية (٨٥).

وجاء في تفسير أفضل العلماء للآية (١٨٣) من سورة الشعراء بما يلي : -

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوْنَ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ١٨٣

وقوم شعيب عليه السلام لم يبخسوا الناس في الكيل والميزان ولم يعنوا في الأرض بالفساد فحسب، بل شاع في مجتمعهم الإنحصار والظلم والعدوان على الأنفس والأعراض وأكل أموال الناس بالباطل والبغى، وكذلك السرقة وشيوخ الرشوة بين الناس وقطع الطريق بالسلب والنهب وارتكاب الإثم والفواحش مما عجل بهلاكهم والتخلص من شرورهم وأصبحوا عبرة لغيرهم من أصحاب العقول السليمة والتفكير الصحيح.

وَفَسَرَ الْعُلَمَاءِ الْآيَةَ (٨٥) مِنْ سُورَةِ هُودَ بِمَا يَلِي : -

﴿ وَيَقُولُ أَوْفُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ^(٨٥)

قال ابن عطية^(١) :

﴿ تَعْنَوْا ﴾ معناه: تسعون في فساد، وكرر ﴿ مُفْسِدِينَ ﴾ على جهة التأكيد يقال: عثا يعشو أو عشي يعني، وعث يعث، وعاث يعني إذا أفسد ونحوه من المعنى. والعثة: الدودة التي تفسد ثياب الصوف^(٢).

وقال الإمام القرطبي^(٣) :

﴿ وَلَا تَعْشُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ بين الخيانة في المكيال والميزان مبالغة في الفساد في الأرض.

أما الإمام القاسمي^(٤) فقد قال:

أي لا تعلموا فيها بالفساد يعم أيضاً تنقيص الحقوق وغيره كالسرقة والشرك والدعاء إليه والصد عن الإيمان ونحوها.

وقال الإمام محمد رشيد رضا^(١) :

أي لا تفسدوا فيها حال كونكم متعمدين للإفساد، وهذا نهي آخر عام يشمل غير ما تقدم كقطع الطرق وتهديد الأمن والخروج على السلطان وقطع

(١) تفسير ابن عطية - المحرر الوجيز - أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ص ٣٧٧ م ٣٧٧.

(٢) في «اللسان»: العثة: السوسة أو الأرضة التي تلحس الصوف، والجمع: عث وعث.

(٣) الإمام القرطبي - سورة هود - الآية (٨٥) ص ٣٣١٣ .

(٤) الإمام القاسمي - سورة هود - الآية (٨٥) ص ١٥٢ م ٩ .

(١) الإمام محمد رشيد رضا - سورة هود - الآية (٨٥) ص ١٣٧ م ١٢ .

الشجر وقتل الحيوان وقيده بقصد الإفساد، لأن بعض ما هو إفساد في الظاهر قد يراد به الإصلاح أو دفع أخف الضرررين كالذي يقع في الحرب من قطع الأشجار أو فتح سدود الأنهر أو إحراق بعض الأشياء بالنار، ومنه خرق الخضر للسفينة التي كانت لمساكين يعملون في البحر لمنع الملك الظالم الذي وراءهم من أخذها إذا أعجبته، والإفساد تعطيل يشمل مصالح الدنيا وصفات النفس وأخلاقها وأمور الدين، وكل هذه المفاسد فاشية في هذا العصر.

وقال الشيخ مصطفى المراغي^(١) :

الإفساد تعطيل يشمل مصالح الدنيا وأمور الدين وأخلاق النفس وصفاتها، وكل ذلك فاشٍ في عصرنا أي لا تفسدوا في الأرض وأنتم تتعمدون الإفساد، وإنما اشترط في النهي تعمد الإفساد لأن بعض ما هو إفساد في الظاهر قد يراد به الإصلاح أو دفع أخف الضرررين، كما يقع في الحرب من قطع الأشجار أو فتح سدود الأنهر أو إحراق بعض الغابات، وكما فعل الخضر عليه السلام للسفينة التي كانت لمساكين يعملون في البحر لأجل منع الملك الظالم الذي وراءهم من أخذها إذا أعجبته. وهذا نهي عام يشمل غير ما سبق كقطع الطرق وتهديد الأمن وقطع الشجر وقتل الحيوان ونحو ذلك.

وقد فسر العلماء الأفضل الآية (١٨٣) من سورة الشعراة، كما

يليه :

﴿وَلَا تَعْثُرْ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

قال الإمام النسفي^(٢) :

لا تبالغوا فيها في الإفساد نحو قطع الطريق والغارة وإهلاك الزروع،

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٨٥) ص ٤٩ م .

(٢) الإمام النسفي - سورة الشعراة - الآية (١٨٣) ص ١٩٥ .

وكانوا يفعلون ذلك فنعوا عنه، يقال: عثا في الأرض إذا أفسد وعشى في الأرض لغة في عثا.

وجاء في تفسير الرازى^(١) :-

يقال: عثا في الأرض وعشى وعاث وذلك نحو قطع الطريق، والغاربة وإهلاك الرع. وكانوا يفعلون ذلك مع توليتهم أنواع الفساد فنعوا عن ذلك.

وورد في تفسير المجلس الأعلى للشئون الإسلامية^(٢) :-

أي بالقتل وقطع الطريق وارتكاب الموبقات وإطاعة الهوى. واحذروا عقوبة الله الذي خلقكم وخلق الأمم القوية العاتية المتقدمة.

وفيما يختص بتفسير العلماء للأية (٣٦) من سورة العنكبوت :-

﴿وَإِلَى مَدِينَتِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

قال الإمام الطبرى^(٣) :-

﴿وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، يقول: ولا تكثروا في الأرض معصية الله ولا تقيموا عليها ولكن توبوا إلى الله منها وأنبوا.

وقال الإمام القرطبي^(٤) :-

أي لا تفكروا فإنه أصل كل فساد. والعثو والعشي أشد الفساد. عثى

(١) الإمام الرازى - سورة الشراء - الآية (١٨٣) ص ١٦٣ .

(٢) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة (الم منتخب) - سورة الشراء - الآية (١٨٣) ص ٥٥٨ .

(٣) الإمام الطبرى - سورة العنكبوت - الآية (٣٦) ص ٩٥ م ١٢ .

(٤) الإمام القرطبي - سورة العنكبوت - الآية (٣٦) ص ٥٠٥٩ م ٦ .

بعشى وعشوا يعشوا بمعنى واحد. وقيل: «وأرجوا اليوم الآخر» أي صدقوا به فإن القوم كانوا ينكرونه.

وقال الإمام ابن كثير^(٣):

قوله تعالى: «وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ»، نهاهم عن العبث في الأرض بالفساد، وهو السعي فيها والبغى على أهلها، وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ويقطعون الطريق على الناس، هذا مع كفرهم بالله ورسوله فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها وعذاب يوم الظللة الذي أزهق الأرواح من مستقرها إنه كان عذاب يوم عظيم.

وقال الأستاذ سيد قطب^(١):

في هذا القصص تمثل ألوان من الفتنة، ومن الصعب والعقبات في طريق الدعوة.. وفي قصة شعيب عليه السلام مع مدین يتبدى الفساد والتمرد على الحق والعدل، والتکذیب فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين.

كما قال الإمام القاسمي^(٢) في ذلك:

«وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» أي بالقتل والغارة وقطع الطريق والجور والظلم وأكل أموال الناس بالباطل.

وقال الشيخ المراغي^(٤):

نهى شعيب عليه السلام قومه عن جرم أعظم شأنًا وأشد خطراً، وهو

(١) الإمام ابن كثير - سورة العنكبوت - الآية (٣٦) ص ٣٥ م ٨ .

(٢) الأستاذ سيد قطب - سورة العنكبوت - الآية (٣٦) ص ٢٧٢٧ م ٤ .

(٣) الإمام القاسمي - سورة الشعرا - الآية (١٨٣) ص ٤٢ .

(٤) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعرا - الآية (١٨٣) ص ٩٨ م ١٢ .

الفساد في الأرض بجميع ضروره وأشكاله فقال: «وَلَا تعشوا في الأرض مفسدين» أي ولا تكثروا فيها الفساد بالقتل والغارة وقطع الطريق والسلب والنهب ونحوها. وبعد أن نهادهم عن ذلك خوفهم سطوة الجبار الذي خلقهم وخلق من قبلهم ممن كانوا أشد منهم بطشاً وعتواً.

فقد شرح الدكتور محمد فريز منفيحي^(١) في كتابه: «النظام الاقتصادي القراني»

معنى العشو في الأرض، فقال: -

الإفساد: تعطيل يشمل مصالح الدنيا وأمور الدين وأخلاق النفس وصفاتها، وكل ذلك فاش في مجتمعنا أي لا تفسدوا في الأرض وأنتم تعمدون الإفساد، وإنما اشترط في النهي تعمد الإفساد لأن بعض ما هو إفساد في الظاهر قد يراد به الإصلاح أو دفع أخف الضرر كـما يقع في الحرب في قطع الأشجار.

ذكر الله تعالى في سورة هود عن عدم نقص المواريث والمكاييل -

الآلية (٨٤) :

﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُ وَاللَّهُ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٌ غَيْرِهِ وَلَا تَنْقُصُوا أَلْمَحْكَيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَدُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي لَأَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾^(٢) .
قال الإمام الزمخشري في^(١) ذلك: -

«إنني أراكם بخير» يريد بشارة وسعة تغريككم عن التطفيق، أو أراكם بمعنة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون، أو أراكם بخير فلا تزيلاه عنكم بما أنتم عليه.

«يوم محيط» مهلك من قوله - وأحيط بشمره - وأصله من إحاطة

(١) الدكتور محمد فريز منفيحي - النظام الاقتصادي القراني - ص ١١٢١ .

(٢) الإمام الزمخشري الخوارزمي - الكشاف - سورة هود - من الآية (٨٤) ص ٢٨٤ . ٢٩١

العدو. فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه... .

فإن قلت: النهي عن النقصان أمر بالإيفاء فما فائدة قوله: أوقفوا؟

قلت: نهوا أولاً عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لأن في التصريح بالقبيح نعيًا على المنهى وتعبيرًا له، ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصريحاً بلفظه لزيادة ترغيب فيه ويعتبر عليه وجيه به مقيداً بالقسط: أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمراً بما هو الواجب لأن ما جاوز العدل فضل، وأمر مندوب إليه، وفيه توقف على أن الموفى عليه أن ينوي بالوفاء القسط، لأن الإيفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل فهذه ثلاثة فوائد. البخس: الهضم والنقص، ويقال للمكس: البخس، وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئاً كما تفعل السمسارة أو كانوا يمكسنون الناس أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء، فنهوا عن ذلك، والعتو في الأرض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل، ويجوز أن يجعل التطفيض والبخس عثياً منهم في الأرض.

وجاء في قول الإمام القرطبي^(١) ما يلي : -

﴿ولَا تنقصوا المكيال والميزان﴾ كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيض، وكان إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون وظلموا، وإن جاءهم مشترٌ للطعام باعوه بكيل ناقص. وشحعوا له بغاية ما يقدرون فأمرروا بالإيمان إقلالاً عن الشرك، وبالوفاء نهياً عن التطفيض. ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بَخِيرًا﴾ أي في سعة من الرزق وكثرة من النعم. ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيدٍ﴾ وصف اليوم بالإحاطة... وهو كقولك يوم شديد أي شديد حرّه. وختلف في ذلك العذاب فقيل: هو عذاب النار في الآخرة.

وقيل: عذاب الاستئصال في الدنيا، وقيل: غلاء السعر، روى معناه

(١) الإمام القرطبي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ٣٣١٥.

عن ابن عباس، وفي الحديث عن النبي ﷺ:

«ما أظهر قوم البخس في المكيال والميزان إلا باترهم الله بالقحط والغلاء».

وقال الإمام ابن كثير^(١):

أي لا تركبوا ما أنتم عليه وتستمروا فيه فيمحق الله بركة ما في أيديكم ويفقركم ويذهب ما به يغنينكم، وهذا مضاف إلى عذاب الآخرة، ومن جمع له هذا فقد بالصفقة الخاسرة فنهاهم أولاً عن تعاطي ما لا يليق من التطفيف وحذرهم سلب نعمة الله عليهم في دنياهم وعذابه الأليم في آخرتهم وعنفهم أشد تعنيف.

وقال الإمام المراغي^(٢):

جرت سنة الأنبياء أن يبدعوا بالدعوة إلى التوحيد لأنه جذر شجرة الإيمان، ثم يتبعونه، فالآهـم بالأهـم فيما يرون لدى أقوامهم، ومن ثم ثنى بالنهـي عن نقص الكيل والميزان لأن أهـل مدـين اعتادوا ذلك فقال: ﴿وَلَا تُنْقُصُوا الْمِكَافَلَ وَالْمِيزَانَ﴾... أي ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيالـكم وميزانـكم كما هي عادتكـم، وقد جاء مثل هذا النهي في قوله: ﴿وَإِلَيْهِ لِمَطْفَفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالَوْهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يَخْسِرُونَ﴾ أي ينقصـون، ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ أي إنـي أراكـم بثروـة وسـعة في الرـزق تغـنيـكم عن الدـنـاءـةـ في بـخـسـ حـقـوقـ النـاسـ وأـكـلـ أـموـالـهـ بـالـبـاطـلـ مما تـنـقـصـونـ لـهـمـ مـنـ الـمـيـعـ بـمـكـيلـ أوـ مـوزـونـ وـكـانـوا تـجـارـاـ مـطـفـفـينـ إـذـا اـكـتـالـوا عـلـىـ النـاسـ يـسـتـوـفـونـ، وـإـذـاـ كـالـوـهـمـ أـوـ وـزـنـوـهـمـ يـنـقـصـونـ الـمـكـافـلـ وـالـمـيزـانـ. إـلاـ أـنـ فيـ هـذـاـ كـفـرـاـ لـنـعـمـةـ اللهـ عـلـيـكـمـ إـذـ كـانـ يـجـبـ عـلـيـكـمـ شـكـرـانـهاـ بـالـزـيـادـةـ عـلـىـ سـبـيلـ الصـدـقةـ وـالـإـحسـانـ.

(١) الإمام ابن كثير - سورة هود - الآية (٨٤) ص ١٨٥ ج ١ (البداية والنهاية) الحافظ بن كثير.

(٢) الإمام المراغي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ٤٧ م ١٢ .

وإنني أخاف عليكم عذاب يوم محيطٍ^١ أي وإنني أخشي عليكم يوماً يحيط بكم عذابه إذا أنتم أصررتם على شكركم بالله بعبادة غيره وكفرتم بنعمه بنقص المكياں والمیزان... .

وهذا العذاب إما في الدنيا بعد عذاب الإستصال وإما في يوم القيمة.

وقال الشيخ محمود حجازي^(١):

قال لهم: يا قومي ويا أهلي - وهذا مما يدعوا إلى الإستجابة والقبول - اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، مالكم إله غيره يتصرف بما اتصف به الله جل شأنه حتى يبعد، ألسنت معنـي في أن الرسـل جمـعاً متفقـون في طلب عبادة الله وحده؟ أما الأمـور العمـلية فـكل يـعالج نـاحـية الـضـعـفـ فيـ أـمـتهـ، ولـذـا قالـ شـعـيبـ، يـا قـومـي اـعـبـدـوا اللهـ وـلـاـ تـنـقـصـواـ الـكـيلـ وـالـمـیـزانـ فـيـماـ تـبـیـعـونـ، وـکـانـواـ إـذـاـ اـکـتـالـواـ عـلـىـ النـاسـ يـسـتوـفـونـ وـإـذـاـ کـالـوـهـمـ أوـ زـنـوـهـمـ يـخـسـرـونـ أيـ يـنـقـصـونـ، أـلـاـ يـظـنـ أـوـلـئـكـ أـنـهـمـ مـبـعـثـوـنـ وـمـحـاسـبـوـنـ؟ اـمـتـلـوـاـ الـأـمـرـ وـاجـتنـبـواـ النـهـيـ لـأـنـيـ أـرـاـكـمـ بـخـيرـ وـعـافـيـةـ وـغـنـيـ وـسـعـةـ، وـهـذـاـ يـدـعـوـ إـلـىـ شـكـرـ اللهـ وـامـتـشـالـ أـمـرـهـ وـلـأـنـيـ أـخـافـ عـلـىـكـمـ عـذـابـ إـذـاـ أـنـتـمـ أـصـرـرـتـمـ عـلـىـ الـعـصـيـانـ. كما ذكر الله تعالى في سورة هود عن الوفاء في الموازين والمكاييل، الآياتان (٨٥)، (٨٦).

﴿ وَيَقُولُ أَوْفُوا الْمِكَيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوْفُ الْأَرْضَ مُفْسِدِينَ ﴾٨٥
﴿ بِقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنْعَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾٨٦﴾.

قال الإمام الطبرى^(٢) :

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول شعيب لقومه: أوفوا الناس الكيل والميزان بالقسط، يقول: بالعدل، وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التي هي

(١) الشيخ محمود حجازي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ٣٧ ج ٧.

(٢) الإمام الطبرى - سورة هود - الآية (٨٥) ص ٦٠ - ٩ ، الآية (٨٦).

نقص... قوله: ﴿وَلَا تبخسوا النَّاسَ أَشْياءهُم﴾ يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم التي يجب عليكم أن توفرهم كيلاً أو وزناً أو غير ذلك.

قوله تعالى: ﴿بِقِيَةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾ يعني تعالى ذكره قوله: بقية الله خير لكم ما أبقاه الله لكم بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط يقول بالعدل، وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التي هي بما يقال فعله لكم خير لكم من الذي يبقى لكم بيخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال إن كنتم مؤمنين، يقول: إن كنتم مصدقيين وبعد الله ووعيده وحلاله وحرامه.

وقال الإمام ابن كثير^(١) :-

ينهاهم أولاً عن نقص المكيال والميزان إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين، ونهاهم عن العشو في الأرض بالفساد، وقد كانوا يقطعون الطريق، وقوله: ﴿بِقِيَةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُم﴾، قال ابن عباس: رزق الله خير لكم، وقال الحسن: رزق الله خير من بخسكم الناس.. وقال البربيع بن أنس: وصية الله خير لكم، وقال مجاهد: طاعة الله، وقال قتادة: حظكم من الله خير لكم، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الهلاك في العذاب والبقاء في الرحمة، وقال أبو جعفر بن جرير: ﴿بِقِيَةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُم﴾ أي ما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس، قال: وقد روى هذا عن ابن عباس قلت: ويشبه قوله تعالى ﴿قُلْ لَا يُسْتَوِي الْخَيْرُ وَالْطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَ كُثْرَةُ الْخَيْرِ﴾.

كما قال الإمام المزاغي^(٢) ما يلي :-

﴿وَيَا قَوْمَ أَوْفُوا الْمُكَيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ أي: ويا قوم أتموهما بالعدل بلا زيادة ولا نقصان. وقد أمرهم بالواجب بعد أن نهاهم عن ضده لتأكيده وللتنبيه إلى كون عدم التعمد للنقص لا يكفي لتحرى الحق، بل

(١) الإمام المزاغي - سورة هود - الآية (٨٥) ص ٤٩ م ١٢ .

(٢) الإمام ابن كثير - سورة هود - من الآية (٨٤ حتى ٨٥) ص ٤٥٥ .

يجب معه تحري الإيفاء بالعدل والسوية من غير زيادة ولا نقص وإن كان التيقن من ذلك لا يكون إلا بزيادة طفيفة، وتعتمد她的 في الكيل والوزن للناس سخاء وفضيلة يمدح فاعلها عليها. وفي الاكتيال أو الوزن عليهم طمع فهو رذيلة مذمومة.

وجاء في تفسير الشيخ محمود حجازي :-

ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط والعدل، وهذا أمر بالواجب بعد النهي عن ضده لتأكيده وتبينه على أنه لا بد منها قصداً، ولا تنقصوا الناس أشياءهم في كيل أو وزن أو عد في حق حسي أو معنوي، ولا تعيبوا شيئاً لا يستحق العيب، ولا تفسدوا في الأرض بأي نوع من الفساد حالة كونكم قاصدين له، واعلموا أن ما يقيمه الله لكم بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر بركة وأحمد عاقبة مما تبقوه لأنفسكم من تطفيق في الكيل أو نقص في الميزان وصدق الله: ﴿بِقِيَةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

قال الله تعالى في سورة الشعراء عن الوفاء بالوزن، الآيات (١٨٠)

حتى (١٨٢) :-

﴿وَمَا أَسْلَكْمُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٨٠ أَوْفُوا الْكِيلَ
وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ١٨١ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ١٨٢﴾.
قال الشيخ المراغي^(١) :-

وبعد أن نصحهم بتلك النصائح وعظهم بعظة أخرى، فنهاهم عن نقية كانت شائعة بينهم وهي التطفيق في الكيل والميزان، فقال: ﴿أَوْفُوا
الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾، أي إذا بعتم للناس فكيلوا لهم الكيل
كاماً ولا تخسروهم حقهم فتعطوه ناقصاً، وإذا لشرتريم فخذلوا كما لو كان

(١) الشيخ محمود حجازي - سورة هود - الآية (٨٥) ص ٣٩ ج ١٢ .

(٢) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الشعراء - الآيات (١٨٠ - ١٨٢) ص ٩٨
م ١٢ .

البيع لكم. وخلاصة ذلك - خذوا كما تعطون، وأعطوا كما تأخذون.

﴿وَزَنَّا بِالْقَسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي وزنا بالميزان السوي العدل، وقد جاء في سورة المطففين مثل هذا مع التحذير منه فقال: ﴿وَيْلٌ لِلْمَطْفَفِينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يَخْسِرُونَ أَلَا يَظْنُ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ثم عمم النهي عن البخل في كل حق.

وقال الشيخ محمود حجازي^(٢) :-

وقال شعيب لقومه: ﴿أَلَا تَتَقَوَّنُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونَنِي وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ... كما قال أخوه نوح وهود وصالح، لاتفاقهم جميعاً على الأمر بالتقى، والطاعة والإخلاص في العبادة، والإمتناع منأخذ الأجر على تبلغ الرسالة، وعلى تحملهم المشاق والصعاب رجاء مثوبة رب العالمين لهم يوم القيمة، وهكذا أصحاب الدعوات لا يرجون بعملهم جزاء ولا شكوراً من العبد، ولا يبغون بها مالاً ولا جاهًا ولا رياضة كاذبة، وإلا كانوا كعلماء اليهود اشتروا الضلاله بالهدى وباعوا الباقيه بالفانيه... اتفق جميع الأنبياء في الأمور العامة للرسالات، ثم أخذ كلنبي يعالج المرض الشائع عند قومه، ولذا رأينا هوداً يقول منكراً على قومه أنهم يعيشون بينائهم وأنهم طامعون في الدنيا حتى كأنهم مخلدون، وأنهم يطشون بطش الجبارين، وقال صالح منكراً على قومه: أتنتحتون من الجبال بيوتاً فارهين؟ وقال لوط: أتأتون الذكور من الناس وتتركون النساء من الأزواج؟.

التحليل الاقتصادي :-

١ - بين الله تعالى أحد الجوانب الاقتصادية في نظام الموازين والمكاييل وهو نقص كل منها حيث عرف قوم شعيب بهاتين الصفتين، كما

(٢) الشيخ محمود حجازي - سورة الشعراء - الآيات (١٨٠ حتى ١٨٢) ص ٦٩ ج ١٩.

أوضحت بذلك الآية الكريمة، وعلى ضوء هذا فإن النقص في الميزان أو المكيال يعتبر من حدود الله التي حرمتها علينا في معايشنا مهما كان السبب حتى لو كان من أجل الزيادة في الربح أو الدخل الخاص أو رأس المال فهذا حرام لأن الأرباح والدخول الناتجة من نقص الميزان أو المكيال هي في النهاية مخالفة لحدود الله تعالى والتي نهانا عنها وحرمتها علينا.

٢ - إن الوفاء في الكيل أو الميزان هو أحد المفاهيم الاقتصادية في تعاملاتنا المعيشية بإعطاء أصحاب الحق حقوقهم وذلك بإيفاء الوزن، فهذا يحقق المدلول الاقتصادي والمالي بالتوزن بين قيمة الموزون والسعر الحقيقي له، وتحديد القيمة الحقيقة التي حددها الله تعالى بالحق والعدل وإيفاء الميزان ليسود العدل بين الناس ويصبح سعر السلعة موازياً لقيمتها الحقيقة، وبالتالي يعكس ذلك على الحياة الاقتصادية، ويكون المدخل الشخصي حلالاً بعيداً عن أي شائبة قد تعبيه من جراء الغش والخداع... كما تطمئن النفوس وتتنعش الأسواق ويعم الإستقرار الاقتصادي للدولة، وهذا هو المفهوم الاقتصادي في الإسلام عن الموازين والمكيائل.

٣ - إن الوفاء في الكيل والميزان هو حدود الله وتعاليمه والطريق إلى بناء اقتصاد إسلامي على هدى من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ... فالوفاء بالكيل بإعطاء العدل القيمة الحقيقة لثمن السلعة ومن أجل التجارة الشريفة والإقتصاد السليم والمال الحلال بعيداً عن الإحتكار أو الغش التجاري.

٤ - إن حدود الله في الكيل والميزان بأن نلتزم بالوفاء بهما وفي كيلنا أو ميزاننا، أي أن الوفاء والحق والعدل هو من السمة الأساسية في بناء مجتمع اقتصادي إسلامي يسوده الإستقرار، وقد عرف النبي ﷺ بالأمين أي الوفي الذي يعطي كل ذي حق حقه، وغير ذلك من الأخلاق التي تثير لنا الطريق الاقتصادي السليم... فمن هذه السمات الاقتصادية

في الإسلام وسيرة الرسول العطرة نجد أن الأمانة مرتبطة ارتباطاً كلياً بالدائرة الاقتصادية للشخص وهي السمعة التجارية، وبالتالي فإن الوفاء والعدل والحق، وكل هذه السمات الإسلامية التي تزيد سمعة الشخص الاعتبارية في مجال التجارة، ومن ثم ينعكس عليه في تعامله مع الأشخاص سواء المستهلكين أو التجار، الأمر الذي يؤدي إلى الاستقرار الاقتصادي وانتعاش التجارة والأسواق.

٣ - الإصلاح في الأرض: -

أوضحنا في السابق كيف كان فساد قوم شعيب عليه السلام كما ذكر الله تعالى في سورة هود . . .

«قَالَ يَنْقُوْمِ أَرَءَيْتَمِ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بِنَّتِي مِنْ رَّقِيْ وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» (٨٨). الآية (٨٨).

وقد دعا شعيب عليه السلام قومه للإصلاح ونهام عن ارتكاب المعاصي والفساد في الأرض ووعظهم بإصلاح مجتمعهم والبعد عن جميع المحظورات والمنهيات التي حرمها الله علينا . . . وحذرهم من ارتكاب المعاصي ومخالفة أمر الله فهو مهلكم نظير ما فعلوا من فساد في الأرض. ولهذا، فمن خلال قصة شعيب عليه السلام عرفنا أنه قبل أن نبدأ

بإصلاح مجتمعنا يستلزم إصلاح أنفسنا وقلوبنا بطاعة أمر الله واتباع كتابه العزيز وسنة نبيه وبعد عن كل المحرمات والفساد في الأرض ليكون إصلاحنا مبنياً على أسس إسلامية في الاقتصاد . . . فينعكس ذلك على معايشنا وأرزاقنا ومعاملاتنا في الأموال والتجارة.

وقد ورد في كتاب ابن تيمية^(١) عن معنى كلمة الصلاح... ما

يلي:-

الصلاح: التوحيد والإيمان، وأصل الفساد: الشرك والكفر. كما قال عن المنافقين: «إذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض قالوا: إنما نحن مصلحون. ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون»، وذلك إن صلاح كل شيء أن يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذي يراد منه؛ ولهذا يقول الفقهاء: العقد الصحيح ما ترب عليه أثره وحصل به مقصوده. وال fasad ما لم يترتب عليه أثره ولم يحصل به مقصود. وال الصحيح المقابل لل fasad في اصطلاحهم هو الصالح.

وقد فسر أفضل العلماء الآية (٩٣) من سورة الأعراف بما يلي:-

﴿وَنَصَّحَتُ لَكُمْ فَكَيْفَ مَأْسَى عَلَىٰ قَوْمٍ كَفَرُوا﴾.

قال الإمام الطبرى^(٢) ما يلي:-

يقول تعالى ذكره فأدبر شعيب عنهم شاخصاً من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله وقال لما أبى نزل نعمة الله بقومه الذين كذبوا حزناً عليهم يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى وأديت إليكم ما بعثني به إليكم من تحذيركم غضبه على إقامتكم على الكفر به وظلم الناس أشياءهم، ونصحت لكم بأمرى إياكم بطاعة الله ونهيكم عن معصيته «فكيف آسي» يقول: فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وأتوا جمع لهم.

(١) الإمام ابن تيمية - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (الحادي).

(ج) جمع وترتيب عبد الرحمن بن القاسم وابنه محمد) ص ١٦٣ - ١٨ م

(٢) الإمام الطبرى - سورة الأعراف - الآية (٩٣) ص ١٦٨ م ٤ .

وقال الإمام الرazi (٢) :-

قال تعالى: **﴿فَتُولِّي عَنْهُمْ﴾** وانختلفوا في أنه تولى بعد نزول العذاب بهم أو قبل ذلك، ثم قال: **﴿فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾** الأسى شدة الحزن .

القول الأول: أنه اشتد حزنه على قومه، لأنهم كانوا كثيرين، وكان يتوقع منهم الإستجابة للإيمان، فلما أن نزل بهم ذلك الهلاك العظيم، حصل في قلبه من جهة الوصلة والقرابة والمحاورة وطول الألفة... ثم عزى نفسه وقال: **﴿فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾** لأنهم هم الذين أهللوكوا أنفسهم بسبب إصرارهم على الكفر.

والقول الثاني: أن المراد لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم، فلم تسمعوا قولي، ولم تقبلوا نصيحتي: **﴿فَكَيْفَ آسَى عَلَيْكُمْ﴾** يعني أنهم ليسوا مستحقين بأن يأسى الإنسان عليهم.

اعلم أنه تعالى لما عرفنا أحوال هؤلاء الأنبياء وأحوال ما جرى على أممهم كان من الجائز أن يظن أنه تعالى ما أنزل عذاب الإستصال، إلا في زمن هؤلاء الأنبياء فقط، فبين في هذه الآية أن هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم، وبين العلة التي بها يفعل ذلك.

وقال الشيخ مصطفى المراغي (٢) :-

فأدبر شعيب عنهم وخرج من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله ، وقال حزناً عليهم : يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى وأديت إليكم ما بعثني به إليكم .

﴿فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾، أي فكيف أحزن على قوم كافرين؟ أي فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله

(١) الإمام الرazi - سورة الأعراف - الآية (٩٣) ص ١٨٧ م ١٢ .

(٢) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الأعراف - الآية (٩٣) ص ٢٢٦ ج ٩ .

وأتوjud لـهـلاـكـهـمـ بـعـدـ أـنـ أـعـذـرـتـ إـلـيـهـمـ وـبـذـلـتـ جـهـدـيـ فـيـ سـبـيلـ هـدـاـيـتـهـمـ وـنـجـاتـهـمـ فـاخـتـارـواـ مـاـ فـيـ هـلاـكـهـمـ،ـ وـإـنـماـ يـأسـىـ مـنـ قـصـرـ فـيـمـاـ يـجـبـ عـلـيـهـ مـنـ الصـحـ وـالـإـنـذـارـ.

بعد أن ذكر سبحانه حال الأمم السابقة مع أنبيائها وبين ما في قصصهم من العظة والعبرة، فقد كانت العاقبة في كل حال للمتقين، والدائرة تدور على المبطلين.

وأشار هنا إلى سنة الله في الأمم التي تكذب رسالتها أن ينزل بها المؤمن وشظف العيش وسوء الحال في دنياهם ليتضرعوا إلى ربهم وينبئوا إليه بالإقلال عن كفرهم والتوبة من تكذيب أنبيائهم، وفي هذا من التحذير لقريش والتخويف لهم ما لا يخفى.

ثم ذكر أنه بدل الرخاء بالمؤمن ليعتبروا ويشكروا، لكنهم لم يفعلوا فأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وتفسیر الآية رقم (٨٨) من سورة هود والتي تحدثت عن رغبة وهدف شعيب في الإصلاح:

قال الإمام الزمخشري^(١) : -

﴿ قَالَ يَقُولُ أَرَءَ يَسْمِّيْنَ كُنْتُ عَلَى بَيْنَتَهُ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا أَخَالَفُكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا إِلَاصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوَفَّيْقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكِّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ . (٨٨)

إصلاح ما استطعت (وما توفيقي إلا بالله) وما كوني موفقاً لإصابة الحق فيما (إن أريد إلا الإصلاح) ما أريد إلا أن أصلحكم بمعظمي وما دمت متمكناً منه لا ألوأ فيه جهداً من الإصلاح: أي المقدار الذي استطعته منه، ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف على قوله: إلا الإصلاح

(١) الإمام الزمخشري - سورة هود - الآية (٨٨) ص ٢٨٨ .

آتني وأذر وقوعه موافقاً لرضا الله إلا بمعونته وتأييده، والمعنى: إنه استوفق ربه في إمضاء الأمر على سنته وطلب منه التأييد والإظهار على عدوه، وفي ضمنه تهديد الكفار وجسم لأطماعهم فيه.

وقال الإمام ابن الجوزي^(١): -

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخْلَفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾، قال قتادة: لم أكن لأنهاكم عن أمر ثم ارتكبه، وقال الزجاج: ما أقصد بخلافكم القصد إلى ارتكابه.

قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ أي: ما أريد بما أمركم به إلا إصلاح أموركم بقدر طاقتى. وقدر طاقتى: إبلاغكم لا إجباركم.
أما الإمام الرازى^(٢) فقال: -

من الوجوه التي ذكرها شعيب عليه السلام فهو قوله: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾، والمعنى: ما أريد إلا أن أصلحكم بموعيظى ونصيحتى، وقوله: ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ فيه وجوه:
الأول: التقدير مدة استطاعتي للإصلاح ما دمت متمكناً منه لا آلوا فيه جهداً. والثانى: أي المقدار الذى استطعت منه، والثالث: أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه.

فكأنه عليه السلام قال لهم: إنكم تعرفون من حالي إنني لا أسعى إلا في الإصلاح وإزالة الفساد والخصومة... فلما امرتكم بالتوحيد وترك إيذاء الناس فاعلموا أنه دين حق وأنه ليس غرضي منه إيقاع الخصومة وإثارة الفتنة. فإنكم تعرفون إنني أبغض ذلك الطريق ولا أدور إلا على ما يوجب الصلح والصلاح بقدر طاقتى... وذلك هو الإبلاغ والإذار، وأما الإجبار على الطاعة فلا أقدر عليه. ثم إنه عليه السلام أكد ذلك بقوله: ﴿وَمَا تُوفِّقُ إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، وبين بهذا أن توكله واعتماده في

(١) الإمام ابن الجوزي - سورة هود - الآية (٨٨) ص ٩٠ م ٤ ج ١٠.

(٢) الإمام الرازى - سورة هود - الآية (٨٨) ص ٤٥ م ٦ ج ١٨.

تنفيذ كل الأعمال الصالحة على توفيق الله تعالى وهدايته.

وأما قوله: **﴿وإيه أنيب﴾** فهو إشارة إلى معرفة المعاد. وهو أيضاً يفيد الحصر، لأن قوله: **﴿وإليه أنيب﴾** يدل على أنه لا مرجع للخلق إلا إلى الله تعالى وعن رسوله ﷺ إنه كان إذا ذكر شعيب عليه السلام قال: «ذاك خطيب الأنبياء». لحسن مراجعته في كلامه بين قومه.

وقال الإمام أبو السعود^(١):

﴿إن أريد إلا الإصلاح﴾ أي ما أريد بالأمر والنهي إلا الإصلاح لكم ودفع الفساد في دينكم ومعاملاتكم **﴿ما استطعت﴾** ما بلغت إليه استطاعتي وتمكنت منه طاقتني.

﴿إن أريد﴾ أي ما أريد بما أباشره من الأمر والنهي، **﴿إلا الإصلاح﴾** إلا أن أصلحكم بالنصيحة والوعظة، **﴿ما استطعت﴾** أي مقدار ما استطعته من الإصلاح والتقيي، به للإحتراز عن الإكتفاء بالإصلاح في الجملة لا عن إرادة ما ليس في وسعه منه، **﴿وما توفيق﴾** أي كوني موفقاً لتحقيق ما أنتحية من إصلاحكم. **﴿إلا بالله﴾** أي بتأييده ومعونته بل الإصلاح من حيث الخلق مستند إليه سبحانه، قاله عليه السلام تحقيقاً للحق وإزاحة لما عسى يوهمه إسناد الإستطاعة إليه بإرادته من استبداده بذلك، **﴿عليه توكلت﴾** في ذلك معرضاً عما عداه فإنه القادر على كل مقدور، وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبه الإستعداد به والإستظهار، **﴿وإليه أنيب﴾** أي أرجع فيما أنا بصدده.

وقال الشيخ سيد قطب^(٢):

﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت﴾ الإصلاح العام للحياة والمجتمع

(١) الإمام أبو السعود - سورة هود - الآية (٨٨) - ص ٢٣٤ م ٤.

(٢) الشيخ سيد قطب - سورة هود - الآية (٨٨) - ص ١٩١٩ ج ١٢.

الذى يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه وإن خيل إلى بعضهم أن اتباع العقيدة والخلق يفوت بعض الكسب الشخصي ويضيع بعض الفرص، فإنما يفوت الكسب الخبيث ويعوض عنهم كسباً طيباً ورزقاً حلالاً ومجتمعاً متضامناً متعاوناً لا حقد فيه ولا غدر ولا خصام. ويتلطف شعيب تلطف صاحب الدعوة الواثق من الحق الذى معه، ويعرض عن تلك السخرية لا يباليها وهو يشعر بقصورهم وجهلهم... يتلطف في إشعارهم أنه على بيته من ربه كما يجده في ضميره وقلبه وإنه على ثقة مما يقول لأنه أotti من العلم ما لم يؤتوا، وأنه إذ يدعوهם إلى الأمانة في المعاملة سيتأثر مثلهم بنتائجها لأنه مثلهم ذو مال وذو معاملات، فهو لا يبغي كسباً شخصياً من وراء دعوته لهم فلن ينهاهم عن شيء لم يفعله هو لتخلو له السوق إنما هي دعوة الإصلاح العامة لهم وللناس وليس فيما يدعوهם إليه خسارة عليهم كما يتوهمون.

وفسر بعض العلماء الآية (٨٥) من سورة الأعراف بما يلي : -

«وَلَا نُفْسِدُ وَأَنْتَمْ أَرْضٌ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ» .

يقول الإمام الطبرى^(١) : -

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: **هُوَ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**، يقول: ولا تعملوا في أرض الله بمعاصيه وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله إليكم نبيه من عبادة غير الله والإشراك به وبخس الناس في الكيل والوزن **«بَعْدَ إِصْلَاحِهَا»** يقول: بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبي عليه السلام فيكم ينهاكم عما لا يحل لكم وما يكرهه الله لكم، **هُذِّلْكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ**، يقول هذا الذي ذكرت لكم

(١) الإمام الطبرى - سورة الأعراف - الآية (٨٥) - ص ١٦٦ م ٥ .

(٢) الإمام الرازى - سورة الأعراف - الآية (٨٥) - ص ١٧٥ م ١٢ .

وأمرتكم به من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وإيفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن وترك الفساد في الأرض خير لكم في عاجل دنياكم وأجل آخرتكم عند الله يوم القيمة: «إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ»، يقول: إن كنتم مصدقين فيما أقول لكم وأؤدي إليكم عن الله من أمره ونهيه.

وقال الإمام الرazi (٢) :-

لما كان أخذ أموال الناس بغير رضاها يوجب المنازعات والخصومة،
وهما يوجبان الفساد، لا جرم قال بعده: «ولا تفسدوا في الأرض بعد
إصلاحها». والمعنى: خير لكم في الآخرة إن كتم مؤمنين بالأخرة،
والمراد: ترك البعض وترك الإفساد خير لكم في طلب المال في المعنى لأن
الناس إذا علموا منكم الوفاء والصدق والأمانة، رغبوا في المعاملات معكم،
فكثرت أموالكم «إن كتم مؤمنين» أي إن كتم مصداقين لى في قولى.

أعلم أن شعيباً عليه السلام ضم إلى ما تقدم ذكره من التكاليف الخمسة أشياء، فال الأول: أنه منعهم من أن يقعدوا على طرق الدين ومنهاج الحق، لأجل أن يمنعوا الناس عن قوله.

وقال الإمام ابن كثير^(١) : -

قال نبی اللہ شعیب: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا إِصْلَاحًا مَا أَسْتَطَعْتُ﴾، أي ما أريد في جميع أمری إلّا الإصلاح
في الفعال والمقال بجهدی وطاقتي.

كما قال الشيخ محمد رشيد^(٢) رضا:-

إن الإفساد في الأرض يشمل إفساد نظام الاجتماع البشري بالظلم وأكل أموال الناس بالباطل والبغى والعدوان على الأنفس والأعراض، وإفساد

(١) البداية والنهاية - الحافظ بن كثير الدمشقي - الآية (٨٨) سورة هود ص ١٩٠ - ج
أول.

(٢) المنار - الشيخ محمد رشيد رضا - سورة الأعراف - الآية (٨٥) ص ٥٢٣ - م ٩.

الأخلاق والأداب بالإثم والفواحش الظاهرة والباطنة، وإفساد العمران بالجهل وعدم النظام وإصلاحها هو ما يصلح به أمرها وحال أهلها من العقائد الصحيحة المنافية لخرافات الشرك ومهانته، والأعمال الصالحة المزكية للأنفس من أدران الرذائل والأعمال الفنية المرقية للعمران وحسن المعيشة.

﴿ذلکم خیر لكم إن کتتم مؤمنین﴾ الإشارة إلى كل ما تقدم من أمر ونهي، أي هو خير لكم في دينكم ودنياكم لا تکلیف أعنات، فربكم لا يأمرکم إلا بما هو نافع لكم ولا ينهیکم إلا عما هو ضار بکم، وهو على كل حال غني عنکم، ولو شاء لأعنتکم، ولكنه رحيم لا يفعل ذلك، وإنما تتحقق لكم خيرة ما ذكر إن کتتم مؤمنین بوحدانيته وصفاته تعالى، وبرسوله وما جاءکم به عنه سبحانه من الدين والشرع... وأن المعنى ذلكم الذي أمرتکم به من عبادة الله وحده وعدم إشراك شيء من خلقه في عبادته لما ترون فيه من خير ترجونه أو ضر تخافونه... ومن إيفاء الكيل والميزان بالقسط، وما نهيتکم عنه من الإفساد في الأرض، ذلكم كله خير لكم في معاشکم ومعادکم. وإنما تتحقق خيريته لكم إن کتتم مؤمنین بالله ورسوله وما جاءکم به من هذه الأوامر والتوصيات وغيرها. ذلك بأن الإيمان يقتضي الإتباع والإمتثال العمل بجميع ما جاء به الرسول من عند الله وإن خالف الهوى أو لم تظهر له فائدة ومنفعة بادي الرأي، بل يقتضيه حتى فيما يظن المؤمن أنه مناف لمحصلحته، فتحصل له فوائد ومنافعه، وإن لم يعلم أنه علة أو سبب لها بحسب حكمة الله وسننته التي أقام بها نظام العالم الإنساني.

وقد فسر العلماء الآية (٩١) من سورة هود بما يلي:

﴿قَالُوا يَسْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مَّا قَوْلُوا وَإِنَّا لَنَرَيْكَ فِي نَاسٍ ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَنَتَكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾.

جاء في تفسير الإمام الطبرى^(١):

يقول تعالى ذكره: قال قوم شعيب لشعيب:

(١) الإمام الطبرى - سورة هود - الآية (٩١) ص ٦٤ - ٩ م.

يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول أي ما نعلم حقيقة كثيرة مما تقول
ومخينا به وإنما لنراك فيما ضعيفاً، ذكر أنه كان ضريراً فلذلك قالوا له: إننا
لنراك فيما ضعيفاً.

وقوله: وما أنت علينا بعزيز يعنون ما أنت ممن يكرم علينا فيعظم علينا
إذالله وهو علينا هين.

وقال الإمام الزمخشري^(١): -

﴿ما نفقه﴾، ما نفهم ﴿كثيراً مما تقول﴾ لأنهم كانوا يلقون إليه
أذهانهم رغبة عنه وكراهيته له ك قوله - وجعلنا على قلوبهم أكتة أن يفهومه - أو
كانوا يفهونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفهومه أو قالوا: ذلك على وجه
الإستهانة به.

﴿فيما ضعيفاً﴾ لا قوة لك ولا عز فيما بيننا، فلا تقدر على الإمتاع منا
إن أردنا بك مكرورها.

﴿لرجمتك﴾ لقتلناك شر قتلة، ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ أي لا تعز
علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم، وإنما يعز علينا
رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا كأنه قيل: وما
أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزاء علينا.

وقال الإمام الشوكاني^(٢): -

أنك يا شعيب تأتينا بما لا عهد لنا به من الأخبار بالأمور الغيبة
كالبُث والنشر ولا نفقه ذلك: أي نفهمه كما نفهم الأمور الحاضرة
المشاهدة، فيكون نفي الفقه على هذا حقيقة لا مجازاً، وقيل: قالوا ذلك
إعراضًا على سماعه واحتقار الكلام مع كونه مفهوماً لديهم معلوماً عندهم فلا
يكون نفي الفقه حقيقة بل مجازاً. ﴿وإنما لنراك فيما ضعيفاً﴾، أي لا قوة لك

(١) الإمام الزمخشري - سورة هود - الآية (٩١) ص ٢٨٩.

(٢) الإمام الشوكاني - سورة هود - الآية (٩١) ص ٥١٩.

تقدر بها على أن تمنع نفسك منا وتتمكن بها من مخالفتنا، وقيل: المراد أن ضعيف في بدنـه، قاله علي بن عيسى، وقيل: إنه كان مصاباً ببصره. «ولولا رهطك لرجمناك» ورهط الرجل عشيرته الذين يستند إليهم ويتفقى بهم، ومنه الراهـط لحجر اليربوع لأنـه يتـوـثـقـ به ويـخـيـءـ فيه ولـدهـ. والرهـط يقع علىـ الثلاثـةـ إلىـ العـشـرـةـ، وإنـماـ جـعـلـواـ رـهـطـهـ مـانـعاـ منـ إـنـزالـ الضـرـرـ بهـ معـ كـوـنـهـمـ فـيـ قـلـةـ وـالـكـفـارـ أـلـوـفـ مـؤـلـفـةـ لـأـنـهـمـ كـانـواـ عـلـىـ دـيـنـهـمـ فـتـرـكـوهـ اـحـتـرـاماـ لـهـمـ لـأـخـوـفـاـ مـنـهـمـ، ثـمـ أـكـدـواـ مـاـ وـصـفـوـهـ بـهـ مـنـ الـضـعـفـ بـقـولـهـمـ: «وـمـاـ أـنـتـ عـلـيـنـاـ بـعـزـيزـ» حتـىـ نـكـفـ عـنـكـ لـأـنـكـ لـأـجـلـ عـزـتكـ عـنـدـنـاـ، بلـ تـرـكـناـ رـجـمـكـ لـعـزـةـ رـهـطـكـ عـلـيـنـاـ، وـمـعـنـيـ: لـرـجـمـنـاكـ لـقـتـلـنـاكـ بـالـرـجـمـ، وـكـانـواـ إـذـاـ قـتـلـواـ إـنـسـانـاـ رـجـموـهـ بـالـحـجـارـةـ، وـقـيلـ: مـعـنـيـ لـرـجـمـنـاكـ لـشـتـمـنـاكـ. وـيـطـلـ الرـجـمـ عـلـىـ اللـعـنـ. وـمـنـهـ الشـيـطـانـ الرـجـيمـ وجـيلـهـ.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا^(١) : -

﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول﴾، إن الفقه في اللغة أخص من الفهم والعلم وهو الفهم الدقيق العميق المؤثر في النفس الباعث على العمل أي ما نفقه كثيراً مما ترمي مما وراء ظواهر أقوالك من مواطنها وتأويلها كبطلان عبادة آلهتنا وقبح حرية التصرف في أموالنا وعذاب محيط بيمنا، وإصابتنا بمثل الأحداث الجوية التي نزلت بمن قبلنا كأن أمرها بيده وتصرفك أو تصرف ربك يصيب بها من تشاء أو يشاء لأجلك، ﴿إنا لنراك فيما ضعيفك﴾، لا حول لك ولا قوة تتمكن بها من إن أردنا أن نبطش بك وأنت على ضعفك تندرنا العذاب المحيط الذي لا يفلت منه أحد، ﴿ولولا رهطك﴾ أي عشيرتك الأقربون - والرهط الجماعة من الثلاثة إلى السبعة أو العشر ﴿لرجمناك﴾ لقتلناك شر قتلة وهي الرمي بالحجارة حتى تدفن فيها، ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ أي بذي عزة ومنعة علينا تحول بيننا وبين رجمك، وإنما نزع رهطك ونكرمكم على قتلهم لأنهم منا وعلى ديننا الذي نبذته وراء

(١) الشيخ محمد رشيد رضا - سورة هود- الآية (٩١) ص ١٤٧ م ١٢ .

ظهورك، وأهنته، ودعوتنا إلى تركه لبطلانه وفساده في زعمك.

وجاء في تفسير الشيخ المرااغي^(١) :-

﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول﴾ أي ما نعلم حقيقة كثير مما تقول وتخبرنا به، من بطلان عبادة آلهاتنا وقبح حرية التصرف في أموالنا ومجيء عذابه يحيط بنا، وإصابتنا بمثل الأحداث التي أصابت من قبلنا لأن أمرها يدرك يصيب بها ربك من يشاء لأجلك. ﴿ولما لنراك فيما ضعيفاً﴾ لا قوة لك ولا قدرة على شيء منضر والنفع، ولا تستطيع أن تمتنع من إن أردنا أن نبطش بك. ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ أي ولولا عشيرتك الأقربون لقتلناك بالحجارة حتى تدفن فيها. ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ أي وما أنت بذى عزة ومنعة تحول بيننا وبين رجمك، وإنما نزع رهطك على قاتلهم: لأنهم منا وعلى ديننا الذي نبذته وراء ظهرك وأهنته، ودعوتنا إلى تركه لبطلانه في زعمك، فويغتصب شعيب في سفاهتهم كما حكم سبحانه عنه.

وجاء في تفسير العلماء للآلية (٩٢) من سورة هود ما يلي :-

﴿قَالَ يَنْقُوْمُ اَرَهْطِي اَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَأَخْذَتُمُوهُ ظَهِيرَتَنَا إِنَّا إِنَّا رَقِيْبُ مَا تَعْمَلُونَ مُحِيطُ﴾.

يقول الإمام الطبرى^(٢) ما يلي :-

يقول تعالى ذكره، قال شعيب لقومه: يا قوم أعزرتكم قومكم فكانوا أعز عليكم من الله واستخفتم بربكم فجعلتموه خلف ظهوركم لا تأترون لأمره ولا تخافون عقابه ولا تعظمونه حق عظمته، يقال للرجل: إذا لم يقض حاجة الرجل نبذ حاجته وراء ظهره أي تركها لا يلتفت إليها وإذا قضتها قيل جعلها أمامه ونصب عينيه.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لقرب قوله: واتخذتموه

(١) الشيخ مصطفى المرااغي - سورة هود - الآية (٩١) ص ١٤٨ م ١٢ .

(٢) الإمام الطبرى - سورة هود - الآية (٩٢) ص ٩٦٤ م ٩٦ .

وراءكم ظهرياً من قوله: أرهطي أعز عليكم من الله، قوله: إن ربى بما ت عملون محيط، يقول: إن ربى محيط علمه بعملكم فلا يخفى عليه منه شيء وهو مجازيكم على جميعه عاجلاً وآجلاً.

وقال الإمام الرازى^(١):

إن القوم زعموا أنهم تركوا إيداهه رعاية لجانب قومه. فقال: أنت ترمعون أنكم تتركون قتلي إكراماً لرهطي والله تعالى أولى أن يتبع أمره فكانه يقول: حفظتكم إياي رعاية لأمر الله تعالى أولى من حفظكم إياي رعاية لحق رهطي.

وأما قوله: ﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ فالمعنى: أنكم نسيتموه وكأنكم جعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به. قال صاحب الكشاف: والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغيرات النسب ونظيره قولهم في النسبة إلى الأمس أمسى بكسرة الهمزة، قوله: ﴿إن ربى بما ت عملون محيط﴾، يعني أنه عالم بأحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها.

وقال الإمام ابن كثير^(٢):

قال أبو روق يعنون ذليلاً لأن عشيرتك ليسوا على دينك: ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ أي قومك لولا معزتهم علينا لرجمناك، قيل: بالحجارة، وقيل: لسبيناك، ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ أي ليس عندنا لك معزة، ﴿قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله﴾ يقول: أتركوني لأجل قومي ولا تركوني أعظاماً لجذاب الرب تبارك وتعالى أن تنالوا نبيه بمساءة، وقد اتخذتم كتاب الله ﴿وراءكم ظهرياً﴾ أي نبذتموه خلفكم لا تطيعونه ولا تعظمونه ﴿إن ربى بما ت عملون محيط﴾ أي هو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم.

(١) الإمام الرازى - سورة هود - الآية (٩٢) ص ٤٨ - ٦ - ج ١٨ .

(٢) الإمام ابن كثير - سورة هود - الآية (٩٢) ص ٤٥٧ .

وجاء في تفسير الشيخ محمد رشيد رضا^(١):

قال: ياً قوم أرهطي أعز عليكم من الله؟ هذا استفهام إنكارى، أي: أرهطي أعز وأكرم عليكم من الله الذى أدعوكم إليه بأمره **﴿وَاتَّخِذْتُمُوهُ ورَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾** أي أشركتم به وجعلتموه كالشىء اللقا الذى ينذر وراء الظهر لهوانه على نابذه وعدم حاجته إليه فىensi حتى لا يحسب له حساب. وكان القوم يؤمنون بالله ويشركون به، ولا عجب من حالهم هذه فإنه شأن أكثر الناس اليوم، لا يراقبون الله في أقوالهم ولا في أعمالهم فيرجوه إذا أحسنوا ويخافوه إذا أساءوا أو فيمتنعوا عن الإساءة ويتسابقون إلى الإحسان ابتغاء مرضاته **﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مَحِيطٌ﴾** علماً فهو يحصيه عليكم ويجزىكم به، وأما رهطي فلا يستطيعون لكم ضرًا ولا نفعاً.

وقال الشيخ المراغي^(٢):

قال: يا قوم أرهطي أعز عليكم وأكرم من الله حتى كان امتناعكم عن رجمي بسبب انتسابي إليهم وأنهم رهطي لا بسبب انتسابي إلى الله تعالى الذي أدعوكم إليه بأمره **﴿وَاتَّخِذْتُمُوهُ ورَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾** أي: واستخففتم بربكم فجعلتموه خلف ظهوركم لا تأترون لأمره ولا تخافون عقابه ولا تعظمونه حق التعظيم، وكان القوم يؤمنون بالله ويشركون به سواه، وأكثر الناس اليوم لا يراقبون الله في أقوالهم ولا في أعمالهم فيرجوه إذا أساءوا ويتسابقون إلى الإحسان ابتغاء مرضاته **﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مَحِيطٌ﴾** أي إن ربى محيط علمه بعملكم فلا يخفى عليه شيء منه وهو مجاذيقكم عليه، وأما رهطي فلا يستطيعون لكم ضرًا ولا نفعاً.

التحليل

إن كل تشريع سماوي له عقابه وثوابه وكل له درجات.. فمن ذلك نسترشد كي

(١) الشيخ محمد رشيد رضا - سورة هود - الآية (٩٢) ص ١٤٧ م ١٢ .

(٢) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٩٢) ص ٧٥ م ٤ .

نبني مجتمعاً إسلامياً على أساس سليمة علينا أن نعتبر ونتعظ مما حدث لقوم شعيب وعقاب الله لهم رغم النصيحة والإرشاد والوعظ التي دعا إليها رسول الله شعيب فكان عقاب الله لهم درساً وعبرة للأجيال القادمة، وإن بناء المجتمع الإسلامي يجب أن يقوم على قاعدة مستمدلة من كتاب الله والإسترشاد بالعبرة بقصص القرآن الكريم لمجتمع أفسد في الأرض فنال عقاب الله.

٤ - العقاب والجزاء : -

بين الله تعالى لنا في قصة شعيب عليه السلام الدروس النافعة والمعاني الإسلامية الرشيدة للمجتمع المسلم الذي يقوم على شريعة الله وسنة نبيه ﷺ، والذي حدث لقوم شعيب عليه السلام كان سبب عصيانهم فيما نهاهم الله عنه من الفساد في الأرض وارتكاب المعاصي وقطع الطرق والغش والبخس وعدم إيفاء الكيل والميزان، وفي هذا عبرة ودرساً في حياتنا الاقتصادية العملية في طرق التعامل بالمال وفي الأسواق حتى نبتعد عن البخس والغش والاحييل والتلاعب والمساومة والظلم في الأسواق والمال وفي التجارة وفي الاقتصاد بوجه عام.

وقد أذنر الله تعالى من يعصي أمره ورسالة أنبيائه بعقاب أليم، كالذي حدث للأمم السابقة التي ذكرها الله تعالى في سورة هود - الآية (٨٩) .

﴿وَيَنْقُومُ لَا يَجِدُ مِنْكُمْ شَفَاقاً أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحَ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَلْحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٌ﴾.

وما أصاب هؤلاء الأقوام إنما كان بسبب تصرفاتهم مع أنبيائهم وظلمتهم لأنفسهم وإعراضهم عن منهج الله القويم، قال تعالى :
﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

وقد فسر العلماء الآية (٩٣) من سورة هود بما يلي : -

﴿وَيَنْقُومُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِلَىٰ عَدِيلٍ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ

يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِلَيْ مَعَكُمْ رَقِيبٌ

يقول الإمام الرazi^(١):

المكانة الحالة التي يمكن بها صاحبها من عمله، والمعنى: اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنته والقدرة، وكل ما في وسعكم وطاقتكم من إيصال الشرور إلى فإني أيضاً عامل بقدر ما آتاني الله تعالى من القدرة.

ثم قال: «سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب»... فانظروا العاقبة إني معكم رقيب. أي متضرر، والرقيب بمعنى الراتب من رقبة كالضرير والصرير بمعنى الضارب والصارم أو بمعنى المراقب، كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقى كالغافر والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع.

وروى الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال: لم يعذب الله تعالى أمتين بعد عذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم صالح، فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وقام شعيب أخذتهم من فوقهم.

وقال الإمام الشوكاني^(٢):

«ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون» لما رأى إصرارهم على الكفر وتصميهم على دين آبائهم وعدم تأثير الموعظة فيهم وتوعدهم بأن يعملوا على غاية تمكّنهم ونهاية استطاعتهم، ثم بالغ في التهديد والوعيد بقوله: «سوف تعلمون» أي عاقبة ما أنتم فيه من عبادة غير الله والإضرار بعباده. وقد تقدم مثله في الأنعام «من يأتيه عذاب يخزيه» أي سوف تعلمون من هو الذي يأتيه العذاب المخزي الذي يتاثر عند الذل والفضيحة والعار، «ومن هو كاذب» والمعنى: ستعلمون من هو

(١) الإمام الرazi - سورة هود - الآية (٩٣) ص ٤٩ - ٦ ج ١٨ .

(٢) الإمام الشوكاني - سورة هود - الآية (٩٣) ص ٥١٩ .

المعذب ومن هو الكاذب، وفيه تعریض بکذبهم في قولهم: ﴿لولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز﴾.

﴿وارتقوا إني معكم رقيب﴾ أي انتظروا إني معكم منتظر لما يقضى به الله بيتنا.

وقال ابن كثیر^(۱) :

﴿ويا قوم اعملوا على مکانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزنه ومن هو کاذب وارتقوا إني معكم رقيب﴾، وهذا أمر تهدید شدید ووعید أکيد بأن يستمرروا على طریقتهم ومنهجهم وشاکلتهم فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار، ومن يحل عليه ال�لاک والبوار.

وقال الشیخ المراغی^(۲) :

اثبتو على ما أنتم عليه من الکفر والمشقة وسائل ما لا خير فيه، وهذا کلام من وائق بقوته بربه وضعف قومه على کثرتهم وإدلالهم عليه وتهديدهم له بقوتهم. ﴿إني عامل﴾ على مکانتي على قدر ما يؤیدنی الله به من وسائل التأیید والتوفیق.

﴿سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزنه ومن هو کاذب﴾ أي سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزنه ويدله، أنا أم أنت؟ ومن هو کاذب في قوله ومن هو صادق مني ومنكم، وهذا تصريح منه بالوعید بعد التلمیح بالأمر والعمل المستطاع تعجیزاً لهم... ﴿وارتقوا إني معكم رقيب﴾ أي وانتظروا ما أقول لكم من حلول ما أعدكم به وظهور صدقه إني منتظر.

(۱) البداية والنهاية - الحافظ بن کثیر - سورة هود - الآية (۹۳) ص ۱۹۳ ج ۱.

(۲) الشیخ مصطفی المراغی - سورة هود - الآية (۹۳) ص ۷۶ م ۴.

وقال الشيخ محمود حجازي^(١) :-

ويا قومي اعملوا ما استطعتم على متنهى تمكنك في قوتكم إني عامل على مكانتي وحالتي . وغداً سوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويذله في الدنيا والآخرة ، ومن هو كاذب في قوله : ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا﴾ وانتظروا مراقبين من سيقع عليه العقاب إني معكم من المنتظرین ، وهذا الأمر ﴿اعملوا وارتقبوا﴾ للتهديد والوعيد من وثق بربه ويعده .

وقد فسر العلماء الأفضل الآية (٩٤) من سورة هود بما يلي: -

**﴿وَلَمَّا جَاءَهُ أَمْرٌ فَانْبَغَتِنَا شَعِيبًا وَالَّذِينَ إِمْنَاهُ مِنَّا وَأَخْذَتِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا الصِّحَّةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيْرَهُمْ جَحَشِينَ﴾.**

- يقول الإمام الطبرى^(٢) :

يقول تعالى ذكره: لما جاء قضاوتنا في قوم شعيب بعد أذابنا نجينا شعيباً رسولنا والذين آمنوا به فصدقوه على ما جاءهم به من عند ربهم مع شعيب من عذابنا الذي بعثنا على قومه برحمة منا له ولمن آمن به واتبعه على ما جاءهم به من عند ربهم، وأخذت الذين ظلموا صيحة من السماء أخذتهم فأهلتهم بکفرهم بربهم، وقيل: إن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة أخرجت أرواحهم من أجسامهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم وصرعى بأفنيتهم.

وقال الإمام ابن كثير^(٣) : -

قوله: جاثمين أي هامدين لا حراك بهم، وذكر هنا أنه أتتهم صيحة،

(١) الشيخ محمود حجازي - سورة هود- الآية (٩٣) ص ٤٧ ج ١٢ .

(٢) الإمام الطبرى - سورة هود - الآية (٩٤) ص ٦٥ - م ٩.

^(٣) الإمام ابن كثير - سورة هود - الآية (٩٤) ص ٤٥٨.

وفي الأعراف رجفة، وفي الشعراء عذاب يوم الظلة، وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها، وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه، ففي الأعراف لما قالوا: ﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا﴾ ناسياً أن يذكر هناك الرجفة فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها وهنأوا لما أساءوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ذكر الصيحة التي استبسلت بهم وأحمدتهم، وفي الشعراء لما قالوا: ﴿فأسقط علينا كسفأ من السماء إن كنت من الصادقين﴾، قال: ﴿فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ وهذا من الأسرار الدقيقة والله الحمد والمنة كثيراً دائمًا.

وقال الشيخ المراغي^(١) :-

﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ أي، ولما جاء أمرنا بعذابهم الذي أنذروه نجينا رسولنا شعيباً والذين آمنوا به فصدقوا على ما جاءهم به من عند ربهم برحمة خاصة بهم، ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾ أي: وأخذت أولئك الظالمين بسبب ظلمهم صيحة العذاب التي أخذت ثمود فأصبحوا جميعاً باركين على ركبهم مكبين على وجوههم في ديارهم.

وقال الشيخ محمود حجازي^(٢) :-

ولما جاء أمرنا، وحانَتْ ساعَةِ التَّنْفِيذِ نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة خاصة بهم، وما ذلك على الله بعزيز، وأخذت الذين ظلموا الصيحة

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود - الآية (٩٤) ص ٧٧ م ٤ .

(٢) الشيخ محمود حجازي - سورة هود - الآية (٩٤) ص ٤٨ ج ١٢ .

التي أخذت ثمود فأصبحوا جاثمين، وجوههم مكبة على الأرض كالطير الجائمة، وأصبحت ديارهم خاوية على عروشها لأنهم لم يقيموا فيها وقتاً من الأوقات إلا بعداً وهلاكاً لمدين كما بعدهن وهللت ثمود.

- وقد فسر العلماء الأفضل الآية (٩٥) من سورة هود، كما يلي :

﴿كَانَ لَهُ يَغْنِو فَهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَدِينَ كَمَا بَعَدَتْ شَمُودٌ﴾.

يقول الإمام الزمخشري^(١) : -

وقال الإمام ابن كثير^(٢) : -

وقوله: ﴿كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا﴾ أي يعيشوا في دارهم قبل ذلك، ﴿إِلَّا بَعْدًا لَمْ يَدِينُ كَمَا بَعْدَ ثُمُودٍ﴾، وكانوا جيرانهم قريباً منهم في الدار وشبيهاً بهم في الكفر وقطع الطريق وكانوا عرباً مثلهم.

- كما قال الشيخ المراغي^(٣) :

«كأن لم يغنو فيها» أي كأنهم لم يقيموا فيها متصرفين في أطرافها

(١) الإمام الزمخشري - سورة هود - الآية (٩٥) ص ٢٩١.

(٢) الإمام ابن كثير - سورة هود - الآية (٩٥) ص ٤٥٨ .

(٣) الشيخ مصطفى المراغي - سورة هود- الآية (٩٥) ص ٧٨ م ٤ .

متقلبين في أكناها. ثم دعا عليهم بالهلاك فقال: ﴿إِلَّا بَعْدَ لِمَدِينٍ كَمَا
بَعْدَتْ ثُمُودٍ﴾ أي: هلاكاً لها وبعداً من رحمة الله كما بعدت من قبلهم ثمود
من رحمته بإنزال سخطه بهم.

والخلاصة: أن الله أرسل على كل من ثمود ومدين صاعقة ذات صوت
شديد فرجفت أرضاها وزلزلت من شدتها وخرعوا ميتين وكانت صاعقتها أشد
من الصاعقة التي أخذتبني إسرائيل حين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَهَرَ﴾ وقد
أحياهم الله عقبها لأن هذه تربية لقوم نبي في حضرته، وتلك صاعقة كانت
عذاب المشركين ظالمين معاندينه أنجى الله نبي كل منهم ومؤمنيهم قبلها.

وقد فسر بعض العلماء الأفضل الآية (٩٤) من سورة هود بما يلي: -

﴿فَأَصَبَّهُوْ فِي دِيَرِهِمْ جَاثِمِيْنَ﴾.

قال الإمام الطبرى: -

يقول تعالى ذكره: فكذب أهل مدين شعيباً فيما أتاهم به عن الله من
الرسالة فأخذتهم رجفة العذاب فأصبحوا في دارهم جاثمين جثوماً بعضهم
على بعض موتى، كما حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قنادة
فأصبحوا في دارهم جاثمين أي ميتين.

وقال الإمام الزمخشري^(٢): -

الرجفة: الزلزلة الشديدة.. وعن الضحاك صيحة جبريل عليه السلام
أن القلوب رجفت لها ﴿فِي دَارِهِمْ﴾ في بلدتهم وأرضهم أو في ديارهم
فاكتفى بالواحد لأنه لا يلبس ﴿جَاثِمِيْنَ﴾ باركين على الركب ميتين.

(١) الإمام الطبرى - سورة العنكبوت - الآية (٣٧) ص ٩٥ م ١٢ .

(٢) الإمام الزمخشري (الكساف) سورة العنكبوت - الآية (٣٧) ص ٢٠٥ م ٣ .

كما قال الشيخ محمود حجازي^(١) :-

وإلى مدين أرسلنا لهم أخاهم شعيباً فدعاهم إلى الإيمان بالله وقال لهم: يا قوم اعبدوا الله ربكم مالكم من إله غيره، وارجوا اليوم الآخر أي افعلوا ما ترجون به العاقبة في يوم الحساب والجزاء، ولما ياكم والفساد في الأرض فإن عاقبته وخيمة... فكذبوا ولم يؤمنوا به فأخذتهم الصيحة بالعذاب فارتجمت قلوبهم واضطربت حيث لا ينفع الإضطراب والخوف، وأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم ميتين كأنهم أعيجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية؟ فهل من تذكر؟ وأهلتنا عادةً لما أرسلنا لهم أخاهم هوداً يدعوهم إلى «الإيمان بالله ورسله»، فكذبوا وكفروا، وأهلتنا ثمود لما أرسلنا لهم أخاهم صالحًا يدعوهم إلى عبادة الله فكفروا به وكذبوا.وها أنت يا أهل مكة، ويا مشركي العرب قد تبين لكم ذلك، أي إهلاكم وهم قد زين لهم الشيطان أعمالهم فكانت عاقبة أمرهم خسراً وكانوا مستبصرين أي عقلاً أصحاب فكر ونظر ولكنهم لم يتتفعوا بذلك... أفاليس من العقل والحكمة أن تعتبروا وتعظوا بهؤلاء.

وقد فسر بعض أفضلي العلماء الآية (٩٠) من سورة الأعراف بما

يليه :-

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

قال الإمام الطبرى^(٢) :-

يقول تعالى ذكره: وقالت الجماعة من كفرا رجال قوم شعيب وهم الملائي الذي جحدوا بأيات الله وكذبوا رسوله وتمادوا في غيهم لآخرين منهم:

(١) الأستاذ محمود حجازي - سورة العنكبوت - الآية (٣٧) ص ٧٦ م ٢٠ ج .٢٠

(٢) الإمام الطبرى - سورة الأعراف - الآية (٩٠) ص ١٦٧ م ٤

لَئِنْ أَتَمْ أَتَعْتَمْ شَعِيبًا عَلَىٰ مَا يَقُولُ وَأَجْبَتُمُوهُ إِلَىٰ مَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالإِنْتِهَاءِ إِلَىٰ أَمْرِهِ وَنَهِيهِ وَأَقْرَرْتُمْ بِنَبُوَتِهِ إِنْكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ، يَقُولُ: لَمْ يَغْبُونُونَ فِي فَعْلَكُمْ وَتَرْكَكُمْ مُلْتَكُمُ الَّتِي أَتَمْ عَلَيْهَا مَقِيمُونَ إِلَىٰ دِينِ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ وَهَاكُونُ بِذَلِكَ مِنْ فَعْلَكُمْ . . .

وقال الإمام الرازى^(١):

اعلم أنه تعالى بين عظيم ضلالتهم بتكذيب شعيب. ثم بين أنهم لم يقتصروا على ذلك، حتى أضلوا غيرهم، ولا م لهم على متابعته فقالوا: «لَئِنْ أَتَعْتَمْ شَعِيبًا إِنْكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ» واختلفوا فقال بعضهم: خاسرون في الدين. وقال آخرون: خاسرون في الدنيا، لأنه يمنعكم منأخذ الزيادة من أموال الناس، وعند هذا المقال كمل حالهم في الضلال أولاً وفي الضلال ثانياً، فاستحقوا الإهلاك . . .

وجاء في قول الشيخ محمد رشيد رضا^(٢):

والمناسب فيه وصفهم بالإستكبار فهو الذي جرأهم على تهديده وإنذاره الإخراج من قريتهم المشعر بأنهم هم أصحاب السلطان فيها، وهذا ما قالوه لقومهم أغواه لهم بصدتهم عن الإيمان له، والأخذ بما جاء به، والمناسب فيه وصفهم بالكفر، فهو الحامل لهم عليه، سواء كان سببه الإستكبار عن اتباعه أو غيره، بل لو علم أولو الرأي من قومهم أن سبب صدتهم عنه هو الإستكبار والعنو لما أطاعوهم، ولذلك عللوا لهم صدتهم عنه بما يوهمهم أنه هو المصلحة لهم إذ قالوا لهم بصيغة القسم: لَئِنْ أَتَعْتَمْ شَعِيبًا إِنْكُمْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَخَاسِرُونَ، أي خاسرون لشرفكم ومجدكم، بياشار ملته على ملة آبائكم وأجدادكم، ومناط عزكم وفخركم، واعترافكم بأنهم كانوا كافرين ضالين وأنهم معذبون عند الله تعالى - وخاسرون لثروتكم وربحكم من الناس بما حذفتموه من تطفيق الكيل والميزان وبخس الغرباء

(١) الإمام الرازى - سورة الأعراف - الآية (٩٠) ص ١٧٥ م ١٢ .

(٢) الشيخ محمد رشيد رضا - المنار - سورة الأعراف - الآية (٩٠) ص ٥٢٨ م ٩ .

أشياءهم لابتزاز أموالهم، وأي خسارة أكبر من خسارة الشرف والثروة؟

وقال الشيخ مصطفى المراغي^(١) :-

قال الكافرون من قوم شعيب وهم الملا الذين جحدوا آيات الله وكذبوا رسوله وتمادوا في غيهم لآخرين منهم: لئن اتبعتم شعيباً فيما يقول، وأجبتموه إلى ما يدعوكم إليه من توحيد الله وأقررتם بنبوته، إنكم إذا أخاسرون في فعلكم وترككم ملتقى التي أنتم عليها مقيمون، إلى دينه الذي يدعوكم إليه.

وعمموا الخسران ليشمل خسaran الشرف والمجد إذ يأثركم ملته على ملة آبائكم وأجدادكم تعرفون بأنهم كانوا ضالين ومغذبين عند الله وخسaran الثروة والربح بما تحرفونه من تطفييف الكيل والميزان وبخس الغرباء أشياءهم لابتزاز أموالهم.

ووصف الملا - أولاً: بالإستكبار - لأنه هو الذي جرأهم على تهديده وإنذاره بالإخراج من القرية وإشعاره بأنهم أرباب السلطان فيها، وثانياً: بالكفر لأنه هو الحامل على الإغراء وصدتهم عن الإيمان والأخذ بما جاء به، ثم عللوا لهم صدتهم بأن في ذلك لهم مصلحة أيما مصلحة وفائدة أيما فائدة.

﴿وَقَالَ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَبَعْتَ شَعِيباً إِنَّكَ مَاذَا خَسِرُونَ﴾.

الآية (٩١) سورة الأعراف .

يقول الإمام الطبرى^(٢) :-

يقول: فأخذت الذين كفروا من قوم شعيب الرجفة... وأنها الزلزلة المحركة لعذاب الله فأصبحوا في دارهم جاثمين على ركبهم متى هلكى، وكانت صفة العذاب الذي أهلكهم الله به... كما حدثى محمد بن

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الأعراف - الآية (٩٠) ص ٢١٨ ج ٩.

(٢) الإمام الطبرى - سورة الأعراف - الآية (٩١) ص ١٦٧ م ٤.

الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط عن السدي (وإلى
مدين أخاهem شعيباً) قال: إن الله بعث شعيباً إلى مدين ولالي أصحاب
الأيكة، والأيكة هي الغيبة من الشجر، وكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل
والميزان فدعاهم فكذبوه فقال لهم: ما ذكر الله في القرآن وما ردوا عليه،
فلما عتوا وكذبوه سأله العذاب ففتح الله عليهم باباً من أبواب جهنم
فأهلتهم.

قال الإمام ابن كثير^(١) : -

أخبر تعالى أنهم أخذتهم الرجفة وذلك ما أرجفوا شعيباً وأصحابه
وتوعدهم بالجلاء، كما أخبر عنهم في سورة هود فقال: ﴿ولما جاء أمرنا
نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة
فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾، والمناسبة: هناك والله أعلم أنهم لما تهكموا
به في قولهم: ﴿أصولاتك تأمرك﴾ الآية: فجاءت الصيحة فأسكنتهم، وقال
تعالى إخباراً عنهم في سورة الشعراء: ﴿فكذبوا فأخذهم عذاب يوم الظلة
إنه كان عذاب يوم عظيم﴾، وما ذاك إلا لأنهم قالوا له في سياق القصة:
﴿فأسقط علينا كسفنا من السماء﴾ الآية، فأخبر أنه أصابهم عذاب يوم الظلة،
وقد اجتمع عليهم ذلك كله ﴿أصابهم عذاب يوم الظلة﴾ وهي سحابة
أطللتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء
ورجة من الأرض شديدة من أسفل منهم فزهقت الأرواح وفاقت النفوس
وخدمت الأجسام ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾، ثم قال تعالى: ﴿كأن لم
يغدوا فيها﴾ أي كانوا لما أصابتهم النقمـة لم يقيموا بديارهم التي أرادوا
احلاء الرسول وصحبه منها.

وقد فسر بعض أفضلي العلماء الآية (٩٢) من سورة الأعراف بما

یالی:

(١) الإمام ابن كثير - سورة الأعراف - الآية (٩١) - ص ٢٣٣ .

﴿وَقَالَ اللَّهُ أَلَّا أَذِنَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمٍ إِلَّا تَبَعَّمْ شَعِيبًا إِنَّكُمْ أَذَلَّ الْخَسِرُونَ﴾.

يقول الإمام الطبرى ما يلى^(١):-

يقول تعالى ذكره: فأهلك الذين كذبوا شيئاً فلم يؤمنوا به فأبادهم فصارت قريتهم منهم خاوية خلاء **﴿كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا﴾**، يقول كان لم يتزلوا قط ولم يعيشوا بها حين هلكوا.

وقال الإمام القرطبي^(٢):-

الذين كذبوا شيئاً صاروا كأنهم لم يزالوا موتى. و**﴿يَغْنُوا﴾** يقيموا، يقال: **﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**، وهو مبالغة في الندم والتوبية وإعادة لتعظيم الأمر وتخفيفه. ولما قالوا: من اتبع شيئاً خاسراً... قال الله الخاسرون هم الذين قالوا هذا القول، **﴿فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافَرُوا بِأَيِّ أَحْزَنَ﴾** أي أحزن.

وقال الإمام القاسمي^(٣) في ذلك:-

إنه استئناف لبيان ابلاطهم بشؤم قولهم: **﴿لَنْ تَخْرُجَنَّكُمْ يَا شَعِيبَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ مِنْ قَرِيْتَنَا﴾** وعقوبتهم بمقابلته.

﴿كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا﴾ أي استؤصلوا بالمرة، وصاروا كأنهم، لما أصابتهم النكمة، لم يقيموا بديارهم، التي أرادوا إجلاء الرسول وصحبه منها.

ثم قال تعالى مقابلاً لقولهم السابق: **﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** ديناً ودنيا، لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا.

(١) الإمام الطبرى - سورة الأعراف - الآية (٩٢) ص ١٦٨ م ٤.

(٢) الإمام القرطبي - سورة الأعراف - الآية (٩٢) ص ٢٦٨٨ م ٩.

(٣) الإمام القاسمي - سورة الأعراف - الآية (٩٢) ص ٢١٠ م ٧.

قال أبو السعود: أي الذين كذبوا عليه السلام، عوّقوها بمقاتلتهم الأخيرة، فصاروا هم الخاسرين، لا المتبعون له، وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بإنجائه عليه الصلاة والسلام، كما وقع في سورة هود من قوله تعالى: ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه﴾.

وقال الشيخ مصطفى المراغي^(١) :-

جاءت هذه الجملة بياناً من الله لما انتهى إليه أمرهم وكيف كانت عاقبة عملهم فكان سائلاً سأله آن إلى تهديدهم لشعيب وقومه بقولهم: -
﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معاك من قريتنا﴾ وقولهم لقومهم: -
﴿لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخسرون﴾، فأجاب عن الأول جواباً منافقاً له بقوله: ﴿الذين كذبوا شعيباً...﴾ إلخ. أي الذين كذبوا شعيباً وأنذروه بالإخراج من قريتهم قد هلكوا وهلكت قريتهم فحرمواها لأن لم يقيموا ولم يعيشوا فيها بحال، وأجاب عن الثاني بقوله: ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ أي الذين كذبوا وزعموا أن من يتبعه يكون خاسراً - كانوا هم الخاسرين لما كانوا موعوديه به من سعادة الدنيا والآخرة، دون الذين اتبوا لهم كانوا هم الفائزين المفلحين.

وفي الآية إيماء إلى أن الحريص على التمتع بالوطن والإستبداد فيه على أهل الحق تكون عاقبته الحرمان الأبدي منه، كما أن الحريص على الريع بأكل أموال الناس بالباطل ينتهي بالحرمان منه ومن غيره.

التحليل :-

إن كل تشريع سماوي له عقابه وثوابه وكل له درجات... فمن ذلك نسترشد كي نبني مجتمعاً اقتصادياً إسلامياً على أساس سليمة علينا أن نعتبر ونتعظ مما حدث لقوم شعيب وعقاب الله لهم رغم النصيحة والإرشاد والوعظ

(١) الشيخ مصطفى المراغي - سورة الأعراف - الآية (٩٢) ص ٢٢١ ج ٩

التي دعا إليها رسول الله شعيب فكان عقاب الله لهم درساً وعبرة للأجيال القادمة، وإن بناء المجتمع الإسلامي يجب أن يقوم على قاعد مستمد من كتاب الله والإسترشاد بال عبر بقصص القرآن الكريم لمجتمع أفسد في الأرض فنال عقاب الله .

ثانياً - الدورة التجارية للموازين والمكاييل

١ - الحركة التجارية في الأسواق المحلية للكيل والميزان : -

أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام الكثير من المفاهيم الاقتصادية التي تدخل في حياتنا الاقتصادية سواء من ناحية النشاط أو الحرفة، ومنها الأعمال والحرف المختلفة وموازنة التجارة والنشاط والحركة داخل الأسواق في البيع والشراء خاصة فيما يتعلق بقوة أو ضعف رواج التجارة وتوزيع السلع المنتجة سواء للإستهلاك المحلي أو لتصديرها خارج ذلك المجتمع، وكذلك الأنشطة المالية في حركة تداول العملات في الأسواق على ضوء حالات العرض والطلب والتصرف في الأموال والقيمة الحقيقة الشرعية بالنسبة لسعر البضائع... حيث أن الله تعالى أرسله إلى قومه لأنهم لم يقيموا الحق والعدل في تعاملهم بالتجارة، وكانوا ينقصون حقوق الناس في أموالهم ويأخذونها على وجه البخس ونقص المكيال والميزان في نشاطهم التجاري... وقد عم الفساد مجتمعهم بالظلم... لهذا جاء شعيب عليه السلام ليهدىهم إلى الطريق الصحيح وإصلاح مجتمعهم وترك الفساد في الأرض، وأن يتبعوا نشاطهم الاقتصادي المستمد من كتاب الله بإقامة الحق والعدل... وعندما نحلل ذلك نأتي إلى بعض الجوانب الاقتصادية لتلك النشاطات...

فالمعروف أن الأسواق هي الأماكن الاقتصادية التي يزاول الناس فيها نشاطاتهم من بيع سلع أو شراء بضائع منتجة محلياً أو من الخارج.

والأسواق تحدد الحركة والأنشطة التجارية والمالية في الاقتصاد لأي بلد حيث يتعامل فيها الناس من زارع يأتي بمنتجاته لبيعها، أو صانع يعرض سلعه، أو تاجر وهو الوسيط في الحركة التجارية بين المزارع والصانع وبين المشتري... فالأسواق تحدد الحركة المالية والاقتصادية للبلد من ناحية رواج ونشاط السلعة... والسوق يحدد ميزان العرض والطلب لأي سلعة سواء بيعها أو مشترها، كذلك أن الأنظمة التي شرعها الله في التعامل بالأسواق وما حللها لنا بإقامة العدل وإعطاء كل ذي حق حقه والأمانة والصدق والإخلاص في إعمالنا... كل هذه القواعد الإسلامية هي أحد الدعائم والأسس الاقتصادية في أسواقنا.

كما حرم الله تعالى علينا التعامل سواء بالبيع أو الشراء في لحم الخنزير أو خمور أو ميتة... كما أن هنا أنشطة محظمة تجاريًّا كالغش والجحيل والتلاعب في الكيل والميزان والمساومة والظلم وأكل أموال الناس والتهديد والوعيد... وقد كتب عنها أفضضل العلماء المسلمين.

وقد بين الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أحد القواعد والأسس لأنشطتنا الاقتصادية وطرق وتعامل هؤلاء القوم في أسواقهم حيث نأتي إلى ما يلي :

— كان قوم شعيب عليه السلام يفسدون مجتمعهم وأنشطتهم الاقتصادية في أسواقهم التجارية بالغش والتلاعب والجحيل والمساومة والظلم في تجارتهم ومعاملاتهم للمشترين من قومهم.

— أوضح الله تعالى لنا من خلال قصة شعيب عليه السلام أن قومه كان يغلب على أسواقهم التجارية النقص في حقوق الناس في أموالهم ويأخذونها على وجه البخس في الكيل والميزان خفية وتسللساً لأنهم عصوا ربهم.

— وهي يصبح اقتصادنا... على أساس متينة قوية... فإن في قصة قوم شعيب عليه السلام الكثير من الدروس المستفادة... والأسواق متوفرة في كل قرية أو مدينة بها نشاط تجاري أو صناعي أو مالي... وكذلك توجد

علاقات اقتصادية بين دول العالم وتنشط فيها حركة التجارة والأسواق . . . وقد أنارت التشريعات الإسلامية طريقنا لكي تحدد البيع والشراء في أسواق عالمنا الإسلامي على أساس من الحق والعدل والأمانة والصدق والإخلاص وعدم الغش والغبن والتلاعب وأكل الأموال بالباطل بنقص في الكيل والميزان .

وقد شرح الدكتور محمد فريز منفيخي في كتابه : «النظام الاقتصادي من الكيل والميزان :

قال : ما يبقى لكم بعد إيفاء الكيل والميزان من الربح الحلال خير لكم مما تأخذونه بالتطييف ونحوه من الحرام إن كنتم مؤمنين به حق الإيمان ، فالإيمان يظهر النفس من رذيلة الطمع ويجملها بفضيلة السخاء والكرم .

وأتموا الكيل للناس ولا تخسروهم إذا كلتم لهم حقوقهم قبلكم فإن كلام لأنفسكم فلا جناح عليكم إن نقسم عن حكمكم ولم تفوا بالكيل ، وزنوا بالميزان العدل دون شيء من الجور أو العيف لأن جميع الناس يحتاجون إلى المفاوضات والبيع والشراء ، ومن ثم بالغ الشارع في المنع من التطييف والنقصان سعيًا في إبقاء الأموال لأربابها ، ثم بين عاقبة هذه الأوامر وحسن مآلها فقال : ذلك خير ، أي إيفاؤكم بالعهد وإيفاؤكم من تكيلون له وزنكم بالعدل أمن توفون له خير لكم في الدنيا من نكثكم ويحسكم في الكيل والوزن ، لأن ذلك مما يرحب الناس في معاملتكم وحب الثناء عليكم وذلك أجمل عاقبة لما يترب على ذلك من الثواب في الآخرة والخلاص من العقاب الأليم ، وكثير من الفقراء الذين اشتهروا بالأمانة والبعد عن الخيانة أقبلت عليهم الدنيا وحصل لهم الثروة والغنى وكان ذلك سبب سعادتهم فيها .

إذا بعتم للناس فكيلوا لهم الكيل كاملاً ولا تخسروهم حقوقهم فتعطوه ناقصاً ، وإذا اشتريتم فخذلوا كما لو كان البيع لكم ، وزنوا بالميزان السوي العدل ، ثم عم النهي عن البخس في كل حق فقال : ولا تنقصوا الناس

أشياءهم وحقهم في كيل أو وزن أو غيرهما كالمزروعات والمعدودات كأخذ
بعض كبير وإعطاء بعض صغير وإعطاء رغيف صغير وأخذ رغيف كبير
وهكذا، ثم نهاهم عن جرم أعظم شأنًا وأشد خطراً وهو الفساد في الأرض
تجميع ضروبه وأشكاله فقال: لا تكثروا في الأرض الفساد بالقتل والغارة
وقطع الطريق والسلب والنهب وغيرها، وبعد أن نهاهم عن ذلك خوفهم
سيطرة الجبار الذي خلقهم وخلق من قبلهم ممن كانوا أشد منهم بطشاً
وعتوا.

(١) د. محمد فريز منفيخي - النظام الاقتصادي القرآني - ص ١١٢١.

٢ - الحركة التجارية الدولية للموازين والمكاييل : -

بين شعيب عليه السلام طريقة التعامل الصحيحة في مجال الموازين والمكاييل والتي يجب اتباعها في معاملاتنا الاقتصادية في الأسواق التجارية . . . كل هذه القواعد والأسس في الموازين والمكاييل أوضحتها الله تعالى في قص شعيب عليه السلام ليبين لنا الطريق الاقتصادي السليم الذي نهتدي به من أجل إقامة الحق والعدل في موازيننا ومكاييلنا بالوفاء وعدم النقص والبخس والغش والغبن والتحايل والتلاعب . . . كل هذه المفاهيم الاقتصادية لإرساء الأسس والقواعد الإسلامية الصحيحة لتشريعنا الإسلامي كي نبني أمتنا الإسلامية على تشريع يسوده الحق والعدل .

إن القواعد الخاصة بالموازين والمكاييل ليست لفئة معينة ولكن كتشريع إسلامي لأمتنا الإسلامية والتعامل بيننا على أساس وقواعد إسلامية من تلك النظم في تعاملنا .

ولهذا فإن التشريع الإسلامي جاء لحماية حقوق الناس وعدم غبن فئة لأخرى ، كي يسعد الجميع في دنياهم وأخراهم .

وهذا يستلزم ترابطًا إسلاميًّا بين كافة الشعوب الإسلامية ، وذلك بوضع الأسس والقواعد الإسلامية المستمدة من كتاب الله موضع التنفيذ ، والتي تحدثت عنها قصة شعيب في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم .

أما فيما يتعلق بالجانب الأمني لحماية طرق التجارة : -

فقد بين لنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أن قومه كانوا

يقطعون الطريق ويصدون عن سبيل الله من آمن بالله وبرسالة شعيب عليه السلام .

وقد نهانا الله تبارك وتعالى عن فعل هذه الأشياء، فقد ذكر في سورة الأعراف قوله تعالى : -

﴿وَلَا تَقْعُدُوا إِبَكُلٍ صَرَاطٍ ثُوَّادُونَ وَتَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ أَمَنَ بِهِ، وَتَبْغُونَهَا عَوْجًا﴾. الآية (٨٦).

وبهذا أوضحت لنا قصة شعيب عليه السلام أحد الدروس والعظات التي نستفيد منها لبناء اقتصاد إسلامي سليم وفق كتاب الله وسنة نبيه وهو تحريم قطع الطريق بما له من مفاسد في الأرض وكсад للإقتصاد.

وينبغي لكي تتم مزاولة النشاط الاقتصادي لأي قرية أو مدينة سواء كان ذلك في مجال التجارة أو الصناعة أو الزراعة أن توفر الحماية والأمن... فهما شرطان ضروريان للإنتعاش والإزدهار... ومن ذلك : -

أ : أن توفر الحماية الأمنية في أسواقنا وطرق تجارتنا بين القرى والمدن، وكذلك بين الدول يجنبها ما يحدث من غش أو تلاعب أو تسيب أو سرقة... كما أن التحكم في هذه الأسواق بمراقبتها والتفتيش عليها خاصة فيما يتعلق بالكيل والميزان وحراسة القوافل وتوافر الأمن والسلامة في جميع طرق القوافل والمواصلات الدولية... كل ذلك يزيد من النشاط التجاري وترتبط وتقوية العلاقات بين المدن والقرى والدول الأخرى المجاورة.

ب : وكما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف : **﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيبًا كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢)﴾** فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربكم ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين (٩٣) وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يَصْرُّعُونَ (٩٤).

وهكذا كان شعيب عليه السلام ينصح ويرشد قومه بعدم الفساد في

مجتمعهم وفي أنشطتهم التجارية، وفي كيلهم وزنهم، وقد حذرهم وأنذرهم... وحاول أن يحميهم من أنفسهم بالإبعاد عما حرمه الله، ولكن قومه لم يستجيبوا لهذا النصيحة وهم السلطة الغالبة الإدارية... والمسلطة على أنشطتهم التجارية... وكما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ الْمُلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمٍ لَنْخَرْجَنَّكُمْ يَا شَعِيبَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ قَرِيتُنَا أَوْ لَنْعُودُنَّ فِي مَلْتَنَا قَالَ أُولُو كَنَا كَارِهِينَ﴾ آية (٨٨).

وهكذا يتبيّن لنا أن قوم شعيب عليه السلام كانوا هم أنفسهم يشكلون الجانب الأمني لحماية أنشطتهم التجارية... وكما أوضح الله لنا أنهم استباحوا البخس في الكيل والميزان وأكل حقوق الناس عن طريق نقص الوزن، بجانب ذلك استباحوا الغش والتلاعب والحيل. فكانت العاقبة والتبيّنة أن أنزل الله تبارك وتعالى العقاب عليهم لأنهم فسدوا في مجتمعهم وعصوا أمر الله وشرعيته وتکذبوا شعيب عليه السلام كما ذكر الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿فَكَذَّبُوكُنَّ فَأَخْذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظِّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٩٠).

وبهذا ندرك حكمة الجانب الأمني لحماية الأنشطة التجارية وطرق وقوافل التجارة والتي توجب على ولی الأمر تطبيق شريعة الله وسنة نبیه في كل الأماكن التجارية والأسواق، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن كل ما حرمه الله علينا وأن نقيم الحق والعدل بين أفراد الرعية.

كل هذه الدروس التي تعلمناها من خلال قصة شعيب لبناء اقتصادنا في أمتنا الإسلامية ولحماية أمتنا وأنشطتنا التجارية وفق ما شرعه الله.

وقد جاء في كتاب أخطاء يجب أن تصحيح^(١) في التاريخ (جزيرة العرب) عن قصة شعيب عليه السلام، ما يلي:-

كان أهل مدين وبلادهم تقع في الطريق من الحجاز إلى الشام - ينقصون المكيال - وهي رذيلة تمس نظافة القلب واليد، كما تمس المروعة

(١) أخطاء يجب أن تصحيح في التاريخ «جزيرة العرب» - الجزء الأول - ص ٦٩، ذ. جمال عبد الهادي محمد مسعود - الدكتورة وفاء محمد رفت جمعة.

والشرف، كما كانوا بحكم موقع بلادهم يملكون أن يقطعوا الطريق على القوافل الذاهبة والأية بين شمال الجزيرة وجنوبها، ويتحكموا في طريق القوافل، ويفرضوا ما يشاؤن من المعاملات الجائرة التي وصفها الله في سورة هود (آية ٨٤ - ٩٥). ومن ثم تبدو علاقة التوحيد والدينونة لله، بالأمانة والنظافة وعدالة المعاملة وشرف الأخذ والعطاء، ومكافحة السرقة الخفية سواء قام بها الأفراد أم قامت بها الدول. فهي بذلك ضمانة لحياة إنسانية أفضل، وضمانة للعدل والسلام في الأرض بين الناس. وهي الضمانة الوحيدة التي تستند إلى الخوف من الله وطلب رضاه، فتستند إلى أصل ثابت، لا يتارجع مع المصالح والأهواء... .

لقد رفض القوم أن يكونوا عبيداً لله عز وجل - كما رفضوا الخضوع لنظامه وشرعه. تماماً كما فعل عاد وثモد. فاستغلوا تحكمهم في طرق التجارة والسلع التجارية في تطفييف الكيل والميزان، وبخس الناس أشياءهم، والإفساد في الأرض، كما كانوا يصدون الناس عن دين الله.

لقد كان القوم ظلمة، يفترون المؤمنين عن دينهم، ويصدونهم عن سبيل الله، لقد كان القوم يكرهون للحياة أن تكون مستقيمة على منهاج الله. لماذا؟ لأن ذلك يذكرهم بجرائمهم ويذكرهم بانحرافهم، ويذكرهم بعبوديتهم لشهواتهم وشياطينهم، كما أن قيام حياة المجتمع المسلم على منهاج الله، يحول بين الظلمة والإإنحراف، إذ كيف ينحرفون، والمجتمع المسلم يجتث الرذيلة، ويحولى بين الناس وبين ارتكاب المحرمات، ولو فرض أن ظالماً أو فاسقاً قد ارتكب جرماً أو محراً، أقيم عليه الحد. ففي المجتمع المسلم، دين الله مصان، وأعراض الناس وأموالهم مصانة، وهذا ما لا يطيقه المنحرفون إذ كيف يحال بينهم وبين الرتع في أموال الناس وأعراضهم ودمائهم؟؟ لقد كان أهل مدين فسقة فجرة والفسق والفحور لا يعيش في مجتمع يقوم على نظام الله وشرعه، ولكنه يقوم في مجتمع معوج متمرد على دين الله عز وجل. وفي مثل هذا المجتمع لا يأمن الناس على أموالهم وأعراضهم ودينه.

لهذا جند الكفار والمشركون، من قوم شعيب إمكانيات العصر التي مكن الله لهم بها في الأرض، من مال وبنين وجنات وعيون، وكثرة في العدد في سبيل الصد عن دين الله لقد جند هؤلاء المشركون كل أجهزتهم الإلحادية لمطاردة الحق على أرضهم والترويج لباطلهم، والحيلولة بين الناس وبين الدخول في دين الله، بل ومحاولته فتنة الناس عن دينهم.

(١) أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ «جزيرة العرب» - الجزء الأول - ص ٦٧ ذ. جمال عبد الهادي محمد مسعود - الدكتورة وفاء محمد رفت جمعة.

٣ - الأنشطة المالية وسعة الرزق :-

أوضحنا لنا قصة شعيب عليه السلام أن قومه كانوا ينقصون في الكيل والميزان ويأخذون الأموال بغير حق... وكما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف عن قوم شعيب: «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» آية (٩٦).

١ - وفيما يتعلق بالإقتصاد الإسلامي فقد حرمت علينا بعض الأنشطة التجارية والمالية غير المشروعة وخاصة في الأسواق... والتي منها على سبيل المثال لا الحصر:-

أ - أن البخس التجاري في عمليات الوزن والكيل أو في البيع هي من المحرمات التي نهاها الله تبارك وتعالى عنها.

ب - كذلك الغش التجاري وذلك بإعطاء السلعة أو البضاعة ناقصة أو غير مطابقة لوزنها أو شكلها الحقيقي.

ج - الحيل التجارية التي يستعملها التجار عن طريق الخفية والتسليس وهي من الأمور التي نهاها الله عنها.

د - إن المساومة التجارية هي من الأمور التي نهاها الله عنها وذلك لأن البائع يعرف القيمة الحقيقة للبضاعة وما حلله الله في كسبه عليها، ولهذا فإن المساومة هي من الأمور التي يحدث فيها ظلم وأكل حقوق الناس بالباطل سواء من البائع أو المشتري.

ه - إن التهديد والوعيد التجاري هي من الأمور التي يتخللها ظلم

وأكل حقوق الناس بأن القوي يسيطر على الضعفاء بأخذ أموالهم وهذه من الأمور التي تجعل مكاسبها حرام علينا.

و - إن بيع المحرمات التي نهانا الله عنها كالخنزير والميتة والدم أو التعامل بالربا هي من الأمور والأسس المالية التي تدر أرباحاً غير شرعية ومحرمة . . .

ز - إن الظلم من الأمور التي تعوق الأنشطة الاقتصادية والمكاسب التي حللها الله في مدخولاتنا من الأموال لأن الظلم حرمه التشريع الإسلامي . . . وقد ذكر الله في سورة الأعراف من خلال تلك القصة: **﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لِفَاسِقِينَ﴾** آية (١٠٢). ومن ذلك نجد أن من الأسس المالية في التعامل التجاري هي الوفاء التجاري أي الإلتزام بكل الشروط بين البائع والمشتري في مواصفات وشكل السلعة، وكذلك قبض واستلام الثمن . . . وكذلك التمسك بالحق التجاري لكل من البائع والمشتري . . . كما أن من الأسس المالية في التجارة الوفاء بالعهد بين البائع والمشتري فيما يتعلق بمدته وجميع التزاماته.

٢ - ذكر الله تعالى عن قوم شعيب في سورة هود:

﴿قَالُوا يَسْعَىٰ بِأَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَرْكَ مَا يَعْبُدُ إِبْرَاهِيمَ أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الْرَّشِيدُ﴾. الآية (٨٧).

وتؤكد لنا هذه الآية الكريمة التحدى السافر والتهاكم لقوم شعيب عليه السلام وأنهم تمسكون بما كان يعبد آباؤهم من باطل وكفر بالله الواحد الأحد وارتكاب المعاصي والمجامد في الأرض في تجاراتهم ومكاسبهم المحرمة . . . ومن ذلك نأتي إلى تصرف الإنسان في أمواله حسب شريعة الله كما يلي :

أ - علمتنا قصة شعيب عليه السلام أن التصرف في الأموال كي

نحقق المكاسب الحلال يجب أن تكون على أساس إعطاء كل ذي حق حقه وإقامة العدل في تجارتنا.

ب - إن تصرف الإنسان بالفساد والعنو في الأرض لجلب الأموال التي حرمتها الله علينا كما حدث مع قوم شعيب عليه السلام لا ينفع بشيء بل يضر بالإنسان ويعرضه إلى أشد العذاب والعقاب الإلهي . . . وذكرت سورة الأعراف: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تَوعَدُونَ وَتَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عَوْجًا . . .﴾ آية (٨٦).

ج - أن تصرف الإنسان بعمل السيئات والتعامل مع الناس بالغش والخداع والجحيل الماكرا، نهانا الله عنه بل إن تصرفاتنا ينبغي أن تقوم على أساس من الوفاء والصدق والأمانة وتقوى الله عز وجل . . . وقد ذكر في سورة الأعراف: ﴿مَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لِفَاسِقِينَ﴾ آية (١٠٢).

٣ - قال الله تعالى في سورة هود: ﴿قَالُوا يَا شَعِيبَ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مَا تَقُولُ وَإِنَّا لَنْرَاكَ فِيمَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (٩١) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريًا إن ربكم بما تعملون محيط (٩٢).

وهكذا حددت هاتين الآيتين الكريمتين مفهوماً اقتصادياً هاماً يتعلق بالجانب المالي والتجاري، ويختخص بتقييم الناس للشخص ذو السعة والغنى بأمواله . . . فقد قام قوم شعيب عليه السلام أنه لو لا رهطه وتجارته وهذا يعني أنه كان يتمتع بقوة لاتسابه لقوم أقوياء، ولو لا ذلك لتعرض للرجم من هؤلاء القوم الضالين الذين سخروا من رسالته التي دعاهم فيها إلى الحق وإقامة العدل في مجتمعهم.

ومن ذلك نسترشد أهم الدلالات الإسلامية لأنشطتنا المالية والتجارية التي يجب اتباعها عند بناء حياتنا الاقتصادية الإسلامية وهي أن ميزان قوة وضعف الشخص ليس بأمواله ولا تجارته أو نفوذه، بل تعتمد على

مدى قوة إيمانه بالله وحسن تطبيقه لشريعة الله عز وجل في مجتمعه وطيب علاقته مع الناس فهذا هو القوي أمام الله وحده لأنه يراعي حق الله تبارك وتعالى وحقوق الناس معاً...

٤ - ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُثُرْكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ آية (٨٦).

من ذلك نتعلم جوانب مالية لأنشطة قوم شعيب حيث كانوا قليلي العدد وأن الله رزقهم وكثير عددهم... وبالتالي انعكست زيادة السكان لديهم باتساع أنشطتهم التجارية والاقتصادية ورزقهم الله من نعمته وفضله... كما زادت المدخلات المالية لديهم وقد أوضح لهم شعيب عليه السلام الطريق الصحيح لتطبيق شريعة الله في نشاطهم التجاري ومدخلاتهم المالية وبين لهم الحلال والحرام... ولكن القوم أبوا وعصوا أمر ربهم وسلكوا طريق ما حرم الله عليهم... وإذا نظرنا إلى مجتمعنا الإسلامي نجد أن الله تبارك وتعالى من علينا بالأراضي الشاسعة وبالعدد الكبير من السكان وبنعم كثيرة مختلفة لا تعد ولا تحصى من حيث القيمة أو الثروات الطبيعية وزيادة مدخلاتنا... لذلك ينبغي علينا أن نتعظ من تلك القصة ونبني حياتنا الإسلامية وفق شريعة الله ونبعد عن المحظوظات التي نهاها الله عز وجل عنها... .

٥ - تعتبر الزكاة أحد أركان الإسلام الرئيسية لأنها تطهر النفس وتساعد الفقراء والمساكين... وفي سورة هود: ﴿قَالُوا يَا شَعِيبَ أَصْلُوْاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَرْكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ تَفْعُلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنْكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ آية (٨٧).

وهكذا نرى الملامح المالية لأنشطة قوم شعيب عليه السلام فهم لم يؤمنوا بشعيب عليه السلام ولا بصلاته، كما أنهم أرادوا العبث بأموالهم التي رزقهم الله عز وجل بها وأن يفعلوا بها ما يشاؤن فهذا مخالف

لتعاليم الله وشريعته... فالمال مال الله تبارك وتعالى ونحن مستخلفون فيه... مسؤولون عن كيفية انفاقه محاسبون عليه يوم القيمة... والإنسان المسلم المؤمن الذي يطبق شريعة الله هو الذي يدفع الزكاة المفروضة عليه ويتصدق للفقراء والمساكين من أمواله حسب شريعة الله... كل هذه الملامح الاقتصادية أوضحتها الشريعة الإسلامية السمحاء كي يبارك الله عز وجل في أنشطتنا المالية والتجارية وبني مجتمعنا الإسلامي على أساس من الطهارة والنقاء.

٦ - ذكر الله تعالى في سورة الأعراف: «أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون» آية (١٠٠).

وقد أكدت لنا قصة شعيب عليه السلام أننا لا نمتلك أموالنا فلسنا مخلدين في الأرض بل أن الله هو مالك الملك فنحن نحاسب عليها أمام الله تبارك وتعالى فيما حمله أو حرمه علينا... ولما كان قوم شعيب عليه السلام قد عصوا أمر ربهم فهم يحسبون أنهم مخلدون في الأرض بأموالهم وأملاكهم... لذلك أكلوا حقوق الناس بغير حق عن طريق النقص والبخس في الكيل والميزان والتلاعب والغش والحليل التجارية وغير ذلك في النشاطات المحمرة والتي كانوا يزاولونها في تجارتهم فكان العقاب والعذاب الإلهي...

قال الإمام الطبرى^(*) في تفسيره للآية (٨٧) من سورة هود:

يقول تعالى ذكره، قال قوم شعيب: يا شعيب أصلاتك تأمرك أن تترك عبادة ما يعبد أباونا من الأوثان والأصنام أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء من كسر الدرارهم وقطعها وبخس الناس في الكيل والوزن إنك الحليم، وهو الذي يحمله الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله في حال الرضا الرشيد يعني رشيد الأمر في أمره أن هم لم يتركوا عبادة الأوثان.

(*) الإمام الطبرى - سورة هود- الآية (٨٧) - ص ٦٣ - ٩ م.

وجاء في تفسير الإمام ابن الجوزي^(*) للآية (٨٧) من سورة هود: -

قوله تعالى: **﴿هُوَ أَنْ نَفْعِلُ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾**، قال الفراء: معنى الآية: أصلواتك تأمرك أن ترك ما يعبد آباؤنا. أو أن ترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟

أحدهما: إن فعلهم في أموالهم هو البخس والتطفيق قاله ابن عباس، فالمعنى قد تراضينا فيما بيننا بذلك.

والثاني: أنهم كانوا يقطعون الدرارم والدنانير فنهام عن ذلك، قاله ابن زيد، وقال القرطبي: عذبوا في قطعهم الدرارم.

وفي قوله: **﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** أربعة أقوال:

أحدهما: أنهم قالوه استهزاء به، رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال قتادة والفراء.

والثاني: أنهم قالوا له: إنك لأنت السفيه الجاهل. فكفى بهذا عن ذلك ذكره الزجاج.

والثالث: إنهم سبوه بأنه ليس بحليم ولا رشيد فأثنى الله عز وجل عليه فقال: بل إنك لأنت الحليم الرشيد لا كما قال لك الكافرون، حكاه أبو سليمان الدمشقي عن أبي الحسن المصيصي.

والرابع: إنهم اعترفوا له بالحلم والرشد حقيقة وقالوا: أنت حليم رشيد، فلم تهانا أن نفعل في أموالنا ما نشاء، حكاه الماوردي وذهب إلى نحوه ابن كيسان.

أما الإمام الرazi^(*) فقال:

يعلم أن شيئاً عليه السلام أمرهم بشيئين: بالتوحيد وترك البخس، فالقوم أنكروا عليه أمره بهذين النوعين من الطاعة. فقوله: **﴿أَنْ تَرْكَ مَا يَعْبُدُ﴾**

(*) الإمام ابن الجوزي - سورة هود - الآية (٨٧) - ص ١٥٠ م ٤ ج ١٠.

(*) الإمام الرazi - سورة هود - الآية (٨٧) - ص ٤٧ م ٦ ج ١٨.

آباؤنا) إشارة إلى أنه أمرهم بالتوحيد، قوله: «أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء» إشارة إلى أنه أمرهم بترك البخس. أما الأول فقد أشاروا فيه إلى التمسك بطريقة التقليد لأنهم استبعدوا منه أن يأمرهم بترك عبادة ما كان يعبد آباؤهم يعني الطريقة التي أخذناها من آبائنا وأسلافنا كيف تركها وذلك تمسك بمحض التقليد.

ويقول الإمام القرطبي (*) :

أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) زعم الفراء أن التقدير أو تنهاناً أن نفعل في أموالنا ما نشاء والمعنى ما تشاء أنت يا شعيب.

وقيل، معنى: «أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء» إذا تراضينا فيما بيننا بالشخص فلم تمنعنا منه؟ . . . «إنك لأنت الحليم الرشيد» يعنون عند نفسك بزعمك ومثله في صفة أبي جهل: «ذق إنك أنت العليم الكريم، أي عند نفسك بزعمك. وقيل: قالوه على وجه الإستهزاء والسخرية قاله قاتدة.

وقال سفيان بن عيينة: العرب تصف الشيء بضده للتظير والتفاول، وقيل: هو تعريض أرادوا به السب، وأحسن من هذا كله، ويدل على ما قبله على صحته. أي أنك أنت الحليم الرشيد حقاً، فكيف تأمروا أن ترك ما يعبد آباؤنا، ويدل عليه «أصلاتك تأمرك أن ترك ما يعبد آباؤنا»، أنكروا لما رأوا من كثرة صلاتاته وعبادته، وإنه حليم رشيد بأن يكون يأمرهم بترك ما كان يعبد آباؤهم وبعده أيضاً ما يدل عليه: «قال: يا قوم أرأيتم إن كنت على بيته من ربى ورزقني منه رزقاً حسناً» أي أفلأ أنهاكم عن الضلال؟ وهذا كله يدل على أنهم قالوه على وجه الحقيقة وإنه اعتقادهم فيه.

وجاء في تفسير الإمام الشوكاني : (*) :

قولهم: أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء) جواب له عن أمرهم بإيفاء الكيل والوزن ونهيم عن نقصهما وعن بخس الناس وعن العشي في

(*) الإمام القرطبي - سورة هود - الآية (٨٧) - ص ٣٣١٨ .

(*) الإمام الشوكاني - سورة هود - الآية (٨٧) - ص ٥١٩ .

الأرض. والمعنى: أصلواتك تأمرك أن ترك ما يعبد آباؤنا وتأمرك أن ترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من الأخذ والإعطاء والزيادة والنقص والتقدير: أصلواتك تأمرك أن تفعل في أموالنا ما تشاء ومعناه: أصلواتك تأمرك أن تفعل نحن في أموالنا ما تشاء أنت وندع ما نشاء نحن، وما يجري به التراضي بيتنا: ثم وصفوه عظيمين فقالوا: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ على طريقة التهكم به لأنهم يعتقدون أنه على خلافهما. أو يريدون إنك لأنت الحليم الرشيد عند نفسك وفي اعتقادك، ومعناهم: إن هذا الذي نهيتنا عنه وأمرتنا به يخالف ما تعتقد في نفسك من الحلم والرشد، وقيل: إنهم قالوا ذلك لا على طريقة الإستهزاء بل عندهم كذلك وأنكروا عليه الأمر والنهي منه لهم بما يخالف الحلم والرشد في اعتقادهم.

وقال الإمام القاسمي^(١):

أي إن كتم مصدقين ببقاء شيء فيما يبقى لكم عند الله من الكمالات والسعادات الأخرى ، خير لكم من تلك المكاسب الفانية التي تشكون بها، وتشكون على أنفسكم في كسبها وتحصيلها، ثم تتركونها بالموت ، ولا يبقى منها معكم شيء إلا وبالطبعات والعقاب اللازم لما في نفوسكم من رواضخ الهيئات . ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾ أي رقيب احكم القبائح وأكفكم عنها بسيطرة وإنما أنا مبلغ نذير. أي من الأصنام ، أجابوا به أمرهم بالتوحيد على الإستهزاء والتهكم بصلواته والإشعار بأن مثله لا يدعوا إليه داعٍ عقلي وإنما دعاك إليه خطرات ووسائل من جنس ما تواطب عليه ، وكان شعيب كثير الصلاة، فلذلك جمعوا وخصوصاً الصلاة بالذكر. ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلْ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء﴾ من نقص ونحوه: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ أي الموصوف بالحلم والرشد في قومك يعني أن ما تأمر به لا يطابق حalk وما شهرت به، كما قال قوم صالح عليه السلام: ﴿قَدْ كُنْتَ فِي نَا مَرْجُواً قَبْلَ هَذَا﴾، أو قالوا ذلك تهكمًا به ، والمراد أنه على الضد من ذلك. قيل: وهذا أرجح

(١) الإمام القاسمي - سورة هود - الآية (٨٧) - ص ١٦٢ م . ٩

لأنه أنسب بتهكمهم قبله والأدق هو الأول لمماثلته لما خطط به صالح وتعقيبه بمثل ما عقب به.

وقال الشيخ المراغي^(١):

﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ أي أو أن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا من التطفيض وغيره من التنمية والإستغلال والتصرف في الكسب بما نستطيع من الحذق والإحتيال والخداعة فما ذاك إلا حجر على حريتنا وتحكم في إرادتنا وذكائنا.

والخلاصة: أنهم ردوا عليه الناحتين الدينية والدنيوية بما رأوا من شبه مزيفة وحجج آفنة. ثم اتبعوا ذلك بما يدل على السخرية والهزء به فقالوا: «إنك لأنت الحليم الرشيد» أي أنت ذو الجهالة السفاهة في الرأي والغواية في الفعل بهوس الصلة لكنهم عكسوا القضية تهكمًا واستهزاء كما يقال للبخيل لو رأك حاكم لاقتدى بك في سخائك.

وجاء في أحكام القرآن لابن بكر محمد بن عبد الله المعروف

بابن العربي^(٢):

قوله: ﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾.

قال ابن وهب: قال مالك: كانوا يكسرن الدنانير والدرارم. وكذلك قال جماعة من المفسرين المتقدمين؛ وكسر الدنانير والدرارم ذنب عظيم لأنها الواسطة في تقدير قيم الأشياء والسبيل إلى معرفة كمية الأموال وتنتزيلها في المعاوضات، حتى عبر عنها بعض العلماء إلى أن يقولوا: إنها القاضي بين الأموال عند اختلاف المقادير أو جهلها، وإن^(١) من حبسها ولم يصرفها

(١) الشيخ المراغي - سورة هود - الآية ٨٧ - ص ٧٣ م ٤ .

(٢) أحكام القرآن لابن بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ٤٦٨ - ٥٤٣ هـ، تحقيق علي محمد البجاوي - المجلد الثالث - ص ١٠٦٣ حتى ١٠٦٦ - سورة هود - آية: ٨٧ .

فكانه حبس القاضي وحجبه عن الناس، والدرارهم والدنانير إذا كانت صحاحاً قام معنها، وظهرت فائدتها، فإذا كسرت صارت سلعة، وبطلتفائدة فيها، فأضر ذلك بالناس؛ فلأجله حرم. وقد قال ابن المسيب: قطع الدنانير والدرارهم من الفساد في الأرض، وكذلك قال زيد بن أسلم في هذه الآية، وفسره به، ومثلها^(١) عن يحيى بن سعيد من رواية مالك عنهم كلّهم.

وقد قال عمر بن عبد العزيز: إن ذلك تأويل قوله: «وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاجِهَا».

وقد قيل في قوله تعالى: «وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تَسْعَةُ رِهْطٍ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ»؛ قال زيد بن أسلم: كانوا يكسرؤن الدرارهم والدنانير، والمعاصي تداعى.

قال أصبغ: قال عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زيد بن الحارث العتيقي: من كسرها لم تقبل شهادته، وإن اعتذر بالجهالة لم يعذر، وليس هذا بموضع عذر، فاما قوله: لم تقبل شهادته؛ فلأنه أتى كبيرة؛ والكبائر تسقط العدالة دون الصغار.

واما قوله: لا يقبل عذرها بالجهالة في هذا فلأنه أمر بين لا يخفى على أحد. وإنما يقبل العذر إذا ظهر الصدق فيه أو خفي وجه الصدق فيه، وكان الله أعلم به من العبد كما قال مالك.

- إذا كان هذا معصية وفساداً يرد الشهادة فإنه يعاقب من فعل ذلك.
اختلاف في عقوبته على ثرثة أقوال:

الأول: قال مالك: يعاقبه السلطان على ذلك هكذا مطلقاً من غير تحديد للعقوبة.

الثاني: قال ابن المسيب - ونحوه عن سفيان: إنه مرّ برجل قد جُند، فقال ابن المسيب: ما هذا؟ فقالوا: رجل كان يقطع الدرارهم. قال ابن المسيب: هذا من الفساد في الأرض ولم ينكر جلده.

الثالث: قال أبو عبد الرحمن التجبي: كنت عند عمر بن عبد العزيز قاعداً، وهو إذ ذاك أمير المدينة، فأتى برجل يقطع الدرهم، وقد شهد عليه، فصربه وحلقه، فأمر فطيف به، وأمره أن يقول: هذا جزاء من يقطع الدرهم، ثم أمر به أن يرد إليه، فقال له: إنه لم يمنعني أن أقطع يدك إلا أنني لم أكن تقدمت في ذلك قبل اليوم، فقد تقدمت في ذلك، فمن شاء فليقطع.

وقد كنت أيام الحكم بين الناس أضرب وأحلق؛ وإنما كنت أفعل ذلك بمن يربى شعره عوناً على المعصية وطريقاً إلى التجميل به في الفسق، وهذا هو الواجب في كل طريقة للمعصية أن يقطع إذا كان ذلك غير مؤثر في البدن.

وأما قطع يده فإنما أخذ ذلك عمر - والله أعلم - في فصل السرقة، وذلك أن قرض الدرهم غير كسرها، فإن الكسر إفساد الوصف والقرض تنفيص القدر، فهو أخذ مال على جهة الإختفاء.

فإن قيل: ليس من حرز، والحرز أصل في القطع.

قلنا: يحتمل أن يكون عمر رأي أن تهيئتها للفصل بين الخلق ديناراً أو درهماً حرز لها، وحرز كل شيء على قدر حاله.

وقد أنسد^(٤) بعد ذلك ابن الزبير، وقطع يد رجل في قطع الدرهم والدنانير.

وقد قال علماؤنا المالكية: إن الدرهم والدنانير خواتيم الله عليها اسم^(٥) الله.

ولو قطع على قول أهل التأويل من كسر خاتم الله لكان أهلاً لذلك، إذ من كسر خاتم سلطان عليه اسمه أدب، وخاتم الله تُقضى به الحوائج، فلا يستويان في العقوبة.

وأرى القطع في قرضاها دون كسرها، وقد كنت أفعل ذلك أيام توليتى
الحكم، إلا أنني كنت محفوفاً بالجهال، فلم أجب بسبب المقال للحسدة
الضلال، فمن قدر عليه يوماً من أهل الحق فليفعله احتساباً لله تعالى.

ب - سعة الرزق في الحياة الدنيا:

أوضح شعيب عليه السلام لقومه معنى الرزق الحسن... والذى يعتبر أحد الأنشطة الاقتصادية والرئيسية لمعايش الإنسان... والرزق الحسن يدخل في نشاط المرأة وتعامله في الأسواق إما عن طريق البيع أو الشراء... والمكاسب التي تجيء من وراء هذا الرزق الحسن حلال تعكس آثارها على الإنسان بالحمد والشكر لله عز وجل والرضا والقناعة بما قسمه الله تبارك وتعالى له... .

والرزق الحسن يقوم على الحق والعدل والوفاء والأمانة في الأسواق التجارية وغيرها من الأماكن التي تشهد رواجاً وانتعاشاً اقتصادياً... وقد ذكر في سورة هود:

﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربكم ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ الآية (٨٨).

والرزق بصفة عامة منه ما هو حلال وما هو حرام... وقد علمنا من قصة شعيب عليه السلام كيف كانت عاقبة قومه الذين كذبوا ولم يصدقوا رسالته... التي دعاهم فيها لإقامة الحق والعدل... وأن يوفوا الكيل والميزان وألا يبخسوا الناس أشياءهم... وذلك من أجل أن يكون رزقهم حلالاً... ينعكس على حياتهم وأنشطتهم التجارية والمالية... ويصبح كسبهم مشروعاً بعيداً عن المحرمات والمنهيات التي حددتها لهم شعيب عليه السلام... .

وهكذا أكدت لنا قصة شعيب عليه السلام عاقبة الرزق الحرام وأنه من الآلام التي حرمتها الله علينا... وحتى يكون اقتصادنا ومعاملاتنا التجارية على أساس سليم... ينبغي أن نتقي الله تبارك وتعالى... في كل شيء... في الكيل... وفي الميزان... في المعاملات التجارية في الأسواق... وأن نبتعد عن الغش والجحيل والخداعة... وأن نتعظ مما حدث لقوم شعيب عليه السلام... .

الرزق في المنظور الشرعي : -

وقد تحدثت الآية (٨٨) من سورة هود عن الرزق... .

﴿ قَالَ يَنْقُومُ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بِينَةٍ مِّنْ رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ .

وعندما نطالع ما قاله أفاضل العلماء في ذلك نأتي إلى ما يلي : -

ورد في تفسير الإمام الطبرى^(١) : -

قوله تعالى : **﴿ قَالَ يَنْقُومُ أَرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بِينَةٍ مِّنْ رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا إِلَاصْلَاحَ مَا أَسْطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ .**

يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه يا قوم أرأيتم إن كنت على بيان وبرهان من ربكم فيما أدعوكم إليه من عبادة الله والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام وفيما أنهاكم عنه من إفساد المال ورزقني منه رزقاً حسناً يعني حلالاً طيباً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يقول: وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أ فعل خلافه بل لا أ فعل إلا بما أمركم به ولا انتهي إلا عمما أنهاكم عنه.

(١) الإمام الطبرى - سورة هود- الآية (٨٨) ص ٦٠ حتى ٦٢ - م ٩.

وقد جاء في تفسير الإمام الزمخشري^(١):

وقيل: كان ينهاهم عن حذف الدرارم والدناير وقطعها وأرادوا بقولهم: «إنك لأنت الحليم الرشيد» نسبته إلى غاية السفة والغي فعكسوا ليتهكموا به، وقيل معناه: إنك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون إن ما تأمر به لا يطابق حalk وما شهرت به.... «ورزقني منه» أي من لدنه «رزقاً حسناً» وهو ما رزقه من النبوة والحكمة، وقيل: رزقاً حسناً، المعنى: أخبروني إن كنت على حجة واضحة ويقين من ربِّي وكنتنبياً على الحقيقة أياً صحيحاً لي أن لا أمركم بترك عبادة الأولئك والكف عن المعاصي والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك.

وفي تفسير الإمام الرازى^(٢)

اعلم أنه تعالى حكى عن شعيب عليه السلام ما ذكره في الجواب عن كلماتهم، فالأول قوله: «رأيت ما أن كنت على بينة من ربِّي ورزقني منه رزقاً حسناً» وفيه وجوه:

الأول: إن قوله: «إن كنت على بينة من ربِّي»، إشارة إلى ما آتاه الله تعالى من العلم والهدایة والدين والنبوة، قوله: «ورزقني منه رزقاً حسناً» إشارة إلى ما آتاه الله من المال الحلال، فإنه يرى أن شعيباً عليه السلام كان كثير المال.

والتقدير: أنه تعالى لما آتاني جميع السعادات الروحانية وهي البينة، والسعادات الجسمانية وهي المال والرُّزق الحسن فهل يسعني مع هذا الإنعام العظيم أن أخون في وحيه وأن أخالفه في أمره ونفيه. وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم، وذلك لأنهم قالوا له: «إنك لأنت الحليم الرشيد» فكيف يليق بك مع حلمك ورشدك أن تنهاناً عن دين آبائنا فكانه

(١) الإمام الزمخشري الخوارزمي - الكشف - سورة هود - الآية (٨٤)، ص ٢٨٤.

(٢) الإمام الرازى - سورة هود - الآية (٨٨)، ص ٣٩ حتى ٤١ م ٦ ج ١٨.

قال: إنما أقدمت على هذا العمل. لأن نعم الله تعالى عندي كثيرة وهو أمرني بهذا التبليغ والرسالة. فكيف يلقي بي مع كثرة نعم الله تعالى على أن أخالف أمره وتکلیف.

الثاني: أن يكون التقدير كأنه يقول: لما ثبت عندي أن الإشتغال بعبادة غير الله والإشتغال بالبخس والتطفيف عمل منكر، ثم أنا رجل أريد إصلاح أحوالكم ولا أحتاج إلى أموالكم لأجل إن الله تعالى آتاني رزقاً حسناً فهل يسعني مع هذه الأحوال أن أخون في وحي الله تعالى وفي حكمه.

الثالث: قوله: «إن كنت على بينة من ربِّي» أي ما حصل عنده من المعجزة، قوله: «ورزقني منه رزقاً حسناً» المراد أنه لا يسألهم أجرًا ولا جعلاً وهو الذي ذكره سائر الأنبياء من قولهم: «لا أسألكم عليه أجرًا إن أجري إلا على رب العالمين».

المسألة الثانية:

قوله: «ورزقني منه رزقاً حسناً» يدل على أن ذلك الرزق إنما حصل من عند الله تعالى وبإعانته وأنه لا مدخل للكسب فيه، وفيه تنبية على إن الإعزاز من الله تعالى والإذلال من الله تعالى. وإذا كان الكل من الله تعالى فإننا لا أبالي بمخالفتكم ولا أفرح بموافقتكم، وإنما أكون على تقرير دين الله تعالى وإيضاح شرائع الله تعالى.

وقد جاء في تفسير الإمام أبو السعود^(١):

«قال يا قوم أرأيتם إن كنت على بينة» أي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردًا على مقالتهم الشناء في جعلهم أمره ونهيه غير مستند إلى سند «من ربِّي» ومالك أمرني «ورزقني منه» أي من لدنه «رزقاً حسناً» هو النبوة والحكمة أيضاً، عبر عنهمما بذلك تنبئها على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحياة الأبدية له ولأمته.

(١) الإمام أبو السعود - سورة هود - الآية (٨٨)، ص ٢٣٢ حتى ٢٣٥ م ٤.

وأريد بالصلوة الدين على معنى أدينك بأمرك أن تتكلفنا بترك عبادة الهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في أموالنا وتخالفنا في ذلك وتشق عصانا، وهذا مما لا ينبغي أن يصدر عنك فإنك أنت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا، كما كان قول قوم صالح، قد كنت فينا مرجواً قبل هذا مسروداً على ذلك النمط فأجبوا بما أجبوا به، وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزرق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى، والمعنى: حينئذ أخبروني إن كنتنبياً من عند الله تعالى ورزقني مالاً حلالاً استغنى به عن العالمين أيصح أن أخالف أمره وأوافقكم فيما تأتون وما تدركون، **﴿وَمَا أُرِيدُ﴾** بنهي إياكم عما أنهاكم عنه من البخس والتطفيف: **﴿أَنْ أَخَالِفُكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾** أي أقصدهه بعدهما وليت عنك واستبد به دونكم، يقال: خالفت زيداً إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنك وخالفته عن كذا إذا كان الأمر على العكس **﴿إِنْ أُرِيدُ﴾** أي لا أريد بما أباشره من النهي والأمر **﴿إِلَّا الإِصْلَاح﴾** إلا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة **﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾** أي مقدار ما استطعته من الإصلاح والتقييد به للإحتراز عن الإكتفاء بالإصلاح في الجملة لا عن إرادة ما ليس في وسعه منه، **﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾** أي كوني موفقاً لتحقيق ما أنتجه من إصلاحكم **﴿إِلَّا بِاللَّهِ﴾** أي بتائيده ومعونته بل الإصلاح من حيث الخلق مستند إليه سبحانه، وإنما أنا من مباديه الظاهرة، قاله عليه السلام تحيقاً للحق وإزاحة لما عسى يوهنه إسناد الإستطاعة إليه بيارادته من استبداده بذلك، **﴿عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ﴾** في ذلك معرضاً عما عداه فإنه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبة الإستعداد به والإستظهار، **﴿وَإِلَيْهِ أُنِيب﴾** أي أرجع فيما أنا بسده . . .

وقد جاء في تفسير الإمام محمد رشيد رضا⁽¹⁾:

قال ابن عباس (رض) يقولون: إنك لست بحليم ولا رشيد: **﴿قَالَ يَا**

(1) الإمام محمد رشيد رضا - سورة هود - الآية (٨٨)، ص ١٤٥ حتى ١٥٠ م ١٢ .

قوم أرأيت إن كنت على بينة من ربِّي ﷺ، أي : يا قومي الذين أنا منهم وهم
 مني وأحب لهم ما أحب لنفسي ، أخبروني عن شأنِي وشأنكم إن كنت على
 حجة واضحة من ربِّي فيما دعوتم إلَيْهِ وما أمرتكم به وما نهيتكم عنه فكان
 وحِيَاً منه لا رأياً مني : ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ في كثرته وفي صفتة وهو
 كسبه بالحلال بدون تطفيض مكياً ولا ميزان ولا بخس لحق أحد من الناس
 فإنما مُجرب في الكسب الطيب وما فيه من خير وبركة لا فقير معدم اخترع
 الأراء النظرية فيما ليس لي خبره به أي أرأيت والحاله هذه ماذا أفعل وماذا
 أقول لكم غير الذي قلتُه عن نبوة ربانية وتجارب غني مالية؟ هل يسعني
 الكتمان أو التقصير في البيان؟ ، ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾
 أي : وإنني على بيتي ونعمتي ما أريد أن أخالفكم في ذلك مائلاً إلى ما
 أنهاكم عنه مؤثراً لنفسي عليكم بل أنا مستمسك به قبلكم، إن أريد إلا
 الإصلاح ما استطعت ﴿وَمَا أَرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحُ لِعَالَمٍ﴾ فيما آمر به وفيما
 أنهى عنه ما دمت أستطيعه لأنَّه آمر بالمعروف ونهي عن المنكر ليس لي
 هوى ولا منفعة شخصية بي فيهما ولو لا ذلك لما فعلته. ﴿وَمَا تَوْفِيقِي
 إِلَّا بِاللَّهِ﴾ التوفيق ضد الخذلان وهو الفوز والفلاح في إصابة الإصلاح وكل
 عمل صالح وسعي حسن ، والمُعنى : وما توفيقي لإصابة ذلك فيما أستطيعه
 منه ألا بحول الله وقوته وفضله ومعونته وأعلاها ما خصني به دونكم من نبوته
 ورسالته : ﴿عَلَيْهِ تَوْكِلْتُ﴾ في أداء ما كلفني من تبليغكم ما أرسلت به لا
 على حولي وقوتي ، ﴿وَإِلَيْهِ أَنِيب﴾ أي وإليه وحده أرجع في كل ما نابني
 من الأمور في الدنيا وإلى الجزاء على أعمالي في الآخرة فأنا لا أرجو منكم
 أجرًا ولا أخاف منكم ضرًا . ﴿وَيَا قَوْمَ لَا يَجْرِمُنَّكُمْ شَفَاقٌ أَنْ يَصِيكُمْ مِثْلُ
 مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحًا أَوْ قَوْمَ هُودَ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ ، والشقاق شدة الخلاف
 الذي يكون به أحد المختلفين في شق وجانب غير الذي يكون به أحد
 المختلفين في شق وجائب غير الذي يكون فيه الآخر ، أي : لا نحملنكم
 وتكتسبنكم مشاقنكم وعداوتكم لي أن تقضي بالإصرار عليها إلى إصابتكم
 بمثل ما أصاب مكذبي الرسل قبلكم : قوم نوح أو هود أو صالح من عذاب
 الخزي والإستصال : ﴿وَمَا قَوْمُ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَيْعِيدٌ﴾ زماناً ولا مكاناً ولا إجراماً

قال الزمخشري : يجوز أن يستوي في بعيد وقريب وقليل وكثير المذكر والمؤثر لورودها على وزن المصادر كالصهيل والشهيق ونحوهما ، وقدر بعيد قبل ذلك موصوفاً فقال بشيء بعيد ، وقدر غيره : وما إهلاك قوم لوطن . . . إلخ . . . ويقال عليه مثله : ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ أي اطلبوا منه المغفرة لما أنتم عليه من الشرك والمعاصي بتركهما ثم توبوا إليه كلما وقع منكم معصية .

ذكر الله تعالى في سورة هود - الآية (٨٤) : -

﴿إِنِّي أَرَأَكُمْ بَخْيَرٍ﴾ .

وعندما نتابع ما كتبه أفضل العلماء عن المقصود بالخير، فنرى الإمام ابن الجوزي^(١) يقول : -

قوله تعالى : ﴿إِنِّي أَرَأَكُمْ بَخْيَرٍ﴾ فيه قوله : -

أحدهما : أنه رخص الأسعار قاله ابن عباس والحسن ومجاهد.

والثاني : سعة المال وهو مروي عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قتادة وابن زيد وقال الفراء : أموالكم كثيرة وأسعاركم رخيصة فأي حاجة بكم إلى سوء الوزن والكيل؟

وقال الإمام القاسمي^(٢) : -

إني أراكم بخيراً أي نعمة وثروة في رزقكم ومعيشتكم وعافية، وتمتنع في وجودكم يعني فلا تتعرضوا لزوال ذلك عنكم بما تأتونه مما تنہون عنه.

قال الإمام ابن كثير^(٣) : -

﴿وَرَزْقٌ مِّنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ يعني النبوة والرسالة يعني وعمي عليكم

(١) الإمام ابن الجوزي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ١٤٧ م ٤ ج ١٠ .

(٢) الإمام القاسمي - سورة هود - الآية (٨٤) ص ١٥٥ م ٩ .

(٣) الإمام ابن كثير - البداية والنهاية - الآية (٨٨) - سورة هود - ص ١٩٠ ج أول .

معرفتها فـأي حيلة لي بكم. وهذا كما تقدم عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه سواء قوله: **﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخْالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾** أي لست أمركم بالأمر إلا وأنا فاعل له، وإذا نهيتكم عن الشيء فأنا أول من يتركه، وهذه هي الصفة المحمودة العظيمة وضدتها هي المردودة الذميمه كما تلبس بها عداء بنـي إسرائـيل في آخر زمانـهم وخطبـاؤهم العـاجـاهـلوـنـ. قال الله تعالى: **﴿أَتَأْمـرـونـ النـاسـ بـالـبـرـ وـتـنـسـونـ أـنـفـسـكـمـ وـأـنـتـمـ تـتـلـوـنـ الـكـتـابـ أـفـلـاـ تـعـقـلـوـنـ﴾**.

قال الإمام القاسمي^(١) :-

قال القاشاني: لما رأى شعيب عليه السلام، ضلالـهم بالـشـرـكـ وـاحـتـجـابـهـمـ عـنـ الـحـقـ وـتـهـالـكـهـمـ عـلـىـ كـسـبـ الـحـطـامـ بـأـنـوـاعـ الرـذـائـلـ وـتـمـادـيـهـمـ فـيـ الـحـرـصـ عـلـىـ جـمـعـ الـمـالـ بـأـسـوـاـ الـخـصـالـ نـهـاـهـمـ عـنـ ذـلـكـ وـقـالـ: إـنـيـ أـرـاـكـمـ بـخـيـرـ،ـ فـيـ اـسـتـعـداـدـكـمـ مـنـ إـمـكـانـ حـصـولـ كـمـاـ وـقـبـولـ هـدـاـيـةـ،ـ وـإـنـيـ أـخـافـ عـلـيـكـمـ إـحـاطـةـ خـطـيـئـاتـكـمـ لـاـحـتـجـابـكـمـ عـنـ الـحـقـ وـوـقـوفـكـمـ مـعـ الـغـيـرـ،ـ وـصـرـفـ أـفـكـارـكـمـ بـالـكـلـيـةـ إـلـىـ طـلـبـ الـمـعـاـشـ وـإـعـرـاضـكـمـ عـنـ الـمـعـادـ وـقـصـورـ هـمـمـكـمـ عـلـىـ إـحـراـزـ الـفـاسـدـاتـ الـفـانـيـاتـ عـنـ تـحـصـيلـ الـبـاقـيـاتـ الـصـالـحـاتـ،ـ فـلـازـمـوـاـ التـوـحـيدـ وـالـعـدـالـةـ وـاعـتـزـلـواـ عـنـ الـشـرـكـ وـالـظـلـمـ الـذـيـ هـوـ جـمـاعـ الرـذـائـلـ وـأـمـ الغـوـائـلـ.

قال الإمام محمد رشيد رضا^(٢):

﴿إـنـيـ أـرـاـكـمـ بـخـيـرـ﴾ أي بـثـرـوـةـ وـسـعـةـ فـيـ الرـزـقـ يـجـبـ أـنـ تـرـفـعـ أـنـفـسـكـمـ عـنـ دـنـاءـ بـخـسـ حـقـوقـ النـاسـ وـأـكـلـ أـمـوـالـهـمـ بـالـبـاطـلـ بـمـاـ تـنـقـصـونـ مـنـ الـمـبـيعـ لـهـمـ مـنـ مـكـيلـ وـمـوزـونـ وـهـوـ كـفـرـ لـنـعـمـةـ اللـهـ عـلـيـكـمـ بـالـغـنـىـ وـالـسـعـةـ،ـ وـالـوـاجـبـ عـلـيـكـمـ شـكـرـهـاـ بـالـزـيـادـةـ عـلـىـ سـبـيلـ الـإـحـسـانـ:ـ **﴿وـإـنـيـ أـخـافـ عـلـيـكـمـ عـذـابـ يـوـمـ مـحـيطـ﴾**ـ أيـ عـذـابـ يـوـمـ مـحـيطـ مـاـ يـقـعـ فـيـهـ مـنـ الـعـذـابـ بـكـمـ إـذـاـ أـنـتـمـ

(١) الإمام القاسمي - سورة هود - الآية (٨٥) ص ١٥٨ م ٩.

(٢) الإمام محمد رشيد رضا - سورة هود - الآية (٨٤) ص ١٣٩ م ١٢.

أصررتم على شرككم بالله بعبادة غيره، وكفركم بنعمه بنقص المكيال والميزان وهذا اليوم يصدق ب يوم القيمة و يوم عذاب الإستئصال.

وقال الدكتور محمد فريز منفيخي^(١) في ذلك :-

الله تعالى أصلح حال البشر بنظام الفطرة ومكنتهم في الأرض بما آتاهم من القوى العقلية وقوة الجوارح وبما أودع في خلق الأرض من سنن حكيمه وقوانين مستقيمة، وبما بعث به الرسل من المكملات لنظام الفطرة من آداب وأخلاق ونظم في المعاملات والإجتماع، وبما أرشد إليه المصلحين من العلماء والحكماء الذين يأمرؤون بالقسط ويهدون الناس إلى ما فيه صلاحهم في دينهم والعاملين من الزراع والصناع والنجار أهل الأمانة والإستقامة الذين ينفعون الناس في دنياهم، فعليكم ألا تفسدوا فيها ببغي ولا عدوان على الأنفس والأعراض والأخلاق بارتكاب الإثم والفواحش ولا تفسدوا فيها بالفوضى وعدم النظام وبث الخرافات والجهالات التي تقوض نظام المجتمع، وقد كانوا من المفسدين للدين والدنيا، كما يستفاد من هذه الآية وما بعدها. ذلك خير لكم في دينكم ودنياكم فإن ربكم لا يأمر إلا بالنافع ولا ينهي إلا عن الضار.

وقال لهم نبي الله شعيب: إني أراكם بشروة وسعة في الرزق تغنيكم عن الدناءة في بخس حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل بما تنقصون لهم من المبيع في مكيل أو موزون، وكانوا تجارةً مطففين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهם أو وزنوهם ينقصون المكيال والميزان إلا أن هذا كفراً بنعمة الله عليكم إذ كان يجب عليكم شكرانها بالزيادة على سبيل الصدقة والإحسان وإنني أخشى عليكم يوماً يحيط بكم عذابه إذا أنتم أصررتم على شرككم بالله بعبادة غيره وكفرتم بنعمه بنقص المكيال والميزان، وهذا العذاب أما في الدنيا بعذاب الإستئصال وأما في يوم القيمة، وأما في كليهما، ويا قوم أتموا الكيل والميزان بالعدل بلا زيادة ولا نقصان، وقد

(١) الدكتور محمد فريز منفيخي - النظام الاقتصادي القرآنى - ص ١٢٢٤ .

أمرهم بالواجب بعد أن نهاهم عن ضده لتأكيده وللتنبيه إلى كون عدم التعمد للنقص لا يكفي لتحري الحق بل يجب معه تحري الإيفاء بالعدل والسوية عن غير زيادة، وإن كان التيقن من ذلك لا يكون إلا بزيادة طفيفة وتعتمد其ا في الكيل والوزن للناس سخاء وفضيلة يمدح فاعلها عليها، وفي الاتكىال أو الوزن عليهم طمع فهو رذيلة مذمومة.

ثالثاً - سلطة الدولة الشرعية لحماية

الاقتصاد في الموازين والمكاييل

علمنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام ما يؤكد أنه أرسل إلى قومه لتبيين رسالة ربه وتشريعه بعد أن فسد هؤلاء... فقد استشرى البعض وعدم الوفاء بالكيل والميزان بينهم... ومن ثم كان من أسس رسالة الإصلاح في رسالة شعيب عليه السلام... وضع الأمور في نصابها وإقامة العدل والقسط.

لهذا فقد سن الله تعالى تشعياً اقتصادياً في أسس وقواعد الموازين والمكاييل من خلال قصة شعيب عليه السلام.

إن سلطة الدولة في التشريع الإسلامي ملزمة لحماية الاقتصادي من أشراف وسيطرة ووضع وسن النظم والقواعد والقوانين التي تحمي المواطن أو المستهلك في مجال الموازين والمكاييل في التشريع الإسلامي وهو كالتالي : -

أ : إن سلطة الدولة الشرعية لحماية الاقتصاد الإسلامي بتطبيق قواعد إتمام الكيل والميزان ومعاقبة كل من يخل أو يغش أو يبخس وينقص في أي منهما بتطبيق نصوص الشريعة الإسلامية... كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿قد جاءتكم فأوفوا الكيل والميزان﴾ . آية (٨٥) .

وفي سورة هود: ﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان﴾ . آية (٨٥) .

وفي سورة الشعراء: ﴿أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ .
آية (١٨١).

ذكر الله تعالى في سورة المطففين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمَطْفَفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا
اَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفِنُونَ (٢)﴾ .

ب : كذلك تتدخل الدولة بسلطتها الشرعية في مراقبة الأسواق لإقامة الحق
والعدل بين البائع والمشتري فيما يتعلق بالوزن حيث أنه لا تلاعب ولا
حيل في الوزن بل تعامل بالقسطاس، كما ذكر الله تعالى في سورة
الشعراء:

﴿وَزَنُوا بِالْقَسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ . آية (١٨٢).

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة المطففين: ﴿وَإِذَا كَالَوْهُمْ أَوْ
وَزَنُوهُمْ يَخْسِرُونَ﴾ . آية (٣).

وكذلك في سورة هود: ﴿وَيَا قَوْمَ أَوْفُوا الْمَكِيَالَ وَالْمِيزَانَ
بِالْقَسْطِ﴾ . آية (١٥).

ج : وقد شرع الله بتدخل السلطة الشرعية للدولة لحماية الأسواق التجارية
والمالية وإقامة العدل والحق بين الناس بعدم البخل ونقص في الكيل
والميزان . . . كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ آية (٨٥).

وفي سورة الشعراء: ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ ،
آية (١٨٣).

د : إن تدخل سلطة الدولة الشرعية للمحافظة على إقامة مجتمع إسلامي
يسوده الحق والعدل وحمايته من المتلاعبين الغشاشين الذين يفسدون
ويغبون في الأرض فساداً يحتاج إذا لزم الأمر ذلك إلى معاقبة هؤلاء
المفسدين لحماية الأمة منهم تطبيقاً لشريعة الله عز وجل ، كما ذكر الله
تعالى في سورة هود:

﴿وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِين﴾ الآية (٨٥).

وفي سورة الأعراف ذكر الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِين﴾ الآية (٨٥).

وفي سورة الشعراء ذكر الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِين﴾ الآية (١٨٣).

وفي سورة العنكبوت ينصح شعيب قومه: ﴿وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِين﴾ الآية ٣٦.

ـ : كذلك سلطة الدولة الشرعية لحماية أسواقها واقتصادها عن طريق أئمة المساجد والوعاظ، ومن خلال وسائل الإعلام المختلفة المفروعة والمسموعة والمرئية بالنصائح والإرشاد وتوجيه التجار لاتباع شريعة الإسلام، وما بينه الله تعالى لإقامة الحق والعدل في الكيل والميزان بتذكيرهم بما حدث لقوم شعيب نتيجة فسادهم في الأرض، كما ذكر الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِين﴾ الآية (٨٦).

وكما بين الله تعالى في سورة العنكبوت في تلك القصة:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَتْهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِين﴾ الآية (٣٧).

ومن ذلك نأتي إلى النقاط الرئيسية للقواعد الشرعية الإسلامية لسلطة الدولة في الموازين والمكاييل:

١ - السلطة الشرعية للدولة في الموازين والمكاييل:

أرشدنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أنه أرسل إلى قومه ليهديهم إلى طريق الحق والعدل ويتموا موازينهم ومكاييلهم ويعحثهم على المكسب الحلال... وقد نهاهم شعيب عليه السلام عن الإفساد في الأرض كما حذرهم عاقبة البخس والنقص في الكيل والميزان، وكذلك الغش والغبن والتلاعب في الوزن.

وهذا كله يعتبر من القواعد الشرعية في أسس الموازين والمكاييل بإقامة الحق والعدل في أمتنا الإسلامية.

وقد أعطى الله تعالى يوسف عليه السلام درساً في مجال الموازين والمكاييل...

فقد كان يوسف عليه السلام هو المسئول والوزير الأول الذي بيده السلطة الشرعية والتنفيذية للدولة...

وكرئيس ومسئولي ومتصرف لدولة مصر في الموازين والمكاييل استطاع تحديد الكميات من القمح وتوزيعه حسب ما يراه، خاصة في السنوات التي تميزت بالقحط، كما بين الله تعالى:

﴿فَأَرْسِلَ مَعَنَا أَخَانَاتَكَتَّل﴾ الآية (٦٣) من سورة يوسف.

وكما ذكرت الآية (٦٥).

﴿وَنَزَّدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾.

وهكذا وضع يوسف عليه السلام معالم السياسة الاقتصادية التي قام بتنفيذها من خلال سلطته الشرعية والاقتصادية والتي تعلمنا منها أحكام ونظام الموازين والمكاييل.

٢ - سلطة الدولة في تنظيم الموازين والمكاييل :

إن الدين الإسلامي يحثنا على النظام والدقة في أعمالنا ومواعيدهنا وفي تجارتنا وأسواقنا وكل معاملاتنا التجارية والمالية والإقتصادية، فالتنظيم هو الأساس لبناء حياتنا ومعيشتنا اليومية، ولهذا فإن سلطة الدولة لتنظيم الموازين والمكاييل تعتبر أمراً ضرورياً بينه الله تعالى بأن أرسل شعيب عليه السلام لقومه ليهديهم وينظم حياتهم بعبادة الله وحده والبعد عن الفساد.

ولهذا فإن التنظيم والنظام في الموازين والمكاييل من الأسس الهامة لأمتنا الإسلامية من خلال سلطة الدولة، وقد رأينا الآن في أمتنا الإسلامية وجود إدارات ومصالح حكومية وهيئات دينية وشرعية تنظم وتشرف وتهيمن على اقتصادنا في الأسواق . . .

ولهذا فإن عملية التنظيم بإشراف الدولة بسلطتها أمر ضروري، كما علمنا الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام الذي جاء ليهديهم إلى الحق والعدل والنور وإلى التشريع الإلهي .

وقد وضع يوسف عليه السلام نظام المكاييل والموازين وبالذات في خطته لأربعة عشر سنة وذلك في التبادل التجاري بين دولة مصر والشعوب والقبائل المجاورة لها في سنوات القحط السبع حيث عرفنا يوسف عليه السلام مخططاً ومنفذًا من دروس القرآن الكريم في الاقتصاد عن التعاون بين الشعوب ومساعدة المحتاج في وقت الأزمات . . .

ونتيجة لتبادل التجارة بين مصر ومسؤولها وبين الشعوب المجاورة عرف نظام الموازين والمكاييل التي استعملت في ذلك العصر .

تعلمنا من قصة يوسف عليه السلام في الموازين والمكاييل أنه استعان مكيالاً معيناً يكتال به، مما يؤكّد وجود أشكال مختلفة من هذا الكيل... وقد قال تعالى ذلك في قوله:

﴿... إِنَّمَا يَعْلَمُ اللَّهُ الْعَلِيُّ...﴾ الآية (٧٢) من سورة يوسف.

أوضح يوسف عليه السلام أنه نتيجة تبادل التجارة بين الشعوب، فهو أعطى لإخواته القمح والغلال بنظام الكيل حيث ذكر الله تعالى صواع وهو مكيال معين.

إن الصاع هو وحدة كيل يكتال بها وهي لها وزن معين معروف بين التجار، ومن ذلك عرفت الشعوب والقبائل والمصريون الذين يتعاملون مع صوامع الغلال وحدة وزن هذا الكيل أو الصاع.

ومن خلال التعامل بين الشعوب في مجال الموازين والمكاييل تبين أن الوفاء في الكيل هو العمود والأساس الاقتصادي في التبادل بين الشعوب... كما بين الله تعالى في قوله:

﴿... وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِمَا زَهَرُوا فَقَالَ أَئُنُّوْنِي بِأَنْجَلَكُمْ مِّنْ أَيْكُمْ أَلَّا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِيَ الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُتَزَلِّينَ...﴾ الآية (٥٩) من سورة يوسف.

كذلك فإن تبادل التجارة بين الشعوب أكد أن الموازين والمكاييل توثق العقد سواء كان كتابياً أو شفهياً، ومن الضروري أن يتلزم به المتعاقدين... كما قال الله تعالى:

﴿... فَإِنَّمَا لَمَّا تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا نَقْرَبُونَ...﴾ الآية (٦٠) من سورة يوسف.

كذلك بين الله تعالى: ﴿... فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنْعَمَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَا نَانَ كُتَّلَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ...﴾ الآية (٦٣) من سورة يوسف.

٣ - سلطة الدولة الشرعية في حماية الاقتصاد في الموازين والمكاييل:

علمنا الله تعالى أنه أرسل شعيب عليه السلام بعد فساد قومه في الأرض وعدم تطبيق شريعة الله بينهم وأكل حقوق وأموال الناس، ولهذا فإن الحماية الإسلامية في الاقتصاد أمر شرعي مهم لحفظ الكيان والهيكل التنظيمي والقواعد الرئيسية للإقتصاد سواء في تجارتنا في الأسواق أو أموالنا المتداولة... كل هذه الأسس بینها الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام... وأن سلطة الدولة التشريعية لحماية اقتصادها وبالذات فيما يتعلق بالموازين والمكاييل ولذلك:

أ : تعتبر قصة شعيب عليه السلام من القصص القرآنية التي تنبه وترشد أمتنا الإسلامية إلى ضرورة الرجوع إلى كتاب الله وتطبيق شريعته السمحاء وتتدخل سلطة الدولة لحماية اقتصادها وأسواقها وأموالها.

ب : من ذلك يتبيّن لنا أن المغزى الحق لقصة شعيب عليه السلام مع قومه في التاريخ الاقتصادي لقصص القرآن الكريم أن الدولة بسلطتها التشريعية والتنفيذية هي من الأسس الهامة لحماية اقتصادها وأسواقها، وبالذات بالمراقبة والتنظيم والإشراف وإرساء القواعد والأسس التشريعية في الكيل والميزان.

٤ - سلطة الدولة في الأسعار وتحديد الوزن والمكاييل:

تحدثنا فيما مضى عن سلطة الدولة الشرعية لحماية اقتصادها فيما يختص بـمجال الموازين والمكاييل وذلك سواء من ناحية تنظيمها أو للحماية العامة للمجتمع في الأسواق وفي التجارة... وعلى ضوء ذلك فإن على الدولة أن تقوم بـتحديد جميع أحجام وأنواع الموازين والمكاييل، أي : -

الدولة لها السلطة التشريعية والتنفيذية في تحديد حجم الوزن والمكيال المراد تطبيقه، وذلك من حيث النوع والكمية بمقاييس دقيق، ويعرف بين الأسواق الاقتصادية حيث نرى الأعراف بين أمم العالم بهيئاتها العلمية والدولية قد استعملت بعضًا من أنواع تلك المكاييل وحجم الوزن مثلًا كالرطل والأوقية والكيلو وغير ذلك... .

ولقد علمنا شعيب عليه السلام عندما بخس قومه في الكيل والميزان بأنه يوجد حجم وزن معين حدد من قبل الدولة أو اعتبر عرفاً تجارياً بين الناس.

رابعاً - الحكمة الإلهية في الصلوة بين شعيب عليه السلام وقومه

بين الله تعالى في قصة شعيب عليه السلام أنه كان يهدى قومه بأن يصلوا الله تعالى ، ولكن قومه استكبروا واستهزروا به . . .

كما قال الله تعالى في سورة هود: ﴿قَالُوا يَا شَعِيبَ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ إِبْرَاهِيمَ﴾.

ومن ذلك نسترشد أن الصلاة هي أحد أركان الإسلام ، وقد تحدث عنها أفاضل العلماء بفلاحة ، فهي تطهر النفس وتزكيها وهي الصلة بين العبد والرب كما تنفعه في آخرته وتصلح دنياه . . .

ومن ذلك نتعلم المفاهيم الرئيسية والتي لها الجانب التوجيهي الإلهي والتربوي للإنسان المسلم الذي يداوم على صلاته من جوانب عديدة اقتصادية تنفعه في حياته المعيشية ومهنته التي يزاولها في الحياة الدنيا .

ولقد بين الله تعالى في كتابه العزيز وفي سنة نبيه الكريم أن الله تعالى أوصى الإنسان المسلم بالصلاحة والمداومة عليها ، كما ذكر الله تعالى في سورة هود:

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَرُلْقَامِنَ الْيَلَلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذَهِّبُنَ الْسَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرُنَ اللَّذِكْرِينَ﴾. الآية (١١٤).

وكذلك ذكر الله تعالى في سورة مريم: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَّكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالرَّحْكَوَةِ مَادُمْتُ حَيَا﴾. الآية (٣١).

التحليل الاقتصادي وأثر الصلاة في التجارة والاقتصاد : -

ومن ذلك نستخلص النقاط التالية : -

١ - لقد وجها كتاب الله تعالى بالمداومة على الصلاة فهي واجبة على كل مسلم لأنها أساس دينه . . . ومن خلال مداومة المسلم على صلاته فإن الله يهديه إلى الإيمان والخشوع والتقوى وتطهير النفس، ويوقف ضميره الحي للخير، ويذكر الإنسان في صلاته الجزاء والعقاب والحسنات .

والسيئات والبعد عن المحظيات والمحظورات في تجارتة وأمواله وعمله فهي تطرد سوسة الشيطان، وتجعل الإنسان المسلم يحافظ على الصلاة وتربية التربية النفسية الإسلامية التي تعتمد على التسامح والتوكيل على الله في كل أعماله .

٢ - ونتيجة لذلك فإن المسلم بكل مهنة وحرفه تنعكس على حياته آثار مداومته للصلاة لظهور واضحة جلية في حياته الاقتصادية سواء في البيع أو الشراء أو أي مهنة أو حرف يزاولها المسلم، وذلك بأن يأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعمل الخيرات وأداء الزكاة والصدقة وبر الوالدين والمعاملة الحسنة مع الآخرين وعدم التكاسل، كما ينعكس ذلك على اتباع النظام الإلهي الذي فرضه على كل مسلم في مختلف نواحي الحياة لأنه يخشى الله تعالى . وبالتالي فإنه يحافظ على أوقات عمله اليومي سواء في تجارتة أو في النواحي المالية، أو عندما يرتبط

مع شخص آخر بميعاد فإن نفسيته الإسلامية والتوجيه الإلهي بمندوبيه على الصلاة تجعله يحافظ على كل دقيقة من وقته.

٣ - لقد بين الله تعالى أن تقسيم الصلاة إلى خمس أوقات من صلاة الصبح إلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء له حكمة إلهية خططت وقسمت مواعيد أوقات الصلاة في اليوم الواحد أي في كل أربعة وعشرين ساعة يتخللها خمس صلوات في اليوم، وقسم كل صلاة عدد ركعاتها سواء اختلفت عدد الركعات المفروضة أو السنة التي شرحها أفضضل العلماء... وهي كالتالي :

أ - صلاة الصبح ركعتان.

ب - صلاة الظهر والعصر- أربع ركعات.

ج - صلاة المغرب - ثلاث ركعات.

د - صلاة العشاء - أربع ركعات.

إن ذلك التوجيه الإلهي للصلاة الذي فرض على كل مسلم له حكمة... فتقسيم مواعيد الصلاة في كل فترة وأخرى، وكذلك في عدد ركعات الصلاة فإنها غير متساوية، وكذلك الميعاد والوقت الذي حدده الله تعالى في صلاة كل وقت، وفسره أفضضل العلماء بتقويم الشمس... كل هذا يرشدنا إلى حكمة إلهية في تخطيطنا اليوم للإنسان المسلم بأن يقسم أوقاته اليومية و يجعل جزءا منها للعمل لقوته اليومي ولل العبادة وير الوالدين وغير ذلك من دروب الحياة، وفيما شرعه الله... كل ذلك نتعلم من الحكمة الإلهية في تقسيم أوقات الصلاة بالتخطيط لتقسيم أوقاتنا حسب ما شرعه الله وسنة نبيه وما أحله وحرمه الله في كتابه العزيز.

٤ - إن الحكمة الإلهية في المداومة على الصلاة هي تعويد كل مسلم على اتباع النظام... فإن النظام واجب على كل مسلم... فالمسلم المؤمن المداوم على صلاته يطيع كلام الله ويتبع منهجه عز وجل ويتعلم النظام

من خلال مداومته على الصلاة خمس مرات في اليوم . . . فعندما يداوم المسلم وهو طفل صغير حتى مماته على أداء الصلاة في وقتها فإنه يتبع على النظام الأساسي في الإسلام ، وبالتالي يعكس ذلك على حياته العملية في كافة نواحيها الاقتصادية وغيرها.

وهذه الحكمة الإلهية في المحافظة على الصلاة تكسبنا التعود على اتباع النظام ودقة المواعيد في منهج حياتنا الإسلامية سواء في معاملاتنا الاقتصادية والمالية والتجارية أو في المنزل والأصدقاء وبقية أفراد الأسرة . . .

٥ - إن المداومة على الصلاة والمحافظة على أدائها منذ الصغر تساعدننا على التحلي بالصبر ومساعدة الغير والتسامح والقوة في الإيمان والبعد عن الكذب والغش والإنفاق الذي حرمه الله علينا ، والتعامل بالربا والفواحش في تجاراتنا . . كل ذلك يعود إلى التمسك بالمداومة على الصلاة ، فإن قلت أو كُرْت فإنها الصلة والترابط بين الإنسان وربه ، وبالتالي كل ما أكثر منها في الدنيا كثر ثوابه في الآخرة . . .

**الآيات القرآنية التي أوضحت التوجيه الإلهي للمحافظة على أداء الصلاة
وأثر ذلك في حياة المسلمين**

الرقم	الآية	السورة
٤٥	وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشِعِينَ	البقرة
١١٠	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَإِنَّوْا لَرَجُوَةٍ وَمَانِفِدٌ مُوَالِاً لِلنَّفِيسِ كُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحْدُوْهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ	البقرة
١٥٣	يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	البقرة
٢٣٨	حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينِينَ	البقرة

الرقم	الآية	السورة
٤٣	<p>يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَسْمُ سُكْرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا نَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنْتُم مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِنَ الْغَ�يْطِ أَوْ لَمْسَنَ النِّسَاءَ فَلَمْ يَحْدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيْبًا فَأَمْسَحُوا بِيُوجُوهِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًا غَفُورًا</p>	النساء
٤٤	<p>فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيمًا وَقُوْدًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا أَطْمَأْنَتُمْ فَاقْرِبُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا</p>	النساء
٧٦	<p>وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُنْصِعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ</p>	الأعراف

الرقم	الآية	السورة
٢٣	الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ	الأنفال
٢٤	وَأَقَمْتَ الصَّلَاةَ طَرَفَ النَّهَارِ وَزَلْفَامِنَ إِلَيْهِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْبِغُونَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ	هود
٢٥	وَجَعَلَنِي مُبَارَّاً كَمَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكُورَةِ مَا دُمْتُ حَيَاً	مريم
٢٦	وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةَ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَةَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكُورَةِ وَكَانُوا نَاسًا عَلَيْهِمْ	الأنبياء
٢٧	الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكُورَةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَنِّيَّةُ الْأُمُورِ	الحج

		السورة
 ٥٧	<p>الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ</p>	المؤمنون
 ٥٨	<p>وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ</p>	المؤمنون
 ٥٩	<p>رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تَحْرِثَةٌ وَلَا يَبْغُونَ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيمَانُهُمْ الزَّكُورَةٍ يَخَافُونَ يَوْمًا نَقْلَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَرُ</p>	النور
 ٦٠	<p>وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكُورَةَ وَأَطْبِعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ</p>	النور
 ٦١	<p>أَتَلَ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِيمُ الصَّلَاةَ إِذَا بَلَغَ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْثَرٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ</p>	العنكبوت

الرقم	الآية	السورة
٢٧	<p>يَبْعَثُ أَقْمِ الْصَّلَاةَ وَأَمْرَ يَا مَعْرُوفٍ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِيرَ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَّمِ الْأَمْوَارِ</p>	لقمان
٢٨	<p>يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانشِرُوهُ فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَإِذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ</p>	الجمعة
٢٩	الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ	المعارج
٣٠	فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّيَنَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ	الماعون

٢ - (الأحاديث النبوية الشريفة التي تحت المسلم على حرصه لأداء الصلاة):

* باب مواقيت الصلاة وفضلها *

وقوله: إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً. وقته عليهم حدثنا عبد الله بن مسلمة قال: قرأت على مالك عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخر الصلاة يوماً فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخر الصلاة يوماً وهو بالعراق، فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري فقال: ما هذا يا مغيرة أليس قد علمت أن جبريل نزل فصلى فصلى رسول الله ﷺ، ثم صلى فصلى رسول الله ﷺ، ثم فصلى فصلى رسول الله ﷺ، ثم قال: بهذا أمرت، فقال عمر لعروة: اعلم ما تحدث أو أن جبريل هو أقام لرسول الله ﷺ وقت الصلاة، قال عروة: كذلك كان بشير بن أبي مسعود يحدث عن أبيه.

* فضل الصلاة لوقتها *

حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك، قال: حدثنا شعبة، قال الوليد بن العizar: أخبرني، قال: سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: حدثنا صاحب هذه الدار وأشار إلى دار عبد الله قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين، قال: ثم أي، قال: الجهاد في سبيل الله، قال: حدثني بهن ولو استردهن لزادني .

* الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في كتاب كنز العمال^(١)*
عن الحرص على أداء الصلاة *

١٩٢٥٣ - إن للصلوة أولاً وآخراً، وإن أول وقت صلاة الظهر حين تزول الشمس، وآخر وقتها حين يدخل وقت العصر، وإن أول وقت العصر حين يدخل وقتها، وإن آخر وقتها حين تصفر الشمس، وإن أول وقت المغرب حين تغرب الشمس، وإن آخر وقتها حين يغيب الشفق، وإن أول وقت العشاء الآخرة حين يغيب الأفق، وإن آخر وقتها حين يتصف الليل، وإن أول وقت الفجر حين يطلع الفجر، وإن آخر وقتها حين تطلع الشمس.
(حمٰت^(٢) عن أبي هريرة).

١٩٢٥٤ - وقت صلاة الظهر إذا زالت الشمس وكان ظل الرجل كطولة ما لم يحضر العصر، ووقت صلاة العصر ما لم تصفر الشمس، ووقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر ما لم تطلع الشمس.

* في فضلها ووجوبها *

٢١٦١٥ - عن تميم الداري^(٣) قال: أول ما يحاسب به العبد يوم القيمة الصلاة المكتوبة؛ فإن أتمها وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع؟ فاكملت الفريضة من تطوعه فإن لم تكمل الفريضة، ولم يكن له تطوع أخذ بطرفيه فيقذف به في النار. (ش).

٢١٦١٨ - عن عمر قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله أي شيء

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان نوري - المتوفى سنة ٩٧٥ م - ٣٥٦، ٣٦٠ - م ٧.

(٢) أخرجه الترمذى في أبواب الصلاة بباب ما جاء في مواقيت الصلاة رقم (١٥١) ص.

(٣) تميم الداري: أبو رقية الداري مشهور في الصحابة كان نصراانيا وراهب أهل عصره. وعابد أهل فلسطين وقدم المدينة فأسلم، وتوفي في فلسطين، بيت جبرين. الإصابة لأبن حجر (٣٠٥/١) ومر الحديث مرفوعاً برقم (١٨٨٨٥) ص

عند الله في الإسلام؟ قال: الصلاة لوقتها، ومن ترك الصلاة فلا دين له،
الصلاه عماد الدين. (هب).

٢١٦١٩ - عن نافع أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها أو حافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيغها فهو لما سواها أضيع، ثم كتب: إن صلاة الظهر إذا كان الفيء، ذراعاً إلى أن يكون ظل أحدكم مثله، والعصر والشمس بيضاء نقية قدر ما يسير الراكب فرسخين أو ثلاثة، والمغرب إذا غربت الشمس، والعشاء إذا غاب الشفق إلى ثلث الليل، فمن نام فلا نامت عينه، فمن نام فلا نامت عينه، فمن نام فلا نامت عينه، والصبح، والنجمون بادية مشتبكة، فمن نام فلا نامت عينه.
(مالك، عب، هـ)^(١).

١٩٢٦٣ - أحب الأعمال إلى الله عز وجل تعجيل الصلاة لأول وقتها.
(حم عن أم فروة).

١٩٢٦٤ - الوقت الأول من الصلاة أفضل من الوقت الآخر، كفضل الآخرة على الدنيا. (أبو الشيخ عن ابن عمر).

١٩٢٦٥ - خير الأعمال وأقربها إلى الله: الصلاة في أول وقتها. (ك
الرافعي عن ابن عمر).

١٩٢٦٦ - فضل الوقت الأول من الصلاة على الوقت الآخر، كفضل الآخرة على الدنيا. (أبو الشيخ عن ابن عمر).

* الترهيب عن ترك الصلاة *

١٩٠٨٨ - من ترك الصلاة مكتوبة حتى تفوته من غير عذر فقد حبط عمله. (ش عن أبي الدرداء وعن الحسن مرسلاً).

١٩٠٨٩ - من ترك الصلاة فكأنما وتر^(١) أهله وماليه. (ط ق في المعرفة عن نوفل).

١٩٠٩٠ - من ترك الصلاة متعمداً كتب اسمه على باب النار ممن يدخلها. (أبو نعيم عن أبي سعيد).

١٩٠٩١ - من فاته الصلاة فكأنما وتر أهله وماليه (الشافعي ق عن نوفل بن معاوية).

١٩٠٩٢ - العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر.

(١) وتر: أي **نُيَصِّنَ**، يقال: وترته، إذا نقصته. النهاية [١٤٨/٥] ب.

- ٣- صلاة شعيب عليه اسلام وأثرها في التجارة والاقتصاد :

- وفيما يلي بعض ما فسره أفالضل العلماء للاية (٨٧) من سورة هود:

- قال الإمام الزمخشري : (*) :

كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات، وكان قومه إذا رأوه يصلي تغامزاً وتضاحكاً فقصدوا بقولهم: **(أصلواتك تأمرك)** السخرية والهزء. والصلاوة وإن جاز أن تكون أمره على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - وأن يقال: إن الصلاة تأمر بالجميل والمعروف، كما يقال: تدعوا إليه وتبعث عليه، إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطير، وجعلوا الصلاة أمراً على سبيل التهكم بصلاته، وأرادوا إن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته، وإن مثله لا يدعوك إليه داعي عقل ولا يأمرك به آخر فطنة، فلم يبق إلا أن يأمرك به أمر هذيان ووسوسة الشيطان، وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليتك ونهارك... ومعنى تأمرك **(أن نترك)** تأمرك بتکلیف أن نترك **(ما يبعد آباءنا)**.

- وجاء في تفسير الإمام الرازى (*) ما يلى :-

في لفظ الصلاة وهنأ قولان:

* الإمام المخشي - سورة هود - الآية (٨٧) - ص ٢٨٦.

(*) الإمام الرازى - سورة هود- الآية (٨٧) - ص ٤٢ م ٦ ج ١٨ .

الأول: المراد منه الدين والإيمان لأن الصلاة أظهرت شعائر الدين، فجعلوا ذكر الصلاة كنایة عن الدين. والمراد: دينك يأمرك بذلك.

والثاني: أن المراد منه هذه الأعمال المخصوصة، روى أن شعيباً كان كثير الصلاة وكان قومه إذا رأوه يصلّي تغامزوا وفضحوكوا فقصدوا بقولهم: أصلاتك تأمرك السخرية والهزء، وكما أنت إذا رأيت معتوهاً يطالع كتاباً ثم يذكر كلامك فاسداً فيقال له: هذا من مطالعة تلك الكتب على سبيل الهزء والسخرية فكذلك ه هنا.

فإن قيل: تقديرة الآية: أصلواتك تأمرك أن نفعل في أموالنا ما نشاء. وهم إنما ذكروا هذا الكلام على سبيل الإنكار، وهم ما كانوا ينكرون كونهم فاعلين في أموالهم ما يشاءون فكيف وجه التأويل. قلنا: فيه وجهان:

الأول: التقدير، أصلواتك تأمرك أن ترك ما يعبد آباءنا. وأن ترك فعل ما نشاء.

الثاني: أن يجعل الصلاة آمرة وناهية والتقدير: أصلواتك تأمرك بأن ترك عبادة الأوثان ونهاك أن نفعل في أموالنا ما نشاء.

ثم قال تعالى حكاية عنهم: **﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** وفيه وجوه:

الأول: أن يكون المعنى أنك لأنت السفيه الجاهل، إلا أنهم عكسوا ذلك على سبيل الإستهزاء والسخرية به.

الثاني: أن يكون المراد أنك موصوف عند نفسك وعند قومك بالحلم والرشد.

الثالث: إنه عليه السلام كان مشهوراً عندهم بأنه حليم رشيد، فلما أمرهم بمفارقة طريقتهم. قالوا له: إنك لأنت الحليم الرشيد المعروف الطريقة في هذا الباب. فكيف تنهانا عن دين ألفينا من آبائنا وأسلافنا، والمقصود استبعاد مثل هذا العمل من كان موصوفاً بالحلم والرشد وهذا الوجه أصوب الوجوه.

وجاء في تفسير الإمام محمد رشيد^(*) رضا ما يلي : -

قالوا: يا شعيب أصلواتك تأمرك أن ترك ما يعبد آباؤنا، والإستفهام للإنكار والإستهزاء به ويعبادته عليه السلام، والصلاحة تنهي صاحبها عن الفحشاء والمنكر بما تكسبه من مراقبة الله تعالى، ومن نهي نفسه كان جديراً أن ينهي غيره، يعنون بهذه الصلاة التي تداوم عليها تقتصي بتأثيرها في نفسك أن تحملنا على ترك ما كان عليه آباؤنا من عبادة هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها تقرباً إلى الله بها وتشفعاً عنده بجاه الأرواح التي تحملها، أو الأولياء التي وضعت لذكرهم وما أنت خير منهم وأجدر باتباعهم.

وقال الشيخ المراغي ما يلي : -

﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن ترك ما يعبد آباؤنا﴾؟، أي: أصلاتك التي هي من نتاج الوسوسة وفعل المجانين تأمرك بأن ترك ما سار عليه آباؤنا جيلاً إثر جيل من عبادة الأوثان والأصنام، وإنما جعلوه مأموراً مع أن الصادر عنه إنما هو الأمر بعبادة الله وغيرها من الشرائع لأنه عليه السلام لم يكن يأمرهم من تلقاء نفسه بل بوحى من ربها وبلغهم أنه مأمور بذلك، وإسناد الأمر إلى الصلاة دون غيرها من العبادات لأنه كان كثير الصلاة معروفاً بذلك حتى إنهم إذا رأوه يصلى تغامزوا وتضاحكوا فكانت هي من بين الشعائر ضحكة لهم.

وقد ذكر الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود والدكتور وفاء محمد رفت جمعة^(١)، عن قصة شعيب عليه السلام، ما يلي : -

وهو رد واضح للتهم، فهم لا يدركون أو لا يريدون أن يدركون - أن

(*) الإمام محمد رشيد رضا - سورة هود - الآية (٨٧) - ص ١٤٣ م ١٢ .

(*) الشيخ المراغي - سورة هود - الآية (٨٧) - ص ٧٢ م ٤ .

(١) أخطاء يجب أن تصحيح في التاريخ «جزيرة العرب» - الجزء الأول - ص ٧٠ ، ذ. جمال عبد الهادي محمد مسعود - الدكتورة وفاء محمد رفت جمعة.

الصلاه هي من مقتضيات العقيدة، ومن صورة العبودية والدينونة، وأن العقيدة لا تقوم بغير توحيد الله، ونبذ ما يعبدونه من دونه هم وأباءهم، كما أنها لا تقوم إلا بتنفيذ شرائع الله في التجارة، وفي تداول الأموال وفي كل شأن من شؤون الحياة والتعامل. فهي لحمة واحدة لا يفترق فيها الإعتقداد عن الصلاة عن شرائع الحياة وعن أوضاع الحياة.

و قبل تسفيه هذا التصور من أهل مدين قبل ألف السنين، يحسن أن نذكر أن الناس اليوم - إلا من رحم ربى - لا يفترقون في تصورهم ولا في أفكارهم لمثل هذه الدعوة عن قوم شعيب. وأن الجاهلية التي تعيشها البشرية اليوم ليست أفضل ولا أكثر إدراكاً من الجاهلية الأولى. وأن الشرك الذي كان يزاوله قوم شعيب هو ذاته الشرك الذي تراوله البشرية بما فيها أولئك الذين يقولون أنهم يهود أو نصارى... إلخ، فكلهم يفصل بين العقيدة والشعائر، والشريعة والتعامل، فيجعل العقيدة والشعائر لله ووفق أمره، ويجعل الشريعة والتعامل لغير الله، ووفق أمر غيره... وهذا هو الشرك في حقيقته وأصله.

تحليل أثر المداومة على الصلاة في التجارة والإقتصاد : -

الصلاحة هي أحد أركان الإسلام الخمسة... والصلاحة لا تسقط عن المسلم مهماً كانت ظروفه حتى أثناء المرض... والمسلم المؤمن الذي يحرص على أداء الصلاة يقوى إيمانه ويدعم صلاته بالله سبحانه وتعالى وتزداد ثقته في نفسه، لأنه يتمسك بمنهج الله عز وجل ولا يستطيع الشيطان أن يتسلل إليه أو أن يغويه لأنه يواجه إيماناً صلباً وعزيمة قوية، فلا يمكنه أن يبت سموه من المحظورات والمنهييات التي نهاها الله تعالى عنها وهذا هو الذي دعا به شعيب عليه السلام قوله... .

وعندما نحلل أثر المداومة على الصلاة في حياة الإنسان في دنياه نأتي إلى ما يلي : -

الإيمان والخشوع والتقوى والطمأنينة - تطهير النفس - إيقاظ الضمير لفعل الخير - التذكر بالعقاب والجزاء - البعد عن المحرمات - طرد وسوسه الشيطان - التوكل على الله تعالى في العمل - المحافظة على حدود الله في البيع والشراء والتعامل الدنيوي - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - إعطاء الصدقة والزكاة - المحافظة على الوقت في صلواتنا، وسينعكس هذا على الوقت لأعمالنا - إن تقسيم الصلاة في اليوم الواحد إلى خمس صلوات ترشدنا إلى تحطيم الله في تقسيم الصلاة في اليوم، وهذا سيؤثر على ذلك بالتحطيم لأعمالنا - الحافظة على المواعيد بوقتها - اتباع النظام في حياتنا اليومية - التخلص بالصبر - دقة في المواعيد - مساعدة الغير - البعد عن المحرمات من الكذب والغش والنفاق والتحايل التي حرمتها الله.

منهاج تدريس علوم الموازين والمكاييل في الجامعات الإسلامية

وفق خواطرنا وما استخلصناه من قصة نبي الله شعيب عليه السلام

إذا كنا نعتبر منهج يوسف عليه السلام في التخطيط للبنية الأولى للأساسيات الاقتصادية التي ينبغي أن يدرسها طلاب الجامعات الإسلامية... فإن تدريس علوم الموازين والمكاييل وأثراهما في الاقتصاد التطبيقي يعتبر أيضاً من أهم ما جاءت به شريعتنا الإسلامية السمحاء التي تعكس على الفرد وعلى الجماعة فيسود المجتمع الإستقرار الاقتصادي وتنتعش الأسواق وتزدهر الحالة الاقتصادية.

ولذلك نوصي بما يلي : -

- ١ - يستحسن أن تشمل خطة التدريس للجامعات الإسلامية أهمية الموازين والمكاييل في حياتنا الاقتصادية وخاصة في علم الاقتصاد التطبيقي .
- ٢ - من الأفضل أن يتعلم طلاب الجامعات الإسلامية أثر البخس والتطفيف على كافة البضائع في الأسواق ، وأن ذلك من المحظورات التي حرمتها الشريعة الإسلامية وحذر منها شعيب عليه السلام .
- ٣ - إن الإستقرار الاقتصادي للمبادئ التي دعا إليها شعيب عليه السلام بإيفاء الكيل والميزان والإخلاص والصدق في التعامل داخل الأسواق

يعتبر عاملًا هاماً في تمنع التجار بالرُّزق الحلال فيبارك الله تعالى فيه وينعكس ذلك على حياتهم وأسرهم.

٤ - كذلك يتعلم طالب العلم في المعاهد الفنية المتخصصة النظام التطبيقي للإقتصاد فيما يتعلق بالموازين والمكاييل من حيث تعريفها وخصوصيتها وطرق استعمالها وأنواعها، وكل ما ذكر في القرآن الكريم عنها... وكل ذلك يدرس في جامعات المسلمين التي تهتم بدراسة الإقتصاد من خلال قصص القرآن الكريم... ونستفيد من خلال دعوة شعيب عليه السلام خاصة المبادئ والمصطلحات الإسلامية في الموازين والمكاييل التي تشكل عنصرًا هاماً في حياتنا اليومية.. خاصة في مجال المال والتجارة.

٥ - ويستطيع طالب العلم دراسة الموازين والمكاييل في المعاهد الفنية المتخصصة وجامعات المسلمين، خاصة من ناحية اهتمام السلطتين التشريعية والتنفيذية للهيئة الحاكمة... حيث تلعب الموازين والمكاييل دوراً رئيسياً في تحديد الأسعار، وبالتالي تؤثر على السياسة النقدية التي تتعكس على كل أسرة.

التاريخ الاقتصادي من خوارق وقصص القرآن الكريم

المُنْتَهِيُّ الْاِقْتِصَادِيُّ

لَنْ يَبْرُدْ لِلْمُنْهَضِ فِي الْمُنْهَضِ

الكتاب الأول :

متوفّر في المكتبات

المنهج الافتراضي في المكاييس

الكتاب الثاني :

ستوفر في المكتبات

١٢

مُكْتَبَةُ التَّلَامِ

میں جس

العنوان الاقتصادي في

الكتاب الثالث :

حد رو حد پشا

قِصَّةُ الْجَوَافِعِ الْمُتَبَعَّ

رحلة الشتاء والصيف

卷之四

ومنهذا الشارك والاقتضاد

دکتور/ نرگس اکباتنی

الكتاب الرابع :

تحت الطبع

المراجع

- | اسم الكتاب | الناشر |
|---|--|
| ١ - جامع البيان في تفسير القرآن، تأليف الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ. | دار المعرفة للطباعة والنشر - أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى بيروت - لبنان. |
| ٢ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ. | دار الفكر للطباعة والنشر - القاهره |
| ٣ - زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي ولد ٥٠٨ - وتوفي سنة ٥٩٦ هـ. | المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. دمشق - بيروت. |
| ٤ - التفسير الكبير - للإمام الفخر الرازى دار إحياء التراث العربي - بيروت. | |
| ٥ - تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . | دار الشعب، القاهرة. |
| ٦ - تفسير النسفي - للإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمد عيسى البابى الحلبي - النسفي . | دار إحياء الكتب العربية - القاهرة. |

- ٧ - تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ دار المعرفة - بيروت - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير لبنان. القرشي الدمشقي - المتوفي ٧٧٤ هـ.
- ٨ - تفسير أبي السعود - المسمى - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي - المتوفي سنة ٩٥١ هـ
- ٩ - فتح القدير - الجامع بين فني الرواية والدرایة محفوظ العلي - بيروت . من علم التفسير - تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني - المتوفى بصنعاء سنة ١٢٥٠ هـ.
- ١٠ - روح المعانى في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني - تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي - المتوفى سنة ١٢٧٠ هـ.
- ١١ - تفسير القاسمي المسمى - محاسن التأويل ، دار الفكر - بيروت . تأليف عالمة الشام محمد جمال الدين القاسمي - ١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ.
- ١٢ - تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة للطباعة تأليف السيد. محمد رشيد رضا منشىء والنشر - بيروت - لبنان. مجلة المنار.
- ١٣ - تفسير المراغي - تأليف صاحب الفضيلة الأستاذ مصطفى المراغي - أستاذ الشريعة الإسلامية ولغة العربية بكلية دار العلوم سابقاً.

- ١٤ - التفسير الواضح - تأليف د. محمد محمود مطبعة الإستقلال الكبرى - حجازي - جامعة الأزهر .
- ١٥ - في ظلال القرآن - بقلم سيد قطب . دار الشروق القاهرة .
- ١٦ - المنتخب في تفسير القرآن الكريم، وضع المجلس الأعلى للشئون لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى الإسلامية بالقاهرة . للشئون الإسلامية بجمهورية مصر العربية .
- ١٧ - كتاب الأموال للإمام الحافظ الحجة أبي عبيد القاسم بن سلام - المتوفى سنة ٢٢٤ هـ . مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .
- (تحقيق خليل محمد هراس - من علماء الأزهر الشريف) .
- ١٨ - أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعرفة للطباعة المعروفة بابن العربي - المتوفى سنة ٥٤٣ هـ . دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- (تحقيق علي محمد الجاجاوي) .
- ١٩ - البداية والنهاية - تأليف الحافظ بن كثير مكتبة المعارف - بيروت - الدمشقي - المتوفى سنة ٧٧٤ هـ . لبنان.
- ٢٠ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال مؤسسة الرسالة . للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان نوري المتوفى سنة ٩٧٥ هـ . دمشق - بيروت .
- ٢١ - الجوادر في تفسير القرآن الكريم، تأليف المكتبة الإسلامية لصاحبها - الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري - الحاج رياض الشيخ - القاهرة . المدرس بالجامعة المصرية .
- ٢٢ - بحوث في قصص القرآن - بقلم السيد دار الكتاب اللبناني -

- عبد الحافظ عبد ربه - من علماء الأزهر بيروت.
الشريف.
- ٢٣ - معجم لسان العرب المحيط للعلامة ابن دار لسان العرب - بيروت.
منظور - معجم لغوي علمي .
(إعداد وتصنيف يوسف خياط).
- ٢٤ - الإمام ابن تيمية - مجموع فتاوى شيخ مكتبة المعارف - الرباط -
المغرب .
(جمع وترتيب عبد الرحمن بن القاسم وابنه محمد).
- ٢٥ - النظام الاقتصادي القرآني تحليل التخلف دار قتبة دمشق - بيروت .
ونظام التقدم .
١٣٩٨ - ١٣٩٩ هـ
١٩٧٨ - ١٩٨٩ م
الدكتور محمد فريز منفيخي مدرس الإحصاء والاقتصاد القياسي في كلية الاقتصاد والتجارة جامعة دمشق .
- ٢٦ - أخطاء يجب أن تصحيح في التاريخ «جزيرة العرب» - الجزء الأول - الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود، والدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة .
- ٢٧ - معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية - تصدره الدكتور إبراهيم مذكر - رئيس المجمع .
- ٢٨ - النقد والمكاييل والموازين ، تأليف: محمد عبد الرؤوف ابن تاج العارفين بن علي وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، سلسلة .

- المناوي - المتوفى سنة ١٠٣١ هـ، تحقيق كتب التراث (١٠٧) دار الرشيد للنشر.
- ٢٩ - فهارس سنن ابن ماجه، معجم ألفاظ سنن ابن ماجه وفهارس أخرى.
- شركة الطباعة العربية السعودية، ص. ب: ٦٤٦٣ - الرياض.
- صنع فهارسه بالكمبيوتر محمد مصطفى الأعظمي.
- ٣٠ - مكة في عصر ما قبل الإسلام، تأليف: عبد العزيز رقم (١٠) ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م. الرياض.
- الزهراء للإعلام العربي - القاهرة.
- ٣١ - اطلس تاريخ الإسلام د. حسين مأنس

فهرس

المنهج الاقتصادي في الموازين والمكاييل لنبي الله شعيب عليه السلام

المبحث الأول:

- المعزى الحق للتاريخ الاقتصادي لقصة شعيب عليه السلام . ١٥
- تفسير الآيات التي تتعلق بموقع «مدين» ونسب شعيب عليه السلام . ٢١
- موقع مدين من الجغرافيا الاقتصادية . ٢٧

المبحث الثاني:

- المنهج الإسلامي للموازين والمكاييل . ٣٣
- أولاً - النظام الاقتصادي للموازين : ٣٦

- ١ - آيات القرآن الكريم التي ذكرت كلمة «الموازين» . ٣٧
- ٢ - المعنى اللغطي للوزن . ٤٩
- ٣ - تعريف الموازين . ٥٣
- ٤ - خواص الموازين . ٥٣
- ٥ - استعمال الموازين . ٥٣
- ٦ - أنواع الموازين . ٥٤

ثانياً - النظام الاقتصادي للمكاييل:

- ٥٦
- ٥٨ ١ - آيات القرآن الكريم التي ذكرت كلمة «المكاييل».
- ٦٦ ٢ - المعنى اللغطي للكيل.
- ٦٩ ٣ - تعريف المكاييل.
- ٦٩ ٤ - خواص المكاييل.
- ٧٠ ٥ - استعمال المكاييل.
- ٧٠ ٦ - أنواع المكاييل.

ثالثاً - الصفات العامة للموازين والمكاييل والفرق بينهما:

٨١

المبحث الثالث:

- ٨١ أولاً - القرآن الكريم يؤكد دعوة شعيب عليه السلام.
- ١٠٥ ثانياً - السمات الإسلامية في الاقتصاد للموازين والمكاييل.
- ١٠٧ ١ - مبدأ التوكل على الله في التجارة.
- ١٣٢ ٢ - الأخلاقيات في المعاملات التجارية.
- ١٥١ ٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في التجارة.
- ١٦٢ ٤ - العدل في المعاملات الاقتصادية.

ثالثاً - المحرمات الإسلامية في الاقتصاد للموازين والمكاييل

- ١٧٥ ١ - في مجال التعامل التجاري والإقتصادي.
- ١٧٥ ٢ - المنهيات في المعاملات التجارية.

١٩٧

المبحث الرابع:

- ١٩٧ - الاقتصاد التطبيقي للموازين والمكاييل.
- ١٩٧ أولاً - الإستقرار الاقتصادي للموازين والمكاييل.
- ١٩٨ ١ - إيفاء الكيل والميزان.

٢٢٢	٢ - عدم الفساد والعنف في الأرض.
٢٣٥	٣ - الإصلاح في الأرض.
٢٤٩	٤ - العقاب والجزاء.
٢٦٣	ثانياً - الدورة التجارية للموازين والمكاييل.
٢٦٣	١ - الحركة التجارية في الأسواق المحلية للكيل والميزان.
٢٦٧	٢ - الحركة التجارية الدولية للموازين المكاييل.
٢٧٢	٣ - الأنشطة المالية وسعة الرزق.
٢٧٣	أ - موقف قوم شعيب عليه السلام من الأموال.
٢٨٤	ب - سعة الرزق في الحياة الدنيا.
٢٩٤	ثالثاً - سلطة الدولة الشرعية لحماية الاقتصاد في الموازين والمكاييل : -

٢٩٧	١ - السلطة الشرعية في الموازين والمكاييل.
٢٩٩	٢ - سلطة الدولة في تنظيم الموازين والمكاييل.
٣٠١	٣ - سلطة الدولة الشرعية في حماية الاقتصاد في الموازين والمكاييل.
٣٠٢	٤ - سلطة الدولة في الأسعار وتحديد الوزن والمكاييل.
٣٠٣	رابعاً - الحكمة الإلهية في الصلاة بين شعيب عليه السلام وقومه : -

٣٠٧	١ - الآيات القرآنية في المحافظة على أداء الصلاة.
٣١٢	٢ - الأحاديث النبوية الشريفة للحث على أداء الصلاة.
٣١٦	٣ - صلاة شعيب عليه السلام وأثرها في التجارة والإقتصاد.
٣٢١	- منهاج تدريس علوم الموازين والمكاييل في الجامعات الإسلامية
٣٢١	وفق ما استخلصناه من قصة شعيب عليه السلام.
	- المراجع.
	- الفهرس.

عنوان المؤلف

الرياض - المملكة العربية السعودية

الرمز البريدي للرياض ١١٤٤٣

ص. ب ٥٤٩٨٤

فسح هذا الكتاب بإذن من

- وزارة الإعلام في الرياض برقم ٢٩٢٠ م / م

تاریخ ١٤١٠/٥/١ هـ

- الأزهر - مجمع البحوث الإسلامية

- رقم الإيداع بدار الكتب القومية بمصر ١٩٩١/٣٦٥٥

I. S. B. N

977 - 00 - 1386 - 0

